**IJA # 138**

# الوجه الآخر: العلاقات السرية بين النازية وقيادة الحركة الصهاينة

**Al-Wajḥ al-Ākhir: Al-'Alāqāt al-Sirrīyah Bayna Al-Nāzīyah wa Qīyādah al-Ḥarkah al-Ṣahāyinah**

**Abbās, Maḥmūd**

**Amman, 1984**

د . محمود عبّاس
« ابو مازن »

# الوجه الاخر

## العلاقات السرية بين النازية وقيادة الص

□ العلاقات السرية بين النازية وقيادة الحركة الصهيونية ،
دراسة سياسية ، د . محمود عباس

□ الناشر : دار « ابن رشد » للنشر والتوزيع ـ عمّان
جبل اللويبدة ـ شارع كلية الشريعة ،
بناية أبو خضر سنتر ـ الطابق الثاني

أيار ١٩٨٤ م .

/١٩٨٣ م .

مقدمـــة :

## « للحقيقة وجــه آخر »

رسمت دول الغرب مخططا لوضع الصورة النهائية لنتائج الحرب العالمية الثانية وما يترتب على هذه النتائج . وحددت الجرائم التي ارتكبت وصفة الجناة والمجني عليهم ، بعد ان نصّبت نفسها حكماً عدلاً صاحب القول الفصل في هذه الجرائم . وطوت ما شاء لها ان تطوي من تفاصيل ووقائع وجرائم ، واغفلت ما ارادت ان تغفل من اسماء واشخاص ومؤسسات ومنظمات ودول ، وانتهت الى اتهام قادة النازية بكل الجرائم التي وقعت في تلك الحرب تلاحق من بقي منهم على قيد الحياة حتى تاريخ لا تنتهي مدته ولا تسقط بالتقادم . ودارت عجلة نورنبرغ تحصد الطغاة والقتلة ، بعد ان ارخت الظلال على شريك اساسي في جريمة اساسية تم اقترافها اثناء الحرب . فحصرت ـ بعد ان جبت هؤلاء ـ الجرائم والمجرمين والمدعين والمدعى عليهم والشهود . ووضعت القضية ـ كل القضية ـ في أطر محدودة لا يمكن الخروج عليها ، وهكذا تعاملت هذه الدول مع نصف الحقيقة بعد ان اهمـ[illegible] بعد ـ النصف الآخر .

لقد كانت حصيلة الحرب العالمية الثانية اربعين مليون انسان من مختلف شعوب العالم دفع الشعب الألماني منها عشرة ملايين ، والشعوب السوفيتية عشرين مليونا ، والباقي موزع بين يوغسلافيا وبولونيا وبقية الشعوب[illegible] بعد الحرب ان ستة ملايين يهودي كانوا ضمن هذه الضحايا ، ان حرب الأبادة شملت اليهود بالدرجة الأولى ثم [illegible] الأوروبية . والواقع ان احدا لا يستطيع ان يؤكد هذا الرقم ولا يستطيع ان ينفيه . وبعد آخر فان عدد الضحايا

اليهود قد يكون ستة ملايين وقد يكون اقل بكثير بحيث يصل الى اقل من مليون . ولكن إثارة الجدل حول الرقم اليهودي لا يقلل بأي حال من بشاعة الجريمة التي ارتكبت بحقهم ، لأن مبدأ قتل الأنسان ـ مجرد انسان ـ هو جريمة لا يمكن ان يقبلها العالم المتحضر ، لا يمكن ان تقر بها الأنسانية .

ويبدو ان مصلحة الحركة الصهيونية ان تضخم العدد الذي قتل في الحرب ليكون مردود المكاسب التي وطنت النفس على الوصول اليها كبيرا ، الأمر الذي دعاها الى توكيد هذا الرقم وتثبيته في ذهن الرأي العام العالمي ليشعر بمزيد من تأنيب الضمير ومزيد من العطف على الصهيونية بشكل عام . ولقد ناقش علماء كثيرون مبدأ الرقم ـ ستة ملايين ـ وخرجوا بنتائج مذهلة تجعل مجمل الضحايا اليهود يعدون بمئات الألوف . ويعلق على مقولة الأرقام روجيه ديلورم(*) الكاتب الكندي المشهور بقوله : « لم يقم اي برهان او دليل حتى الآن على ان عدد اليهود الضحايا في المعتقلات النازية قد بلغ اربعة ملايين او ستة ملايين فقد تحدث الصهاينة في باديء الأمر عن اثني عشر مليونا ـ ابيدوا في تلك المعسكرات ـ ثم تواضع هذا العدد فانخفض وتناقص كثيرا واصبح النصف ـ اي ستة ملايين فقط ـ ثم انخفض ايضا فاستحال اربعة ملايين ـ اذ ليس بالأمكان ان يقتل الألمان او يبيدوا من اليهود اكثر من [illegible] في العالم آنذاك ـ والواقع ان العدد الحقيقي اقل بكثير من تلك الملايين [illegible]مة . اما المؤرخ والكاتب راوول هيلمبرغ(*) فيعتقد ان العدد لا يزيد عن ثمانماية وست وتسعين الفاً فقط .

ويعود في الواقع اصل طرح الرقم الكبير ـ ستة ملايين ـ الى تصريح لحاييم وايزمان في عام ١٩٣٦ امام اللجنة الملكية البريطانية حول مصير الستة ملايين يهودي

---

( * ) روجيه ديلورم ـ كتاب اني اتهم ـ اصدار دار الجرمق ـ دمشق سنة ١٩٨٠ ـ ترجمة نخلة كلاس صفحة ٢١٢ .

( * ) كتابه دمار يهود اوروبا صفحة ٦٧٠ .



الذين يعيشون في اوروبا اذا ما وقعت حرب عالمية بقوله « ان الاغصان الصغيرة اليانعة هي التي ستنجو اما الباقون فعليهم ان يتحملوا مصيرهم » ومن هنا تصر الحركة الصهيونية على ان الملايين الستة قتلوا جميعا وان إحداً منهم لم ينج من الموت . ثم تحاول هذه الحركة ان تصور طريقة قتلهم وكيف تمت في معسكرات الاعتقال وغرف الغاز ، مغفله جانبين اساسيين ، اولهما ان اعدادا كبيرة من هؤلاء اليهود كتبت لهم الحياة سواء من تم انقاذهم من قبل الحركة الصهيونية للهجرة الى فلسطين او من تمكنت شعوب ودول العالم من حمايتهم وابعادهم عن ايدي النازيين ، كما فعل الاتحاد السوفيتي عندما رحل مليوني يهودي الى الجمهوريات الشرقية . واخيرا وجود مئات الألوف من اليهود في معسكرات الاعتقال احياء عندما حررت المناطق من قبل دول الحلفاء . والجانب الثاني هو ان القضاء على الضحايا لم يتم في معسكرات الأعتقال وغرف الغاز بشكل قاطع وانما وقع جزء من هذه الضحايا بسبب المشاركة في الحروب والقتال وحرب الانصار . وكذلك بسبب الجوع والمرض الذي شمل جميع شعوب اوروبا ومواطنيها . هذا من جهة ومن جهة اخرى فان معسكرات الأعتقال لم تقتصر على اليهود وانما ضمت اناسا من كل الشعوب الأوروبية من محاربين ومفكرين ومثقفين واسرى حرب ومناهضي الفاشية . وتشير مجلة نيوزويك(**) الى ان ثلاثة ملايين جندي سوفيتي من اسرى الحرب ابيدوا في تلك المعسكرات . وملاحظة اخيرة حول هذه الوقائع التي لها حظ كبير من الحقيقة تتعلق بغرف الغاز وغيرها تلك الغرف التي اشيع انها اعدت لقتل الاحياء من اليهود . ففي بحث علمي نشره البروفسور الفرنسي روبير فوريسون(***) تحدى فيه وجود مثل هذه الغرف للأهداف الشائعة وهي قتل الأحياء مؤكداً أنها كانت فقط لحرق الجثث خشية انتشار الأمراض والجراثيم في المناطق .

---

( ** ) مجلة نيوزويك ١٩٧٩/٩/١٧ .

(***) مجلة التاريخ المصور الأيطالية ـ نقلته جريدة الدستور الأردنية ٤ ـ ٦ كانون اثاني ١٩٨٠ .

ان هذا الجانب من الحقيقة لا يحتاج الى كبير جهد لأثباته وتوكيده وتوثيقه ، فقد وقعت الحرب العالمية وسقط ملايين الضحايا ، وان هتلر ـ متزعماً الحركة النازية الفاشية ـ هو الذي اثارها مدفوعا بعقيدة شوفينيه علوية عرقية توسعية ، وانه اسس معسكرات الأعتقال في كل انحاء اوروبا لتستوعب كل خصومه واعدائه ومناوئيه ومن صنفهم شعوبا لا تستحق الحياة . وهو الذي ابتدع غرف الغاز ايضا . الا ان جانبا آخر من الحقيقة بقي في الظلام ، كوجه القمر الآخر الذي لم يستطع الانسان النفاذ اليه الا بعد ان اوتي من سلطان العلم الشيء الكثير ، وآمن بالبحث عن الحقيقة لاظهارها على الناس ، اما من استمرأ الباطل وتعود على الظلم وانزوى في دهاليز الظلام ، وظن ان الدنيا تبدأ بباطله وتنتهي بظلمه وظلامه ، فسيعمل كل ما يستطيع ليبقى الحال على حاله ، ويبقى هذا الجانب مغفلا .

كيف يستطيع اصحاب الخيال الواسع ، والافق الرحب الفسيح ان يتصوروا ان شركة بوت أسست بين نازيي هتلر وبين قيادة الحركة الصهيونية هدفها ـ ولنكن اكثر دقة ـ نتيجتها قتل اليهود ؟ كيف يمكن ان يصدق عقل ان مؤسسة ـ الحركة الصهيونية ـ تتصدى للدفاع عن « شعب » ثم تكون سببا في ابادة هذا الشعب ؟ لقد حدثنا التاريخ عن نيرون الذي احرق روما . ولكن نيرون كان مجنونا ، والجنون يسقط الأدعاء والمسؤولية ، وحدثنا التاريخ ايضا عن زعماء وقادة خانوا شعوبهم وبلادهم وباعوها لأعدائهم . . الا ان هؤلاء القادة والزعماء افراد . . يتحملون وحدهم مسؤولية ما اقترفت ايديهم ، اما ان تتآمر حركة شعبية جماهيرية واسعة على « شعبها » فهذا امر محير ويحتاج الى كثير من التمحيص والتدقيق قبل اطلاق التهمة على عواهنها . ربما تآمر قائد صهيوني ، او مجموعة من افراد القيادة او مجموعات من القيادات . او كل القيادات اما ان تتآمر حركة بكاملها فهذا امر يحتاج الى جهد كبير لتصديقه . اذ ربما كان في الامر مبالغة وربما كان تجنياً . وجائز ان يكون تحاملا خصوصا وان الكاتب مصنف في صفوف اعداء هذه الحركة . . ولكن .



**عند مناقشة الفكر الصهيوني المعلن الذي اعتنقه اتباع الحركة عن قناعة وايمان ، نجد ان هؤلاء يؤمنون بنقاء العرق اليهودي وصفائه ، مثلما آمن هتلر بصفاء العرق الآري ونقائه ، وهي تدعو الى ايجاد حل جذري وحاسم « للمسألة اليهودية » في اوروبا عن طريق الهجرة الى فلسطين . وهتلر يدعو ويمارس ذلك . وهي تدعي ان اللاسامية مسألة ابدية تسري في دم الأغيار ولا يمكن القضاء عليها او التخلص منها ، وتجد فيها المحرك الأساسي للهجرة الصهيونية ، فان لم تكن موجودة يجب ابتداعها ، وان خمدت لا بد من تحريكها ، ويعرّف دافيد بن غوريون الحركة الصهيونية بأنها الهجرة والهجرة فقط وكل من لا يهاجر فهو كافر بالتوراة والتلمود وهو بالتالي ليس يهوديا . ومعروف جيدا ان محرك اللاسامية هو الاضطهاد والقمع وهو بالتأكيد امر مقبول من الحركة الصهيونية .**

ان حصيلة هذه الأفكار تعني الترخيص المفتوح لكل عنصري في العالم وعلى رأس هؤلاء هتلر والنازيون ليتصرفوا باليهود بالشكل الذي يريدون ما دام هذا يضمن هجرة الافراد الى فلسطين . ولم تكتف بمنح هذا الترخيص بل كانت تطلب مزيدا من الضحايا لتتساوى مع تضحيات الشعوب الأخرى في الحرب ، لأنها ترى ان ارتفاع عدد ضحاياها يجعلها تملك حقا اكبر وامتيازا أوسع في الجلوس الى طاولة المفاوضات بعد انتهاء الحرب وتوزيع الغنائم . وحيث انها ـ الصهيونية لم تكن طرفا مقاتلا يقدم التضحيات من خلال الحرب والقتال ، فلا بد لها ان تقدم مادة بشرية تحت اي اسم ليرتفع رقم الضحايا الذي ستفاخر به الأمم يوم الحساب. ففي رسالة وردت من ناتان شوفالف في سويسرا(*) الى الحاخام وايز ماندل في سلوفاكيا يشرح له فيها سياسة الحركة الصهيونية المبنية على نظرية التضحية باليهود فيقول : « انني اكتب للأصدقاء الذين يجب عليهم دائما ان يتذكروا الأمور الأكثر اهمية ، وهي الأساس الذي يجب ان نضعه نصب أعيننا . في النهاية سينتصر الحلفاء وبعد الانتصار سيقسمون العالم من جديد بين الشعوب ، كما حصل بعد الحرب العالمية

---

( * ) من كتاب الأعماق للحاخام وايزماندل .

الأولى عندما فتحوا امامنا الطريق لنخطو الخطوة الأولى . وبعد نهاية هذه الحرب يجب ان نبذل كل الجهود من اجل ان تصبح ارض اسرائيل « دولة اسرائيل » وقد تمت خطة هامة في هذا الشأن ، اما بالنسبة للصرخات التي تأتي من بلادكم فانه يجب علينا ان نعلم ان جميع الشعوب المنتمية للحلفاء تقوم بدفع ضريبة الدم غاليا . واذا لم نقدم نحن الضحايا ، بماذا سنشتري حقنا حتى نتقدم الى مائدة المفاوضات حيث تقوم الدول بتقسيم الشعوب والبلاد بعد الحرب ، ولهذا فان من الحماقة وحتى الوقاحة ـ من جانبنا ـ ان نسأل هذه الشعوب التي تدفع هذه الضريبة ان تسمح لنا بارسال نقودها للمحافظة على دمائنا . انه بالدم فقط ستكون لنا البلاد والوطن » .

وحتى نتجنب الخطأ في اطلاق الشمولية على الصهاينة ـ بمختلف أحزابهم ـ دون بينة ، وحتى نكون أكثر دقة لا بد ان نشير الى ان الحركة الصهيونية كانت منقسمة على نفسها ، قسم يتولى السلطة ، وقسم يمارس المعارضة . الأول هو مجموعة الأحزاب العمالية وعلى رأسها المباي ، والثاني تحريفيو جابوتنسكي اسلاف مناحيم بيجن وعيزرا وايزمان . فاذا تآمر القسم الأول مع النازية باعتباره صاحب السلطة في المؤسسات الصهيونية العالمية ( المؤتمر الصهيوني العالمي ، المؤتمر اليهودي العالمي ، الوكالة اليهودية ، الكيرين كايمت ، الكيرين هايسود ، لجان الأنقاذ والتوزيع ) فهل يمكن اطلاق الاتهام على الطرف الثاني الذي لم يكن شريكا في هذه المؤسسات والسلطة ؟ ان هذا السؤال وارد في حالة واحدة فقط ، وهو وجود اختلاف في المنطلقات النظرية والتطبيقات العملية للفكر الصهيوني لدى الطرفين ، اما اذا اتفقت هذه المنطلقات وتلك التطبيقات ـ وهي كذلك ـ فان السؤال يصبح غير ذي موضوع .

اذا كانت الحركة الصهيونية قد تآمرت عن وعي كامل على يهود اوروبا مع هتلر ، فان هذا يقلل من شأن وثائقية البحث اذا تم الاعتماد اساسا على مصادر غير صهيونية ، ويمكن لأي صهيوني ان يرد على ذلك . . باللاسامية المتأصلة والمتجذرة



ـ حسب قناعتهم ـ في دماء كل شعوب الدنيا ويعزو الهدف من وراء ذلك الى تشويه وجه الحركة « الوطنية » و « القومية » التي قادت خطى « الشعب اليهودي » الى « ارض الميعاد » « ارض الآباء والأجداد » وان « الأحقاد » العربية وغير العربية التي توجه ضد اليهود هي التي تدفع كتابا غير يهود الى مثل هذا التشويه : يكمن في هذه الدعوى جانب مهم من الصحة اذا لم يتم الاعتماد على مصادر صهيونية ويهودية رفيعة وتحدثت بشكل مهيب وواضح عن الدور الكامل للحركة الصهيونية وتعاونها مع هتلر ضد اليهود ، والواقع ان هذه المصادر كان لها اسهام كبير في القاء الأضواء على هذا الجانب .

نعود مرة اخرى لنقول ، كيف نتهم الحركة الصهيونية ، كل الحركة الصهيونية بالتعاون مع هتلر ثم نشير الى كتاب وادباء ومفكرين ومثقفين صهاينة تحدثوا وادانوا هذا التعاون ؟ يقول مثل عربي عامي « اذا اختلف السارقون ظهرت السرقة » وهذا ما حصل مع الحركة الصهيونية اذ عندما حكم « العمل » دولة اسرائيل ، رفضوا منح التحريفيين انصبتهم ، فبدأ هؤلاء بكشف الحقائق وتمزيق ستر البهتان ، لكنهم نسوا في غمرة الحديث دور العماليين ، الحديث عن دورهم ـ أنفسهم ـ المتكافىء والمتساوي مع الآخرين فجاء طرف ثالث ليفضح مواقف الجميع . ولا بد ان نذكر ان كثيرين ممن اعتنقوا الصهيونية وعايشوا مرحلة الحرب ، قد اذهلتهم نتائج التعاون الصهيوني النازي ، وارعبتهم ضخامة ارقام الضحايا ، وصدمتهم فداحة الخسائر فاصيبوا بخيبة امل في حركة لا يمكن ان يصل اجرام في عراقته الى ما وصلت اليه ، الأمر الذي جعلهم يسجلون انطباعاتهم ومشاهداتهم ويعلنون عن براءتهم من تلك الأعمال التي ارتكبت والجرائم التي اقترفت . يضاف الى كل ذلك وقوع وثائق الرايخ الثالث في أيد كثيرة تمكن بعضها من عرض هذه الوثائق التي توضح طبيعة العلاقة والتعاون بين النازيين والحركة الصهيونية .

ان التطرق الى هذا الجانب من الحقيقة الذي يفضح نشاطات الحركة

الصهيونية . يعتبر من المحرمات التي لا يجوز المساس بها او كشف النقاب عنها . وكل من يحاول الوصول اليها او الاقتراب منها ، لن يكون مصيره اقل سوءا من مصير ادولف ايخمان الذي خطف من الأرجنتين بعد ان ادلى بحديث مسهب لمجلة لايف الأمريكية ، كذلك لن يكون احسن حالا من الزعيم الصهيوني اسرائيل كاستنر ، الذي تجرأ فدافع عن نفسه امام المحاكم الاسرائيلية فكانت نهايته الأغتيال على يد ألـ ( شين بت ) في احد شوارع تل ابيب ، وقائمة التصفيات شملت ايضا الصحفي الألماني ( الدكتور كيرين ) الذي امتلك مجموعة من الوثـائق المعدة للنشـر والذي وجد ـ قبل ان ينشرها ـ قتيلا في غرفته في احد فنادق ( المانيا ) والقائمة لا تنتهي .

وعلى الرغم من ذلك فان للباطل جولة ثم يضمحل ، والحق لا بد ان يظهر في النهاية . فاذا عرف العالم نصف الحقيقة ، وكان هذا النصف مرا فان النصف الآخر اكثر مرارة واشد قسوة واعمق اسى . ترى ما هو النصف الآخر ؟ وهل للحقيقة وجه آخر ؟ . . . **ان للحقيقة وجهاً آخـر** .

* * *



# الفصل الأول

## بداية العلاقة بين قيادة الحركة الصهيونية وحكومة المانيا النازية *

## مـن عـام ١٩٣٣ - ١٩٣٩

لم تكن الأفكار العرقية التي طرحها هتلر في بداية حياتـه السياسيـة مجهولـة بالنسبة لأحد ، كما لم تكن وجهة نظره تجاه اليهود خافية على احد ، فقد وضعها من خلال كتاباته وخطاباته موضعاً لا يقبل التأويل او التفسـير ، وعندمـا سمى هتلر مستشارا للرايخ الألماني الثالث في كانون الثاني سنة **١٩٣٣** اصبحت السياسة العرقية العنصـرية ، سيـاسة الحكـومة الألمـانية الـرسمية وشهـد هذا العـام ايضا بـداية الاتصالات السرية بين قيادة الحركة الصهيونية والمانيا النازية ، هذه الأتصالات التي بقيت طي الكتمان ردحا طويلا من الزمن بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية . ولما بدأت الأضواء تلقى عليهـا كانت ردة فعـل الحركـة الصهيونيـة انها اقامت هـذه العلاقات لانقاذ حياة اليهود من الاضطهاد الألماني النازي ، وهذه في الواقع حجة مقبولة اذا اخذت مجردة عن التفاصيل والملابسات التي رافقتها والتي بقيت مجهولة لدى الانسان العادي ، وخاصة الأنسان اليهودي الذي قبلها مقتنعاً ان قيادته كانت حريصة على انقاذ ما يمكن انقاذه ، الا ان هذه القناعة الهشة لم تستمر طويلا حيث بدأ بعض زعماء الحركة الصهيونية بالقاء الأضواء على الحقيقة . ففي عام **١٩٦٦** وفي

---

( * ) اتفاقية هعفارا .

لقاء نظمته جريدة معاريف الاسرائيلية شارك فيه اليعازر ليفنه الذي كان يشغل منصب رئيس تحرير المجلة الناطقة بأسم الهاغاناه أبان الحرب العالمية الثانية ، قال ليفنه « انه بالنسبة للزعامة الصهيونية لم يكن انقاذ اليهود غاية بحد ذاتها بل مجرد وسيلة لاقامة دولة يهودية في فلسطين »[1] .

مما لا شك فيه ان النازية كانت ترغب في التخلص من الألمان ذوي الديانة اليهودية . كما ان الحركة الصهيونية كانت ترغب في الاستفادة من بعض هؤلاء اليهود الراغبين والقادرين على اقامة الدولة اليهودية في فلسطين ، لذلك فقد التقت الرغبتان على هدف واحد كان ضحيته بقية اليهود وهم الغالبية العظمى . ولقد كانت ميكانيكية تحقيق هذا الهدف تسير ضمن ثلاثة خطوط تصب حصيلتها فيه ، وهي ترفد بعضها البعض لتحقيقه . وقد انسجمت هذه الخطوط الثلاثة انسجاما فعليا كاملا وهي : -

١ - الأتفاق الذي عقد في مطلع الحكم النازي بين شركة هانوتيا ووزارة الأقتصاد الألماني والذي تحول فيما بعد الى اتفاق بين الوكالة اليهودية والحكومة الألمانية عرف بأسم اتفاقية هعفارا ( النقل ) .

٢ - جملة الممارسات الأرهابية التي قامت بها السلطات الألمانية لدفع اليهود الى الهجرة مضافا اليها التشريعات العنصرية التي سنتها تلك الحكومة لتحقيق نفس الغرض .

٣ - موقف الحركة الصهيونية الألمانية والقيادة الصهيونية في الخارج من القوانين العنصرية والممارسات الأرهابية والمقاطعة اليهودية العالمية للبضائع الألمانية .

---

( ١ ) كلاوس بولكن - مقال بعنوان : اتصالات الصهاينة السرية بألمانيا النازية ١٩٣٣ - ١٩٤٥ نشر في المختار من مجلة الدراسات الفلسطينية عدد ٢ سنة ١٩٧٦ - جامعة الكويت .



# القسم الأول

## اتفاقية هعفارا *

في كتابه دولة اليهود اقترح تيودور هيرتزل انشاء مؤسستين لخدمة الأهداف الصهيونية ، مؤسسة للتمثيل السياسي العام على المستوى الدولي ، ومؤسسة اقتصادية واجبها القيام بالأشراف على تصفية ثروات مواطني العالم من الديانة اليهودية والأشراف على نقلها الى منطقة الأستعمار الصهيونية[2] .

ولقد تجسدت المؤسسة الأولى في تأسيس المنظمة الصهيونية العالمية والتي مارست نشاطها مع نهاية المؤتمر الصهيوني الأول في بازل ٢٩-١٨٩٧/٨/٣١ .

بينما اقتصر نشاط المؤسسة الأقتصادية الصهيونية التي عرفت آنذاك بأسم الشركة اليهودية على جمع التبرعات الصهيونية واستثمارها ضمن مخططات المنظمة الصهيونية العالمية لأن اليهود لم يفكروا بتصفية وجودهم وممتلكاتهم في اوطانهم والرحيل الى المستوطنة الصهيونية ، كذلك لم تفلح معهم وسائل الأقناع العادية بضرورة عمل ذلك الأمر الذي جعل الحركة الصهيونية تستبشر بقدوم هتلر الى الحكم بما يحمله من افكار وآراء ومواقف تجاه اليهود بحيث تصبح الأرض خصبة ليفكر هؤلاء بضرورة الرحيل ، وللمرة الأولى والوحيدة تنجح المنظمة الصهيونية في

---

( * ) هعفارا كلمة عبرية تعني ( النقل ) باللغة العربية .

( ٢ ) The Jewish State , Theodor Herzl - London 1972 , Page 33 ,34 .

وضع مخطط لبناء مؤسسة اقتصادية عالمية هدفها تصفية ثروات الألمان على امل ان تلقى هذه المؤسسة ظلالها على كل يهود العالم في كل مكان وهكذا نشأت اتفاقية هعفارا .

تشير الأحصائيات الى انه كان يوجد في المانيا سنة ١٩٣٢ (٥٠٣ر٠٠٠) يهودي يشكلون ٧٦ر٠ بالمئة من مجموع السكان وكان ٣١٪ من مجموع اليهود الألمان يقطنون في العاصمة برلين كانوا يشكلون ٤ر٣ بالمئة من مجموع سكان المدينة .

ولقد كان معظم اليهود الألمان إما لا صهيونيين او معادين للصهيونية ، وقبل سنة ١٩٣٧ وجد الاتحاد الصهيوني لألمانيا ( ZVFD ) صعوبة كبرى في اسماع صوته إليهم ، فبين يهود المانيا الذين احصوا عام ١٩٢٥ مثلا كان هنالك ٨٧٣٩ شخصا فقط ( اقل من ٢٪ ) يستطيعون الأقتراع في المؤتمرات الصهيونية ( اي انهم اعضاء في المنظمات الصهيونية ) .

وفي تقرير قدمه الكيرين هايسود الى الدورة الرابعة والعشرين للاتحاد الصهيوني الألماني في تموز سنة ١٩٣٢ ، جاء فيه ما يلي : « في معرض تقويم عمل الكيرين هايسود في المانيا يجب ان لا يغرب عن البال اننا نتعامل ليس مع لا مبالاة الدوائر اليهودية الكثيرة بل ايضا مع مواقفها العدائية » .

وفي الوقت الذي كان الصهيونيون أقلية صغيرة ولا أهمية ولا نفوذ لها بين يهود المانيا كانت المنظمات غير الصهيونية هي التي تقوم بالدور الرئيسي بينهم ، وعلى رأس هذه المنظمات كان يوجد الأتحاد المركزي للمواطنين الألمان من ذوي الديانة اليهودية ( CV ) الذي تأسس سنة ١٨٩٣ والذي كان يعتبر اليهود الألمان كما يدل اسمه المانا وكان يرى واجبه مكافحة اللاسامية . وانسجاما مع هذا الموقف الاساسي فان الاتحاد المركزي (CV) اعلن رفضه البات للصهيونية ووقف قبل اي منظمة اخرى في مقدمة الفئات والمنظمات التقدمية التي وقفت تكافح اللاسامية ، ولقد اشار الى هذا الموقف الكاتب اليهودي فيرنر . أي . موسى بقوله : « رأى قادة الأتحاد



المركزي ( CV ) ان واجبهم الخاص ان يمثلوا مصالح يهود المانيا في الصراع السياسي الناشط في حين ان الصهيونية كانت تدعو الى عدم اشتراك اليهود في الحياة الألمانية العامة . وكانت ترفض من حيث المبدأ أي مساهمة في الصراع الذي كان يقوده الأتحاد المركزي ( CV )[٣] .

ولقد تحدد موقف الصهيونية ازاء التهديد العدواني للسيطرة الفاشية في المانيا نتيجة بعض المنطلقات العقائدية المشتركة ، فقد كان الفاشيون الصهيونيون يؤمنون بنظريات عرقية غير علمية ، كما التقى الطرفان على ارضية واحدة في اعتقادهم تعميمات صوفية مثل ( الشخصية القومية ) والعرق ، وكان كلاهما يتصف بالشوفينية ويميل نحو التفرد العرقي الحصري ، ففي الوقت الذي يسجل البرنامج الصهيوني مفهوم الشعب اليهودي المتجانس ، اي ان معيار الشعب اليهودي ليس التصريح باعتناق الدين وانما هو شعور شامل بالأنتماء الى مجموعة عرقية تربط بين افرادها روابط الدم والتاريخ وتصمم على الاحتفاظ بشخصيتها القومية الفردية في نفس الوقت نرى الفاشيين يستعملون نفس التعابير ويرحبون بالمفاهيم الصهيونية[٤]

على هذه الأرضية الفكرية المشتركة وعلى ضوء التقسيمات السياسية بين اليهود والألمان نشأت علاقات التعاون ذات الطابع الأقتصادي الظاهر بين الحركتين العرقيتين الفاشية والصهيونية ، وكانت الخطوة الأولى من جمعية ( الهانوتيا ) التي شكلتها الأوساط الأستيطانية الصهيونية في فلسطين والتي كانت تملك مساحة كبيرة من الارض في منطقة مدينة ناتانيا الحالية في فلسطين ، وبتكليف من هذه الجمعية سافر سام كوهن الى المانيا ونجح في ١٩٣٣/٥/١٩ في الحصول من وزارة الأقتصاد الألمانية على رخصة بتحويل مبلغ مليون مارك ، وذلك بان تتلقى الشركة دفعات

---

( ٣ ) كلاوس بولكن .

( ٤ ) موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ـ د . عبدالوهاب المسيري ـ مركز الدراسات الأستراتيجية والسياسية ـ القاهرة ـ ١٩٧٥ ـ صفحة ٣٩١ ـ ٣٩٤ .

نقدية بالمارك ( ضمن حدود المبلغ المحدد ) من المهجرين اليهود لشراء سلع المانية تصدر الى فلسطين على ان تكون السلع مخصصه لاستهلاك الشركة(٥) . الا ان هذه الشركة استطاعت في ١٨ تموز من نفس العام الحصول من وزارة الأقتصاد على ترخيص بتحويل مبلغ ثلاثة ملايين مارك دون ان تلزم نفسها بتخصيص السلع المشتراه بها لاستهلاكها الخاص(٧) . ولما كان مثل هذا العمل من اختصاص المؤسسات العامة الصهيونية اذ انه يتحقق بسياسة الهجرة ونقل الأموال الى فلسطين ، لذلك قام الممثلون الأساسيون للاقتصاد في فلسطين بزيارة قنصل المانيا العام واقترحوا جعل البنك الفلسطيني ـ البريطاني صاحب الحق في الترخيص العام بالتحويل . وكان ان نصح القنصل وزارة الخارجية بقبول الأقتراح .

بسبب هذا الأقتراح تخلت شركة هانوتيا عن الترخيص الخاص الممنوح لها وفي ٨ آب ١٩٣٣ عقدت في وزارة الأقتصاد الألمانية محادثات حاسمة مع مندوب الحكومة ( هاركشتاين ) اشترك فيها هوفيان مدير بنك انجلو فلسطين وممثلون عن هانوتيا ، ابلغ بعدها وزير الأقتصاد الألماني هوفيان عن استعداده لتوسيع الأساس العام للاتفاق المعقود مع شركة هانوتيا بهدف منح اليهود والمهاجرين من المانيا الى فلسطين امكانية اكبر لنقل ثرواتهم وتعزيز تصدير السلع الألمانية الى فلسطين في الوقت ذاته(٧) ، وقد تضمن الاتفاق الأسس التالية : « ان المهاجرين الذين يمنحهم مكتب الهجرة الأستشارية شهادة تثبت ضرورة حصولهم على مبلغ يتجاوز الألف جنيه استرليني المصرح بها ليتمكنوا من تأسيس حياتهم الجديدة في فلسطين ، يستطيعون بالاستناد الى هذه الشهادة(٨) اخذ موافقة بايداع المبلغ الزائد عن مجموع الألف جنيه ( كانت

( ٥ ) تحويل رؤوس الأموال الى فلسطين من ١٩٣٣ ـ ١٩٣٩ ـ لودفيج بينز ـ من كتاب في عالمين ، بمناسبة عيد الميلاد ال٧٥ لموسى هيس ـ لجنة الدراسات الفلسطينية سنة ١٩٧٩ .

( ٦ ) وثائق حول السياسة الخارجية الألمانية ١٩١٨ ـ ١٩٤٥ ـ داجنتسين سنة ١٩٦٠ مجلد ١ـ سلسلة آي ـ وثيقة ٣٦٩ .

( ٧ ) المصدر السابق رقم الوثيقة ١٣٦٠/٥٠ .

( ٨ ) نموذج شهادة تحويل ( هعفارا ) باللغة العبرية .



تساوي ١٥ الف مارك ) في رصيد خاص ذي الرقم ـ ١ ـ لدى مصرف مجتمع الهيكل المحدود عن طريق مصرف الرايخ الرئيسي لحساب جمعية إئتمانية ستقام في فلسطين ( تحول الى المصرف الأنجلو ـ فلسطين لحين اقامة الجمعية ) ، ان الرصيد الخاص لحساب رقم ( واحد ) الذي تقرر ان يخصص له مع رصيد الحساب رقم ( أثنين ) الذي سيرد ذكره تاليا ، ان رصيد الحسابين هو ثلاثة ملايين مارك الماني في البداية سيفتتح مصرف الهيكل لرصيد إئتماني لحساب الجمعية اليهودية الائتمانية المذكورة . ومن هذا الرصيد ستدفع قيمة السلع الألمانية المصدرة الى فلسطين على ان تدفع الجمعية اليهودية للمهجرين مبلغا يعادل قيمة ودائعهم من الأموال التي سيدرها بيع السلع الألمانية في فلسطين ، وذلك حسب تسلسل اسمائهم وقيمة ودائعهم في الحساب الخاص رقم ( واحد ) على ان يكون الدفع بالجنيه الفلسطيني . وقد تأسس مكتب فلسطيني لتقديم المشورة لليهود الألمان ( شركة مساهمة محدودة ) مقره في برلين شارع فردريك رقم ٢١٨ كي يقدم لليهود الألمان النصح حول القضايا الناجمة عن هذا الشكل من تحويل رؤوس الأموال الى فلسطين (٩) .

اما الحساب رقم ( اثنين ) الذي ورد ذكره اعلاه فقد تم من اجله افتتاح حساب خاص لدى مصرف الرايخ الرئيسي ، تخول بموجبه الجهات الأقتصادية الألمانية المشرفة على القطع ان تمنح لمواطني الدولة الألمانية من اليهود الذين لم يهجروا بعد ( ولكنهم راغبون منذ الآن في اقامة ملجأ يهودي لهم في فلسطين ) ترخيصا بدفع مبالغ تصل الى خمسين الف مارك للشخص الواحد تسجل لصالح حساب المصرف الأنجلو ـ فلسطين ـ وهكذا اسست بنتيجة الأتفاقية التي تم التوصل اليها في برلين شركتان : شركة هعفارا في تل ابيب وشركة تقابلها في برلين اسمها بالترو ( Paltreu ) كما اسس الصهاينة شركة فلسطينية للملاحة خاصة بهم ، وقد اشترت هذه الشركة الباخرة الألمانية ( هوهنتشاين ) والتي سميت فيما بعد ( تل ابيب ) ومن المصادفات

( ٩ ) لودفيج بينز صفحة ٥ .

الغريبة ان هذه الباخرة عندما ابحرت في اول رحلة لها من المرفأ الألماني بريمرهافن الى حيفا في بداية سنة ١٩٣٥ وصلت والصليب المعكوف يرفرف على صاريها بينما كتب على مؤخرتها اسمها الجديد باللغة العبرية ، اما قبطانها فكان العضو المسجل في الحزب النازي واسمه ليديج ( Leidig ) (١٠) .

كان هذا الأتفاق يشمل الأفراد اليهود فحسب الذين يرغبون في الهجرة او الذين يمكن ان يهاجروا في المستقبل الى فلسطين ولكنه لم يشمل الأموال اليهودية ذات النفع العام ولذلك تحركت الأوساط الصهيونية في فلسطين وألحقت بطلب شمول الأتفاقية لهذا النوع من الأموال . ولهذا الغرض فقد اوصى القنصل الألماني في فلسطين بتاريخ ١٩٣٣/٦/٢٤ بان تقبل المانيا طلبا قدم من ( أوسيشكين ) صاحب النفوذ الكبير في مؤسسة الكيرين كيميت لاسرائيل ( صندوق أرض اسرائيل ) بشأن تحويل اموال هذه المؤسسة من المانيا الى فلسطين في اطار اتفاق التحويل وقد اكد القنصل ان قبول مثل هذا الطلب سيكون بمثابة بادرة حسنة من الحكومة الألمانية ودليلا على استعدادها لتقديم تنازلات معينة في المجال الأقتصادي . وقد لقيت مقترحات القنصل آذانا صاغية في برلين ، اذ انه تم الاتفاق مع البنك الأنكلو ـ فلسطيني يمنح الكيرين كاييمت الحق بتحويل اموالها(١١) .

ان من اهم الأهداف التي دعت الحركة الصهيونية لتحقيق مثل هذا الأتفاق هو تمويل هجرة الشباب والعمال من الطبقات الفقيرة غير القادرين على تأمين مبلغ الف دينار فلسطيني ( وهو المبلغ الذي قررته الحكومة البريطانية للسماح للمهاجرين بموجبه من دخول اراضي فلسطين ) وبذلك تكون الحركة الصهيونية قد فازت بإحضار طبقتين مهمتين لعمليات الأستيطان ، الطبقة الأولى هي اصحاب رؤوس الأموال والمصانع والمعامل ، والثانية هي مجموعة الشباب والعمال الضروريين لتسيير

(١٠) كلاوس بولكن .

(١١) الرايخ الثالث وارض اسرائيل ، دافيد يسرائيلي ، باريلان سنة ١٩٧٤ بالعبرية صصفحة ١٢٧ ، ١٢٨ .



المصانع والمعامل من جهه والقيام بالأعمال العسكرية والعدوانية من جهة اخرى .

وكل هذا ايضا يصب في ساحة تكثيف التواجد اليهودي الصهيوني في فلسطين ليصبح فيما بعد اغلبية قادرة على بسط نفوذها على كل ارض فلسطين سواء من ناحية العدة والأمكانيات او من ناحية العدد الذي بدأ يتزايد بفضل السياسة الألمانية الفاشية .

لقد سرى مفعول هذه الأتفاقية ست سنوات اي منذ عام ١٩٣٣ ـ ١٩٣٩ وتم تحويل ( ٤٩٠ر١٠١ر٨ ) جنيها فلسطينيا من اموال يهود المانيا وهي تعادل ( ١١٠ر٥٦٨ر١٣٩ ) رايخس مارك . ووفقا لأرقام قسم الأحصاء في الوكالة اليهودية فانه خلال تنفيذ اتفاق التحويل ارتفعت الواردات الألمانية الى ( ارض اسرائيل ) بنسبة كبيرة اذ وصلت نسبة الارتفاع في عام ١٩٣٣ الى ٧٣ر١٠٪ من الأستيراد العام وفي العام ١٩٣٤ وصل الى ٢٤ر١٠٪ وفي عام ١٩٣٥ وصل الى ٣٠ر١٢٪ وفي عام ١٩٣٦ وصل الى ٦٠ر١٤٪ وفي عام ١٩٣٧ وصل الى ٣٥ر١٦٪ وفي عام ١٩٣٨ وصل الى ٧١ر١٢٪ ( أي في الشهور العشرة الأولى فقط ) .

يخول اتفاق التحويل حق الامتياز الوحيد على التجارة من المانيا خاصة الماكينات ومواد البناء والأسمدة الكيماوية . ولكن عندما ازداد النقص في المواد الخام وازداد تسلح الرايخ الثالث وعندما بدأ في خطة السنوات الاربع وكان ذلك في عام ١٩٣٦ بدأ تقليص الاتفاق ومنع تصدير المنتجات التي تشمل مواد خام كلفت المانيا نفسها عملة صعبة او ان هذه المواد كانت مطلوبة لألمانيا من اجل التسليح(١٢) ولكن هذاالتقليص لم يؤثر على نسبة الواردات الألمانية الى فلسطين ولم يؤثر ايضا على نوعية المواد المطلوبة لأن شركة هعفارا كانت قد تعاقدت سلفا على كميات كافية منها . ولعل الملفت للنظر ان الاتفاق هذا لم يلغ اطلاقا بصورة رسمية ولكن ظروف الحرب هي التي ادت الى تقليصه فقط .

(١٢) المصدر السابق صفحة ١٢٤ .

بسبب هذا الأتفاق فقد نما الأقتصاد الصهيوني الرأسمالي في فلسطين وليس من قبيل الصدفة ان تكون معظم المشاريع المهمة في اسرائيل اليوم قد تأسس أو ادير من قبل مهاجرين قدموا من المانيا ، فقد تأسس اكبر مصنع لسبك المعادن وكذلك تأسست صناعة الأسمنت على يد المدير السابق لشركة كهرباء ومياه برلين الدكتور كارل لنداو . كما أسست مصرف ليئومي مجموعة من الشخصيات الألمانية وعلى رأسهم الدكتور ارنولد بارت من برلين والدكتور سيجفريد ساهلها ين من هامبورغ وهربرت فورد من برسلاو . بالأضافة الى جملة مشاريع اقتصادية ضخمة اسسها وادارها المهّجرون من المانيا(١٣) .

لم تقتصر اتفاقية التحويل على ارض فلسطين بل تجاوزتها ـ بناء على طلب الوكالة اليهودية وتوصية القنصل الألماني في القدس ـ لتشمل البلدان العربية المجاورة مثل سورية والعراق ولقد اصطدم هذا التوسيع في البلدان بمعارضة وزارة الأقتصاد الألمانية خوفاً من أن يضر هذا بالصادرات المنتظمة لهذه البلاد ، اي الصادرات بالعملة الصعبة . لكن الوزارة وافقت في نهاية الأمر واقيمت لهذا الغرض شركة فرعية لشركة التحويل استطاعت ان تدخل البضائع الألمانية الى البلدان المجاورة الى فلسطين وخاصة العراق .

اختلفت المصادر المعتمدة في تحديد العدد من المهّجرين الألمان الذين وصلوا الى فلسطين في الفترة من ١٩٣٣ ـ ١٩٣٩ فبعضهم قدر بأربعين الفاً والبعض الآخر بخمسين الفاً والثالث بستين الفاً . ويبدو أن الرقم الأخير هو الأقرب الى الصحة(١٤) فاذا اضفنا الى هذا العدد ، اعداد اليهود الآخرين التي قدمت من بلدان أخرى والتي اصبحت بمجموع ٢١٠ آلآف يصبح مجموع اليهود المستوطنين في فلسطين في تلك الفترة حوالي اربعماية الفاً مقابل حوالي تسعماية وخمسين الف عربي وهذا يعني ان

(١٣) كلاوس بولكن .

(١٤) مذكرات جولدامائير ـ دار المسيرة ـ بيروت سنة ١٩٧٠ صفحة ١٢٠ .



الأغلبية العربية الساحقة بدأت تنحسر امام موجات الهجرة المتلاحقة التي سميت فيما بعد ( الهجرة الخامسة ) او ( العليا الخامسة ) ويعود الفضل الى هعفارا في ان ٣٥٪ من مهجّري المانيا صنفوا تحت بند اصحاب الشهادات التي تثبت كونهم رأسماليين وهذا ما يفسر الى حد كبير الأزدهار الأقتصادي الذي شهدته فلسطين في الثلاثينات في الوقت الذي كانت تعاني فيه معظم بلدان العالم من الركود الأقتصادي نتيجة الأزمة الأقتصادية العالمية آنذاك ، ولذلك فان البلاد لم تعرف البطالة بل نمت فيها صناعات كثيرة بسبب رؤوس الأموال الضخمة التي وصلت اليها تطبيقاً لاتفاقية هعفارا ، اذ أن الأرقام الرسمية المسجلة لدى الوكالة اليهودية التي اشرنا اليها اعلاه لا تمثل حقيقة ما وصل فعلا من اموال ولا بد من القول ان مجموع اليهود الذين غادروا المانيا في نفس الفترة بلغ ١٣٥ الفاً ، لم يصل منهم الا في حدود ستين الفاً الى فلسطين والسؤال الذي لا بد من الأجابة عليه هو لماذا لم يرحلوا جميعا الى فلسطين ؟ .

## لماذا كانت هعفارا ؟

اثارت الأتفاقية طيلة ست سنوات جدلاً في الأوساط الألمانية الحزبية والحكومية والشعبية ، وقد تعصبت كل فئة لرأيها وموقفها محاولة في النهاية فرضه ليكون السياسة الرسمية للحكومة تجاه الحركة الصهيونية وقد اثرت في وجهات النظر المختلفة عوامل ايدولوجية واقتصادية وسياسية جعلت الخلاف حادا وبلورته في اتجاهين اثنين . وقبل ان نخوض في بحث تفاصيل آراء ومواقف الجهات المختلفة سنرى ما هي المبررات التي أدت الى عقد الأتفاقية من وجهة النظر الصهيونية :

١ ـ كان أثر المقاطعة التي فرضت ضد السلع الألمانية ملموسا في أوساط اقتصادية واسعة مما أخاف الحكومة من الفقدان المستمر لأسواق التصريف وقد ارادت الحكومة من الأتفاقية مع الجهات الصهيونية ان تحدث تأثيرا مناسبا لدى يهود البلدان الأجنبية وخاصة امريكا ، فضلاً عن ذلك فان المانيا قلقة على مصير تجارتها

مع الشرق فيما لو قام يهود فلسطين بتنظيم المقاطعة داخل البلدان المجاورة .

٢ ـ في مقدمة الأهداف التي سعت اليها السياسة الأقتصادية الألمانية خلق فرص عمل من خلال التشغيل الأضافي للصناعة الألمانية ، ومن ثم القضاء على البطالة التي كانت متفشية في المانيا وغيرها .

٣ ـ كانت فلسطين البلد الوحيد الذي يمكن توجيه هجرة مستمره وذات حجم كبير اليه وكانت تسهيلات التحويل للطبقة الوسطى اليهودية تعني تعزيز هجرة العائلات وتقوية قدرة البلاد بطريقة غير مباشرة على استيعاب العمال الذين ربطت حكومة الأنتداب هجرتهم بطاقة الأقتصاد في فلسطين على استيعابهم .

٤ ـ العزلة السياسية الخارجية التي فرضت على النظام النازي منذ ان تصدر الحكم في المانيا .

٥ ـ احتمال قيام بولنده بحرب وقائية ضد النظام النازي .

٦ ـ عدم وضوح السياسة الداخلية التي يزمع النظام اتباعها[١٥] .

لكل هذه الأسباب ـ كما ترى المراجع الصهيونية ـ اقدمت المانيا الهتلرية على عقد اتفاقية هعفارا . ويبدو من خلالها وكأن النازية ارادت ان تحل مشاكلها الأقتصادية وغير الأقتصادية فقط ، بصرف النظر عن الأهداف السياسية المشتركة التي تربط النظريتين ( النازية والصهيونية ) وبصرف النظر عن تطلعات كليهما التوسعية . حتى ان هذه المراجع تعتبر الأتفاقية مبادرة شخصية من هوفين المدير العام للمصرف الأنكليزي الفلسطيني ولذلك كثيرا ما يطلق عليها اتفاقية هوفين لتبقى المسؤولية كلها محصورة بشخص واحد وحتى تظهر الأتفاقية انها اتفاقية شخصية لا علاقة للمؤسسة الصهيونية بها . والواقع أن المفاوضات التي دارت قبل توقيع الأتفاقية كانت باشراف الأتحاد الصهيوني لألمانيا وبوجود حاييم ارلوزوروف الذي

(١٥) دافيد يسرائيلي صفحة ١٣٥ .



كان يشغل وقتئذ منصب رئيس الدائرة السياسية للوكالة اليهودية وان المؤتمر الصهيوني العالمي ( التاسع عشر ) الذي عقد في لوزان عام ١٩٣٦ وافق عليها واعتمدها .

كذلك فان اشارة المصادر الصهيونية وتأكيدها على ان المانيا النازية عقدت هذا الأتفاق من اجل التخلص او تجاوز المقاطعة اليهودية العالمية ضدها يعتبر مخالفاً للواقع لأن المقاطعة لم تكن تحمل طابع الشمولية . وقد أشار الى هذا ناحوم جولدمان اذ قال[١٦] : « إن كثيراً من الفئات اليهودية رفضت المشاركة في المقاطعة إما لانه صدف ان كانت شركات يهودية كثيرة هي الوكيلة لأعمال المؤسسات التجارية والألمانية أو لأن بعض المنظمات اليهودية وتلك الموجودة في الولايات المتحدة بالتحديد ، أخذت موقفاً مفاده أنه من غير الوطنية القيام بتنظيم مقاطعة ضد بلد بينه وبين بلده ( امريكا ) علاقات تجارية طبيعية .

وحجة الحركة الصهيونية بان فلسطين هي الأكثر استيعابا للمهاجرين اليهود وبشكل منظم من غيرها من البلدان ولذلك عمدت السلطات الألمانية الى عقد الأتفاقية لتوجيه الهجرة اليها هي حجة ضعيفة جدا لأن اليهود الذين وصلوا اليها لا يشكلون أكثر من ١/٨ يهود المانيا فقط وكذلك يشكلون اقل من نصف اليهود الذين غادروا المانيا في الفترة ما قبل الحرب بينما توجهت الأغلبية الى بلدان اوروبا الغربية وامريكا . اما الأستفادة من القطع النادر كدافع لابرام الأتفاقية فانه من السذاجة التفكير بان دولة عظمى مثل المانيا ـ تدخل حربا بعد سنوات ضد العالم اجمع ـ بحاجة الى قطع نادرة في حدود ثلاثة ملايين مارك ، هذا مع العلم ان هذه الأموال كانت تدفع بالقطع المحلية وليس بالقطع النادر وتستبدل بالبضائع والمعدات والمصنوعات الألمانية التي ربما كان قسم منها مستوردا بالقطع النادرة ، وهذا يعني ان العملية من الناحية الأقتصادية هي خسارة بحتة لألمانيا .

(١٦) حياة ناحوم جولدمان بقلمه ـ كولون برلين سنة ١٩٧٠ صفحة ١٩٦ .

## هعفارا بين معرضيها ومؤيديها من الألمـان :

نوقشت قضية هعفارا بين الأوساط الألمانية من خلال زاويتين اولاهما المسألة اليهودية التي تعتبر بالنسبة للنازية مسألة عقائدية لا بد من حلها والخلاف هنا هل تحل من خلال خروج اليهود الى فلسطين والتخلص منهم بهذا الأسلوب أم بقاؤهم رهائن لدى المانيا يمكنها بواسطة احتجازهم ان تبتز اليهودية العالمية ودول الغرب بشكل عام . اما الزاوية الثانية فهي زاوية سياسية اقتصادية تتعلق بالوضع العام في فلسطين والمنطقة العربية ومصلحة المانيا في مصادقة العرب أو معاداتهم ، لأن استمرار مثل هذه الأتفاقية يجعل موقف العرب صعباً من الناحية البشرية حيث سيزداد عدد اليهود بشكل يطغى على العرب ، ومن الناحية الأقتصادية حيث ان الأتفاقية تعطي دعما مباشراً للجالية اليهودية في فلسطين ، ومن الناحية السياسية تعني الأتفاقية أن المانيا تقف الى جانب إقامة دولة يهودية من خلال إصرارها على تجميع اليهود في فلسطين ، يضاف الى كل هذا موقف الجالية الألمانية والتي تعد نحو الفي شخص بدأوا يشعرون بالحرج الشديد من موقف حكومتهم تجاه العرب وفي نفس الوقت بدأوا يرون ان حكومتهم فضلت اليهود في تعاملها الأقتصادي مع المنطقة عليهم ، من خلال منحها لليهود بموجب اتفاقية هعفارا امتيازاً لتصريف البضائع الألمانية ليس في فلسطين فحسب بل في المنطقة العربية المجاورة لها ايضا ضمن هذا الجو من الجدل السياسي الحاد نوقشت اتفاقية هعفارا واستمر النقاش فترة طويلة من الزمن الى ان حسمه هتلر فيما بعد وانتصر اصحاب الرأي القائل باستمرار الأتفاقية دون النظر لأي اعتبار آخر مهما كان .

### أ - الجالية الألمانية في فلسطين :

لم تكن هذه الجالية راضية اطلاقا عن اتفاق التحويل منذ بداية تنفيذه ، ولم يسلموا بحقيقة أن مؤسسة يهودية حصلت على امتياز التجارة الألمانية لفلسطين ، حتى ان مندوب هؤلاء وهو القنصل الألماني في يافا ( ت . فيرست ) ( T. Werst ) أثار



في أحد لقاءاته في وزارة الخارجية الألمانية عام ١٩٣٧ سؤالاً حول ما اذا كان هتلر مستعداً لأن يسمح ببقاء اليهود في المانيا ( تحت المراقبة ) بدلا من ارسالهم الى فلسطين ، وقد استعان هؤلاء الألمان سكان فلسطين ( تمبلريم ) في معارضتهم لأتفاق التحويل برابطة الألمان من سكان الخارج وهذه الرابطة كانت برئاسة ( هجوليتر بوهلا ) الذي عمل في اطار الحزب النازي وفي عام ١٩٣٦ استعانوا بتأييد القنصل الألماني الجديد في القدس ( دوهل ( Deohle ) الذي عارض هو الآخر اتفاق التحويل لأنه اعطى اليهود امتياز التجارة مع فلسطين وقد وجد هؤلاء الألمان ايضا في عرب فلسطين حليفاً طبيعياً اذ أنهم متحدون في معارضتهم لهذا الاتفاق لأنه يساعد على هجرة اليهود وتقوية ( اليشوف ) وقد أشار القنصل ( دوهل ) في رسائله العديدة الى وزارة الخارجية بشأن تغيير أو الغاء التحويل لأن بقاءه سيصيب الرايخ الثالث بفقدانه تأييد العرب(١٧) . كما قدمت مذكرة من احد العاملين في هيئة الحزب النازي التي تعنى بشؤون المواطنين الألمان في الخارج قدم الى وزارة الخارجية أكد فيها ان اتفاقية هعفارا تضع كامل الصادرات الألمانية الى فلسطين في خدمة تحويل رؤوس اموال اليهود من المانيا الى فلسطين لذلك فان اولئك الزبائن الآريين اليهود في فلسطين ، الذين يستوردون البضائع الألمانية مرغمون على دعم هجرة اليهود واضافت المذكرة بأن التحويلات بموجب الاتفاقية تعادل اقتصاديا تصريف البضائع بدون مقابل اقتصادي سواء بالقطع الأجنبي او على شكل بضائع . وهذا يعني سياسيا دعما هاما لتشكيل دولة قومية يهودية بمساعدة رأس مال الماني(١٨) .

### ب - الدوائر السياسية والأقتصادية في برلين :

عارضت الأتفاقية بشدة الدائرة السياسية في وزارة الخارجية وطالبت بالغائها

---

(١٧) وثائق حول السياسة الخارجية الألمانية ، السلسلة ( D ) مجلد ٧ وثيقة رقم ٥٧٧ بتاريخ ١٩٣٨/١/١٤ و ٥٨٧ تاريخ ١٩٣٨/١١/١٢ .

(١٨) المصدر السابق وثيقة رقم ٥٦٢ تاريخ ١٩٣٧/٦/٥ .

او تعديلها لأنها حسب رأي الدائرة ـ تخلق ظروفا للألمان في فلسطين والعرب ـ لا يمكن تحملها ولدى استمزاج رأي وزارة الأقتصاد الألمانية تبين انها لا تؤيد التعديل فحسب بل تؤيد الغاءها واستبدالها بنظام جديد . ففي مذكرة قدمها قسم الشؤون الداخلية بوزارة الخارجية اشار ايضا الى ان اتفاقية هعفارا سببت نزاعا حادا في دوائر الدولة المختلفة ، وان هذا القسم طالب منذ فترة طويلة بالغاء الأتفاقية للأسباب التالية :ـ(١٩)

١ ـ بالنظر للقوانين الصارمة الخاصة بالقطع الأجنبي فان اتفاقية هعفارا تقدم لليهودي الألماني الأمكانية الوحيدة لنقل رأسماله الى الخارج .

٢ ـ يتعزز بناء دولة يهودية بتدفق الرأسمال الألماني الى فلسطين بايد يهودية وهذا حتما ليس في الصالح الألماني ما دام لن يؤدي الى استيعاب يهود العالم ، ولكنه فقط سيقدم لهم في يوم ما مكسبا لا يحصى من القوة السياسية والدولية كما فعل الفاتيكان بالنسبة للكاثوليكية السياسية

٣ ـ لامصلحة لنا في تشجيع هجرة اليهود الأغنياء الذين يأخذون معهم اموالهم من المانيا .

وفي رأي جميع المؤسسات ـ تتابع المذكرة ـ وبوجه خاص المؤسسات الحزبية باستثناء وزارة الأقتصاد ومكتب مراقبة القطع الأجنبي انه قد حان الوقت واصبح بصورة ملحة لسدّ هذه الفجوة في قوانين القطع الأجنبي الألماني التي يتسرب من خلالها رأس المال الألماني الى الخارج في أيد يهودية . وبناء على ذلك فان هناك قضايا مطروحة لا بد من ان ترفع للفوهرر للأجابة عليها : ـ

أ ـ هل ما يزال ممكنا الدفاع عن أنّ فكرة تركيز هجرة اليهود الأغنياء الى فلسطين والمساهمة نتيجة لذلك ببناء دولة يهودية في صالح ألمانيا ؟

---

(١٩) المصدر السابق وثيقة رقم ٥٨٠ تاريخ ١٩٣٥/٣/١٠ .



ب ـ أليس ضروريا الاعلان فورا عن انهاء اتفاقية هعفارا على الرغم من ان المصدرين الألمان المستفيدين يدافعون عن ابقائها باستخدام حجج سياسية منمقة . لان هؤلاء المصدرين يحققون ربحا كبيرا مع أنه ليس قطعا اجنبيا ؟

استمرت المعارضة ترفع صوتها وتقدم الحجج والبراهين على صحة موقفها فترة طويلة من الزمن مؤكدة ان الأتفاقية ليست في مصلحة المانيا ، سواء من الناحية الأقتصادية اذ انها توفر لليهود نقل اموالهم دون ان يستفيد من ذلك الأقتصاد الألماني ، بل ان هناك خسارة واضحة ، او من الناحية السياسية . لأن الهجرة اليهودية الى فلسطين ستؤول حتماً الى اقامة دولة يهودية في فلسطين وهذا يتناقض تناقضاً كاملاً مع السياسة الألمانية ( الرسمية المعلنة ) كذلك فان الأتفاقية فوق كل ذلك تضر ضرراً شديداً بمصالح الجالية الألمانية في فلسطين وان الوضع الناشيء عن تدفق الهجرة الى فلسطين سيجعل موقفها حرجا تجاه العرب وسيخلق عداء واضحا لها ، لذلك فان الأصوات المعارضة للاتفاقية لم تجد اطلاقا ما يبرر قيامها او استمرارها وطلبت بشده بضرورة الغائها او استبدالها باخرى اكثر توازنا وضمانا للمصلحة الألمانية .

ج ـ **المؤيدون :**

كان لأنفجار الأزمة الفلسطينية عام ١٩٣٦ ووصول لجنة بيل عام ١٩٣٧ وتقديمها مخططها الرامي الى اقامة دولتين في فلسطين احداهما يهودية والأخرى عربية ، واستمرار الأنتداب البريطاني على الأماكن المقدسة ، كان لهذين الحدثين اثر كبير على المانيا من اجل اعادة فحص سياستها الفلسطينية التي مارستها حتى ذلك الحين ، نظرا لأن المانيا ساهمت في تطور الأزمة الفلسطينية من خلال سياستها في دعم الهجرة اليهودية ، وعندما حاول المستشار تشومبرج ـ رئيس قسم في وزارة الخارجية الألمانية ـ تحديد موقف دائرته بتاريخ ٢١ كانون الثاني ١٩٣٦ بالتأكيد على ان قيام دولة يهودية في فلسطين ليس من مصلحة المانيا وبالتالي لابد من ضرورة تشتيت اليهود

وبالرغم من انه لم يقدم اية مقترحات عملية لاعادة النظر في السياسة الألمانية الا ان رئيس قسم الشرق بالوزارة لم يقبل مثل هذه الأفكار مؤكدا ان قضية الموقف الألماني من اقامة دولة يهودية في فلسطين ليست ملحة وان مشكلة اقامة هذه الدولة لاتزال تخضع لتذبذبات تتغير من شهر لآخر ، وهذا يجعل المناقشة النظرية لهذه المسألة صعبة وغير مجدية في المدى المنظور[٢٠] . لذلك فان انفجار الأزمة في نيسان ١٩٣٦ والتي بدأت بحوادث بين العرب واليهود وانتهت باضراب عربي عام صاحبته صدامات مسلحة بين الثوار العرب والقوات البريطانية لم يفض الى مناقشة الموقف الألماني حيال القضية واكتفت الصحافة الألمانية بابراز رغبة المانيا في عدم التدخل في التطور الذي تشهده فلسطين .

ولما حاول قائد الإنتفاضة العربية فوزي القاوقجي اقناع المبعوث الألماني الى بغداد فريتز جروبا بضرورة دعم هذه الانتفاضة بالمساعدات الألمانية رفض جروبا ذلك وعلل رفضه بأن الرايخ الألماني يعلق اهمية كبيرة على العلاقات الحسنة مع انكلترا ولا يستطيع دعم انتفاضة عربية موجهة ضدها ـ رغم مشاعر الود تجاه عرب فلسطين ـ .

ومن جهة اخرى ففي نهاية كانون الثاني ١٩٣٧ شرح معاون مدير القسم السياسي في وزارة الخارجية الألمانية ( فون فايسزيكسر ) امام سلطات الرايخ والحزب طبيعة المصلحة الألمانية المبدئية في هجرة اليهود من المانيا وان كان يرى ان تفتيت اليهود في اكثر من مكان يعتبر اقل خطرا على السياسة الألمانية . الا ان تحفظه هذا لم يلبث ان اصطدم بمعارضة القسم التجاري السياسي في وزارة الخارجية حيث علق المستشار ( كلاوديوس ) على شرح ( فايسزيكسر ) بملاحظة تقول ( ان تفتيت الهجرة اليهودية تلحق بالمصالح الألمانية ضررا اكبر من الضرر الذي ينزله بها تجمعهم في فلسطين لأن يهود المانيا خارج فلسطين هم الذين الحقوا الأذى الأكبر بها[٢١] .

(٢٠) السياسة الألمانية في الصراع على فلسطين من سنة ١٩٣٧ ـ ١٩٣٨ اطروحة لنيل شهادة الدكتوراه ـ من كلية الفلسفة بجامعة فريدريك ويلهلم ، بون سنة ١٩٧٧ تأليف فردريك لوبيلرن .

(٢١) المصدر السابق



وفي ٢٤ ايار ١٩٣٧ ارسل وزير خارجية الرايخ ( نيوراث ) التوجيهات التالية الى ممثليات الرايخ في كل من لندن وبغداد والقدس وروما . ونلاحظ ان هذه التوجيهات تختلف جذريا من بلد الى آخر بشكل فاضح يدل على محاولات المانيا النازية في رسم تكتيك سياسي يضمن مصالحها لدى كل الأطراف صاحبة المصلحة في نزاع فلسطين : ـ

١ ـ كان التوجيه المرسل الى لندن يقول : يجب على السفارة الألمانية ان تؤكد للحكومة البريطانية صحة افتراض لجنة بيل وان المانيا سترحب لأسباب تتعلق بتعزيز هجرة اليهود منها بتشكيل دولة فلسطينية ( يهودية ) أي قيام كيان دولة يقودها اليهود تحت سيادة الأنتداب البريطاني .

٢ ـ وفي بغداد : على المبعوث الألماني في العراق ان يؤكد بقوة تفهم المانيا للمطامح القومية للعرب ، دون ان يقدم وعودا محددة باي حال من الأحوال .

٣ ـ وفي روما : على السفارة في روما ان تبرز امام الحكومة الأيطالية التفهم الألماني للسلوك الأيطالي حيال الأسلام .

اما بالنسبة لتوجيه قنصل المانيا في القدس فقد ارسلت له الملاحظة التالية : « ان قرارات لاحقة ستتخذ بصدد المسائل المطروحة في تقرير القنصل العام بتاريخ ١٩٣٧/٣/٢٢ حول اعادة تنظيم العلاقات السياسية الأقتصادية وقضايا الهجرة الى فلسطين » . وقد اغفل التوجيه مسألة هعفارا كليا[٢٢] .

نلمس خلاصة مؤيدي الأتفاقية بوضوح في نشرة وزارة الخارجية المؤرخة في ٢٢ حزيران ١٩٣٧ حيث تقول احدى فقراتها[٢٣] : « حتى الآن كان تشجيع هجرة اليهود من المانيا الى الحد الأقصى هو الهدف الأساسي للسياسة الألمانية تجاه اليهود .

(٢٢) المصدر السابق

(٢٣) وثائق حول السياسة الخارجية الألمانية ـ وثيقة رقم ٥٦٤ .

وبغية تحقيق هذا الهدف تقدم التضحيات حتى في سياسة القطع الأجنبي وعن طريق اتفاقية تحويل مع فلسطين ( اتفاقية هعفارا ) يسمح لليهود المهاجرين الى فلسطين بغية تأمين أسباب العيش ، الحصول على ترخيص بتحويل مبالغ محددة على شكل صادرات المانية اضافية الى فلسطين ، ان هذا الموقف الألماني الذي املته متطلبات السياسة الداخلية يشجع عملياً اندماج اليهود في فلسطين ويسرع بالتالي تطور دولة يهودية في فلسطين وقد يساهم هذا في تعزيز وجهة النظر القائلة بان المانيا تؤيد اقامة دولة يهودية في فلسطين » .

ولقد تكرر المعنى تقريبا في مذكرة القسم السياسي السابع[٢٤] بتاريخ ١٩٣٧/٨/٧ ولكن هذه المذكرة احتوت تحليلا لمزايا الدولة اليهودية التي ستقوم حتما ـ حسب رأيها ـ عاجلا أم آجلا وحسب تقرير لجنة بيل أم بصيغة اخرى . وهذه المزايا هي :

أ ـ تخليص الرايخ الألماني من عدد كبير من المهاجرين اليهود الذين ما يزال من الواجب العناية بهم حتى اليوم .

ب ـ تجعل في الأمكان عندما تهاجم المانيا من قبل اليهود ان تتعامل ( المانيا ) مع ممثلين رسميين وليس كما هو الحال الآن مع عناصر مجهولة وبالتالي غير مسؤولة حيث يملك اليهود بشكل خاص الكثير منها تحت تصرفهم .

لم تكن الخارجية الألمانية وحدها تتبنى هذه المواقف الخاصة بدعم الهجرة اليهودية الى فلسطين بالأبقاء على اتفاقية هعفارا ـ تلك الأتفاقية التي سينتج عنها حتماً اقامة دولة يهودية ـ وإنما شاركها الرأي أيضا وزارة الأقتصاد التي تبنت الأتفاقية منذ البداية وشملتها باهتمامها ودعمها ، واستمرت في موقفها هذا بقوة لانها كانت ترى انها تنفذ سياسة عليا في التخلص من اليهود بشكل شامل[٢٥] .

(٢٤) وثائق حول السياسة الألمانية ـ وثيقة رقم ٥٧١ .

(٢٥) فردريك نوبيلرت .



ونشير بهذا الصدد الى رسالة مكتب الرايخ للأشراف على القطع الأجنبي الموجهة الى وزارة الخارجية مرفقة بتقرير عن نتائج الهجرة اليهودية من المانيا والتي يؤكد فيها مرسلها حرصه الشديد على التمسك باستمرار نشاطات اتفاقية هعفارا وذلك من خلال الارقام التي يطرحها في التقرير المرفق مع الرسالة[٢٦] .

تلك كانت خلاصة اراء المؤيدين لأستمرار الأتفاقية وتوابعها ، الخاصة بتأييد توجيه الهجرة الى فلسطين ، وبصرف النظر عن الحجج التي قدمها المعارضون او تلك التي قدمها المؤيدون فإن الحقيقة وراء مثل هذا القرار لم تكن أبدا نابعة من حجج أي من الطرفين وإنما هي قرار الفوهرر الذي ترك الأجهزة تتصارع فترة طويلة من الزمن دون ان يتدخل لحسم هذا الصراع الى ان حان الوقت ، ففي ٢٧ كانون الثاني سنة ١٩٣٨ وردت ملاحظة عابرة في مذكرة من نائب مدير دائرة السياسة الأقتصادية تشير الى رأي الفوهرر في موضوع الهجرة تقول : « اذا كان الفوهرر قد قرر ان يتواصل توجيه المهاجرين اليهود نحو فلسطين فان مناقشة لاحقة غير ضرورية » .

ان الذي يمكن ان نستنتجه من الحوار الساخن الذي دار بين المؤسسات النازية الرسمية هو طبيعة السياسة التي يتبعها هذا النظام سواء مع خصومه او مع حلفائه وطريقته في التعامل ومن ثم نظرته الى المسألة اليهودية والقضية الفلسطينية : ـ

١ ـ مهما كان موقفه من اليهود معاديا ـ وهذا صحيح ـ الا انه كان صاحب الفضل الأساسي في اقامة الكيان الصهيوني في فلسطين . وهو الذي اتاح للصهاينة بناء اقتصاد متين قوي من خلال تسهيله لأصحاب رؤوس الأموال نقل أموالهم الى فلسطين . والملاحظ ان كل هذه التسهيلات كانت تعطى فقط لليهود الألمان الذين يرغبون في الهجرة الى فلسطين دون غيرها . لذلك فإن عداءه لليهود لم يكن ليغضب الصهاينة بل على العكس تماماً فقد لاقى موقفه هذا الدعم الصهيوني والتحريض

(٢٦) وثائق حول السياسة الخارجية الألمانية ـ وثيقة رقم ٥٧٥ .

الصهيوني للأستمرار فيه لأنه بدون ذلك لا يمكن أن يرحل اليهود من المانيا واذا رحلوا فلن يرحلوا الى فلسطين .

٢ ـ ظن بعض العرب ـ بسذاجة ـ ان النظام النازي المعادي لليهود سيقف الى جانب قضاياهم العادلة . وباعتبار ان الأنكليز يدعمون مطامع الصهيونية في فلسطين فان الألمان سيدعمون الفلسطينين العرب . الا ان كل ممارسات الألمان النازيين كانت تدل على الأصرار والتصميم على اقامة دولة يهودية في فلسطين بصرف النظر عن كل التصريحات والمذكرات التي كانت تصل الى مسامع الزعماء العرب . لأن ما كان من تصريحات ومذكرات للأطراف الأخرى كان يتناقص تماما معها . ولاحظنا كيف ان المذكرات التي تصل الى لندن او روما تختلف كليا عن تلك التي تصل الى القدس او بغداد . كذلك لاحظنا الأصرار من الجانب الألماني على ان اتفاقية هعفارا ستؤدي بالنتيجة الحتمية الى اقامة دولة يهودية في فلسطين .

٣ ـ لم تكن اتفاقية هعفارا مفيدة للألمان من الناحية الأقتصادية او المالية او الأجتماعية . لأنها في النتيجة كانت في صالح الرأسمال الصهيوني ، فهي لم توفر القطع النادر للخزينة كما انها لم تكن تكسر طوق المقاطعة مثلما ادعت بعض الأوساط ولم تكن بالحجم الذي يمكن ان يقضي على البطالة واذا قيل ان السبب الأساسي هو التخلص من اليهود باعتبار ان اولويات السياسة النازية القضاء على اليهود ، فالرد على ذلك انها فعلا تخلصت من اغنياء اليهود فقط ولم تتخلص من فقرائهم وكادحيهم وعمالهم الذين بقوا في المانيا عبئاً عليها . ان التفسير الوحيد لأصرار السلطات العليا النازية على استمرار هذه الأتفاقية ضاربة بعرض الحائط المصالح الأقتصادية ومصالح الجالية الألمانية في فلسطين هو وجود اتفاق بين الرايخ من جهة والقيادات الصهيونية من جهة اخرى على اقامة وطن قومي يهودي يرتبط بالأمبريالية الألمانية ويكون لها في منطقة الشرق الأوسط مخلب قط يحقق لها مصالحها وتعبر من خلاله للوصول الى مطامعها التوسعية .



د ـ هعفارا دولية من خلال اقتراح شاخت :

مع تفاقم مشكلة اللاجئين ، بعد احتلال النمسا بادر رئيس الولايات المتحدة روزفلت الى عقد مؤتمر دولي لبحث مشكلة لاجئي المانيا . عقد المؤتمر في التاريخ من ٦ ـ ١٥ تموز ١٩٣٨ في ايفيان بفرنسا . اشترك به ممثلون عن ٣١ دولة كانت هذه في الواقع الساعة الملائمة والممتازة لألمانيا لتنظيم هجرة من المانيا وتوسيع اطار ( التحويل ) للمناطق خارج فلسطين . الا ان المانيا رفضت الأشتراك في مؤتمر ايفيان معلنة انها غير معنية بحل مشكلة اللاجئين اليهود او بهجرة منظمة او اخراج اموال اليهود من المانيا . وفي مذكرة الى القنصليات والبعثات الدبلوماسية الألمانية بتاريخ ١٩٣٨/٧/٨ اعلن ( فايتسكر ) المدير العام لوزارة الخارجية ، ان السفير البريطاني في برلين طرح على وزارة الخارجية الألمانية السؤال عما اذا كانت المانيا مستعدة للتعاون في اخراج الأموال اليهودية وقد نقل ( فايتسكر ) المدير العام لوزارة الخارجية الى السفير البريطاني اجابة وزير الخارجية الألمانية « ان المانيا ترفض من حيث المبدأ التعاون مع اية دولة اخرى بالنسبة لقضية يهود المانيا . هذه مشكلة داخلية » . ثم بعث ( فايتسكر ) بارشاداته الى الديبلوماسيين الألمان في الخارج بان عليهم الأجابة بالنفي حول ما اذا كانت المانيا مستعدة لتسهيل اخراج اموال اليهود وان تعاون المانيا مع الدول الكبرى في ايفيان غير وارد . وفي ١٩٣٨/١٠/٣٠ قدم فايتسكر مذكرة الى ريبنتروف مقدمة من السفير الأمريكي وفيها اقتراح باستقبال ( رابلي ) مندوب امريكا في مؤتمر ايفيان من اجل بحث موضوع هجرة اليهود واخراج اموالهم ، كان جواب ريبنتروف بان الزيارة غير واردة[٢٧] .

ولكن في كانون الثاني ( يناير ) سنة ١٩٣٩ عرض شاخت مشروعا لهجرة منظمة لليهود من المانيا واخذ اموالهم معهم وقد تفاوض حول هذا الموضوع مع

---

(٢٧) الرايخ الثالث وارض اسرائيل ـ ديفيد يسرائيلي صفحة ١٤٥ . وايضا :
The Final Solution , Grald Reitling New York 1961 Page 19

الموظف الأمريكي رابلي ومع موظفي سيتي بنك في لندن ويتلخص المشروع فيما يلي : « هناك ستمائة الف يهودي في المانيا ( وفقا لقوانين نورنمبرغ ) رحل منهم ١٥٠ الف معيل خلال ثلاث سنوات وان الأموال اليهودية في المانيا تقدر بـ ( ٦ ) مليار مارك . يقام صندوق لتمويل الهجرة اليهودية ، وعلى اليهود خارج المانيا الحصول على قرض قدره (١ر٥) مليار مارك بالعملة الصعبة ، هذه الأموال تستغل لشراء بضائع المانية ، واكد شاخت في مشروعه انه ينبغي عدم اعتبار المانيا مسؤولة عن تسديد هذا القرض وانما اليهود المهاجرين انفسهم » . كان شاخت يقصد من وراء هذه العملية جمع عملات صعبة من اجل تمويل عملية التسلح في المانيا . ولكن كما ذكرنا قبل قليل ، ففي الوقت الذي كان شاخت يروج لمشروعه الأقتصادي البحت كان وزير الخارجية الألمانية يؤكد على الرفض المطلق لمقابلة رابلي الموظف الأمريكي ومندوب امريكا في مؤتمر ايفيان .

وترى اوساط صهيونية انه وبرغم التأكيدات المستمرة على ان السياسة الألمانية معنية بالتخلص من اليهود في المانيا فانها لم تتعاون بشكل جاد في السماح لليهود بالخروج من خلال اتفاقية على نمط اتفاقية ايفيان . ومع ذلك تشكو احدى مذكرات وزارة الخارجية الألمانية الدورية من ان الجهود المكثفة التي بذلت خلال خمس سنوات لم تحدث تقدما في مسألة هجرة اليهود ، كما ان قوانين نورنبرغ وغيرها من القوانين التي كانت موجهة ضد اليهود لم تساهم مساهمة فعالة في هجرتهم بل على العكس . ففي كل فترة هدوء نسبية كان يلاحظ ان هناك تيارا من اليهود عائدين الى المانيا وحتى عام ١٩٣٨ ـ تتابع المذكرة ـ لم تضعف ارادة اليهودي في الأستمرار في الحفاظ على مركزه ومكانته في انتظار ( اوقات افضل ) ويعتقد كاتب المذكرة ان اليهودية العالمية لم تكن راغبة حقا في هجرة جماعية ليهود المانيا ويهود البلدان الأخرى دون ضمان دولة يهودية لهم[٢٨] .

(٢٨) ديفيد يسرائيلي صفحة ٤٧ .



هذا وقد ورد في المذكرة ايضا جوابا عن سؤالين قديطرحان على الدبلوماسية الألمانية لتكون الأجابة واضحة ومحددة وموحدة وذلك فيما يتعلق بموضوع هجرة اليهود وهما : ـ

أ ـ كيف يمكن ان تتم عملية تمويل وتنظيم اليهود ؟ ان المانيا تتوقع مساعدة من يهود العالم في ( تنشيط حركة الهجرة ) .

ب ـ ماهو الأتجاه الذي ينبغي ان تتوجه اليه هجرة اليهود ؟ لا بد من مهاجمة الدول المشتركة في مؤتمر ايفيان لأنها رفضت استقبال مهاجرين يهود باعداد كبيرة[٢٩] .

واصل ( فولتان ) الذي كان مساعدا لشاخت ثم اصبح في عام ١٩٣٩ احد كبار الموظفين في الوزارة المسؤولة عن تنفيذ خطة السنوات الاربع التابعة لـ ( غورنغ ) واصل المفاوضات مع اصحاب بنوك في الخارج حول اتمام عملية ( تحويل ) عالمية وحول مشروع شاخت لأخراج ممتلكات اليهود من المانيا بواسطة بضائع من اجل تشجيع الصادرات الألمانية والحصول على العملات الصعبة ، وكانت هذه المفاوضات تدور بموافقة غورنغ شخصيا ، واخيرا في الأول والثاني من شهر فبراير سنة ١٩٣٩ اعد مشروع اتفاق بين فولتان ورابلي لأخراج الأموال اليهودية من المانيا وقد كان متطابقا تماما مع مشروع شاخت الأصلي لكنه اصغر حجما ونشرت جريدة نيويورك تايمز بتاريخ ١٩٣٩/٢/٤ تفاصيل المشروع ، الا ان هذا المشروع فشل .

يعود سبب الفشل هذا ـ من وجهة نظر الأوساط الصهيونية ـ الى تصرفات هتلر المتمثلة في احتلال تشيكوسلوفاكيا في آذار سنة ١٩٣٩ وفشل سياسة الوفاق والتهديدات الموجهة لبولونيا ، ثم تعود نفس الأوساط لتقول ان سبب الفشل يعود الى ان السياسيين الغربيين اعتبروا المشروع محاولة للطلب من شعوب العالم دفع فدية

(٢٩) ديفيد يسرائيلي صفحة ١٤٨ .

مقابل الأفراج عن الرهائن وتبديل « هذه المأساة الانسانية بقضية تصدير »[٣٠] .

الا ان شاخت نفسه يلقي باللائمة على الدول الغربية ويعتبرها هي السبب الأساسي في وضع العراقيل بوجه مشروعة ، ففي آخر خطاباته عام **١٩٣٩** قال ان القوى الغربية اضاعت فرصة عظيمة برفضها مشروعه حين كان يحظى بدعم هتلر وتأييده ولو نفذهذا المشروع لما فقد يهودي الماني واحد حياته[٣١] .

ونظرا لأن فلسطين لم تكن لتستوعب كل اليهود الخارجين من البلدان التي تقع تحت سيطرة النازية ، فقد كان هناك اقتراح بنقلهم الى مدغشقر على ان تمول نقلهم واقامتهم مجموعات اصحاب الملايين اليهود[٣٢] .

الا ان هذه الأقتراحات جميعا التي كانت ضمن مشروع شاخت لم يكتب لها النجاح ولم تر النور . والسؤال الذي لا بد ان نطرحه هو ، لماذا نجحت اتفاقية هعفارا الفلسطينية بينما فشلت هعفارا الدولية ؟ مع العلم ان الهدف الظاهر لكلا الأتفاقيتين هو انقاذ اليهود . وسؤال آخر يرد أيضا يتعلق بالجهات التي وقفت في طريق تنفيذ هعفارا الدولية . او من هي الجهات صاحبة المصلحة في تعطيل مثل هذه الأتفاقية ؟ للأجابة على هذه الأسئلة نورد هنا النقاط التالية : ـ

١ ـ ترى اليهودية العالمية ان اية هجرة يهودية لغير فلسطين ( الوطن القومي اليهودي ) هي غير ذات فائدة او جدوى ، ولذلك فانها لن تكون مشجعة للخوض فيها او مناقشتها لان مثل هذه الهجرة ستصيب المشروع الصهيوني بالضرر الفادح .

٢ ـ ان مشكلة انقاذ اليهود ـ بصفتهم الأنسانية ـ لا تشغل بال الحركة الصهيونية طالما ان هذا الأنقاذ لن يحقق الهدف المنشود وبالتالي فان اية تضحية في غير هذا المنحى تذهب ادراج الرياح .

---

(٣٠) ديفيد يسرائيلي صفحة ١٥٠ .

(٣١) Gerald Reitling , Page 20

(٣٢) Ibid Page 20 .



٣ ـ كان واضحا من نتائج مؤتمر ايفيان ان الدول الغربية التي اشتركت فيه لم تكن راغبة في استقبال اعداد من المهاجرين اليهود على اراضيها ولذلك فان كل دولة من هذه الدول تذرعت باسباب لتؤكد انها غير قادرة على استقبال احد . وطالما ان هذه الدول غير راغبة في ذلك فان المنظمات الصهيونية واليهودية العالمية لا تستطيع ان تخرج على ارادتها ، هذا اذا افترضنا ان لديها الرغبة في ذلك .

٤ ـ نستطيع ان نرى من مجريات الأحداث ان هتلر كان صادقا في تنفيذ هذا المشروع ـ ليس لأسباب انسانية ـ لانه كان بحاجة ماسة الى العملة الصعبة التي سيمول بها اغراضه التسليحية لدخول الحرب . وهذا يعكس اتفاقية هعفارا الفلسطينية التي لم يكن الموضوع الأقتصادي عنصرا هاما في عقدها .

# القســـم الثانـــي

## الأجراءات النازية للتعجيل بالهجـرة

لم يكن سهلا ـ رغم كل الأغـراءات التي قدمت لليهـود الألمان ـ ان يقبلوا اقتلاعهم من اوطانهم التي عاشوا فيها مئات السنين ، ولم يكن ممكنا ان يستبـدل هؤلاء استقرارهم ورخاءهم بمجهول . كذلـك لم تكن الأفكار الصهيـونية لتجـد طريقها الى قلوبهم وعقولهم دون ان تكون مشفوعة باجراءات من شأنها ( اقناعهم ) بمثل هذه الأفكار ، لذلك فان تسهيلات الهجرة من خلال اتفاقيـة هعفارا كـانت متزامنة بشكل متواتر مع اجراءات قمعية مارستها السلطات النازية ، هدف هذه الأجراءات مزيد من ( القناعة ) لدى اليهود بافكار الحركة الصهيونية التي تستنكر الأندماج وتهزأ بالرأي القائل ان اليهود الألمان هم مواطنون المان لحما ودما وان اختلفوا عن اقرانهم بالدين .

لم يعتبر اليهود الألمان ان ما ورد في كتاب كفاحي لهتلر حول اليهود والمسألة اليهودية يمكن ان يترجم الى اجراءات عملية تقضي على اليهود في المانيا وانما اعتبروه نوعا من النزوات الفكرية التي لا تلبث ان تخبو بعد ان تصل النازية الى الحكم ولذلك لم يأخذوا هذه الأفكار بالجدية المطلوبة ولم يصدقوا انها تحمل لهم من الأخـطار ما سوف يجرفهم[٣٣] .

---

( ٣٣ ) كفاحي ـ ادولف هتلر ، صادر عن ، دار بيروت سنة ١٩٦٠ صفحة ٢١ وتراجع الصفحات ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٤ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨٦ ، ١٨٧ .



الا ان ما ورد في ( كفاحي ) لم يكن الا بداية ومؤشرا للسياسة التي قررت النازية ان تنتهجها نحو اليهود للتخلص منهم ، وقد اتبعت اسلوبين لتحقيق ذلك فهي من جهة ناصرت ودعمت المنظمات الصهيونية التي كانت في ذلك العهد ضعيفة البنية قليلة الانصار مرفوضة من الأغلبية ، ومن جهة ثانية وضعت قوانين عنصرية هدف هذه القوانين تجريد اليهود من حقوقهم المدنية والسياسية واتبعت هذه القوانين بعمليات عنف واضطهاد وقتل ولذلك نستطيع ان نقول ان النازية اتبعت مع اليهود سياسة الترغيب والترهيب مستندة في تنفيذ سياستها عـلى الصهاينـة الذين كـانوا يرحبون بها ويؤيدونها .

وفي ربيع عام ١٩٣٣ قام البارون ( ليوبولد اتزفون ميلد نشتاين ) الضابط في فرقة الصاعقة والمسؤول عن السياسة اليهودية يرافقه ( كورت توخلر ) من الأتحاد الصهيوني الألماني برحلة الى فلسطين ، لدراسة التجربة الصهيونية على ارض الواقع وبحث ما يمكن عمله لتحقيق أهدافها وكان فون ميلد نشتاين من اصحاب النظرية القائلة أن حل المشكلة اليهودية يتماشى مع مسألة حق تقرير المصير وكان متعاطفا بشكل جوهري مع القضية الصهيونية وكان يحضر اجتماعات ومؤتمرات الصهيونية ليزداد معرفة بقضاياها وليقيم علاقات صداقة مع مندوبيها الى تلك الأجتماعات حتى اصبح صهيونيا متحمسا ، الأمر الذي اكسبه شهرة واسعة بين رؤسائه في فرقة الصاعقة بصفته الخبير في الشؤون الصهيونية وفـي المسـألة اليهوديـة واسـتطاع ان يقنـع زمـلاءه بـالبـرنـامـج الصهيـوني الـذي اعتبـره مخـرجـا من التشـويش والارتباك اللذين سادا بين واضعي النظريات بشأن السياسة اليهودية للنازيين ولذلك لم يعد مستغربا التعاون بين الصهيونية والنازيين[٣٤] .

ويشير جاكوب بواسي[٣٥] موضحا ان ميلد نشتاين لم يكن صديقا لليهود وانما اتجه تعاطفه فقط نحو ذلك القطاع من اليهود الذي هو القطاع ( الصهيوني ) اما

---

(٣٤) History Today , Jenuary 1980 , London

(٣٥) Ibid January 1980 , London

بالنسبة لليهود المندمجين مع الشعب الألماني الذين يقولون نحن ألمان اولاً ويهود ثانياً ، والذين ينكرون يهوديتهم تماما ويتحاشون اي شعور بعنصريتهم ، اولئك لم يكن يؤيدهم ، وكانت وجهة نظره قريبة من وجهة نظر الحزب الرسمية ونظريته عنهم ، تلك النظرية التي تتلخص بان اي عرق هو نتاج ـ اتحاد روحي بين الشعب والأرض التي انغرست اصوله فيها تاريخيا ـ ونظرا لأن اليهود تنقصهم تلك العلاقة الحيوية بالأرض الألمانية ، فقد اعتبرهم النازيون قوة غريبة تقيم بينهم واصفين اياهم بانهم صنف من الجنس البشري لا أصل له متفسخ ، طفيلي ، وضيع .

ويتابع بواسي قوله : « لقد نجح فون ميلد نشتاين في اوائل عام **١٩٣٤** في الحصول على موافقة رؤسائه في فرقة الصاعقة وقبولهم بفكرته القائلة بان حل المسألة اليهودية يكمن في هجرة يهودية جماعية الى فلسطين ونتيجة لذلك عين رئيسا للمكتب اليهودي في دائرة هيدريخ للخدمات الأمنية التابعة لفرقة الصاعقة ومن خلال موقعه الجديد شرع في تطبيق سياسته القاضية بتوسيع النفوذ الصهيوني بين يهود المانيا الذين برغم ظروف الاضطهاد التي كانوا يعيشون في ظلها لم يبدوا رغبة في الهجرة الى فلسطين واخذت فرقة الصاعقة تعمل على تقوية الموقف الصهيوني بين الجالية اليهودية من خلال تعليمات )واوامر تصدرها لتشجيع نشاطات الصهيونيين وتثبيط عزيمة غيرهم بالاضافة الى منح الصهيونيين امتيازات محظورةعلى الآخرين .

**اولاً : التشريعات النازية ضد اليهود**

ابرز التشريعات والأوامر التي اصدرتها السلطة النازية ضد اليهود اوامر الشرطة وقوانين نورنبرغ وتوابعها التي نظمت الوضع القانوني الجديد لليهود والتي حرمتهم من معظم حقوقهم الأنسانية : ـ

**١ ـ قرارت الشرطة السياسية البافارية :**

كانت جميع القرارات التي اصدرتها الشرطة السياسية الألمانية تصب في دائرة التضييق على اليهود الأندماجيين وتفتح جميع الأبواب للصهاينة خدمة للاهداف



المشتركة . وقد تناولت هذه القرارات المواضيع التالية :

**أ ـ الأجتماعات العامة :**

اعفيت المنظمات الصهيونية من حظر الاجتماعات العامة الذي اصدرته الشرطة البافارية واستثنيت من ذلك الحظر ، كما سمح للصهاينة ان يؤسسوا الجمعيات الرياضية ويقيموا الألعاب الرياضية طالما أنهم لا ينتمون الى الأحزاب الأندماجية اليهودية تحت طائلة الحل اذا مورست في هذه الجمعيات اية نشاطات سياسية داخلية أو محلية(٣٦) .

**ب ـ السماح بالتدريب :**

سمحت قرارات الشرطة لمنظمات الشبيبة اليهودية ( صهيونية ) بان تقوم بأعمال التدريب المهني والزراعي والحرفي للأفراد اليهود قبل هجرتهم الى فلسطين حيث اعتبرت هذه القرارات ان مثل هذا العمل هو مصلحة الدولة الوطنية ثم أكدت هذه القرارات على ضرورة التمييز في المعاملة بين هذه التنظيمات وبين التنظيمات اليهودية الأندماجية التي لابد من ان تعامل بمنتهى القسوة(٣٧) .

**ج ـ جمع الأموال :**

ورد في الوثيقة رقم ( ٨ ) المؤرخة في **٩** تموز سنة **١٩٣٥** قرار للشرطة السياسية بخصوص جمع التبرعات من قبل الصهاينة وينص هذا القرار على السماح للمنظمات الصهيونية بجمع الأموال من اعضائها ومن المتعاطفين معها لتعزيز الهجرة وشراء الأراضي وتقديم المعونة للمستوطنين الجدد ، ولم تكن تلك الجباية تخضع لأي ترخيص مسبق ولا اعتراض للشرطة عليها ، لأنها تخدم متابعة الحل العملي للمشكلة اليهودية(٣٨) .

---

(٣٦) Hersl Year Book , Page 338 , 339 Document No .

(٣٧) Ibid, Document No . 2 Page340

(٨٣) Ibid , Document No . 8 ,Page 348

**د ـ الزي الرسمي :**

سمح قرار سري صدر عن قيادة الشرطة للمنظمات الصهيونية دون غيرها بارتداء اعضائها الزي الرسمي النظامي داخل مراكزها . وهذا الأستثناء اعطي للصهاينة حيث اثبتوا انهم يحاولون بجميع السبل القانونية ان يرسلوا شبابهم الى فلسطين وانهم نتيجة لجهودهم المخلصة الموجهة نحو الهجرة يلتقون في وسط الطريق مع حكومة الرايخ في اخراج اليهود من المانيا(٣٩) .

**٢ ـ قوانين نورنبرغ :**

في ١٥ ايلول سنة ١٩٣٥ واثر انعقاد المجلس الأجتماعي القومي في نورنبرغ تمت الموافقة على تشريعين معاديين لليهود ، وقد حظي هذا القانون بموافقة هتلر ، ويحدد القانون الأول مواطنية الرايخ حيث ميز بين رعايا الدولة ومواطني الرايخ ، وتقول المادة الثانية من هذا القانون « ان مواطن الرايخ هو فقط ذلك الشخص ذو الدم الألماني او المتوالد من أم ذات دم الماني والذي يثبت من خلال سلوكه انه راغب وملائم ليخدم الشعب الألماني والرايخ باخلاص » ، بهذا اسقط القانون من أحكامه كل المواطنين اليهود ، اما التشريع الثاني فهو قانون حماية الدم الألماني والشرف الألماني ، وقد حرم هذا القانون التزاوج بين اليهود والمواطنين الألمان او المواطنين المتوالدين من أم ذات دم الماني ، كما حرم العلاقات الخاصة بين اليهود والمواطنين ذوي الدم الألماني ومنع اليهود من توظيف مواطنين من دم الماني تحت سن ٤٥ عاما في بيوتهم ومنعهم أيضا من رفع علم الرايخ والعلم القومي وابراز شارات الرايخ ، ولكن سمح لهم بابراز الشارات اليهودية ( نجمة داوود ) تحت اشراف الدولة ، الا ان هذا القانون لم يحدد من هو اليهودي . الى ان صدر في ١٤ نوفمبر سنة ١٩٣٥ تشريع حدد انماطا من اليهود فقسمهم الى يهودي كامل ويهودي جزئي ( مختلط الدم ) واستعمل لأول مرة تعبير ( لا آري ) .

---

(٣٩) Ibid , Document No . Page 341



وبشكل اجمالي فقد نشر ما لا يقل عن ١٣ قانونا بعد قوانين نورنبرغ جردت اليهود من المراكز والمهن والحرف والوظائف والتعليم والجامعات وغيرها . وحددت تحركاتهم كما اشترطت وجوب طبع حرف ( ي ) ( J ) على بطاقاتهم الشخصية .

لم تكن هذه القوانين نهاية المطاف للوضع اليهودي لكنها كانت شبه بداية للقمع القانوني الذي مورس ضدهم(٤٠) .

لم تكن قوانين نورنبرغ هي الاولى في عهد النازية ضد اليهود وانما سبقتها قوانين اخرى في عام ١٩٣٣ حرم اليهود بموجبها من الوظائف العامة والخدمة في الحكومة والعمل في الصحافة والأذاعة والزراعة والتعليم والمسرح والاشرطة السينمائية وكذلك خرجوا عام ١٩٣٤ من الأسواق المالية ( البورصة ) ومن ممارسة المهن الحرة كالمحاماة والطب(٤١) .

واستمر اصدار القوانين والأوامر الأدارية والتشريعات طيلة الحرب العالمية الثانية حتى جرّد اليهود من كامل انسانيتهم ورفعت عنهم كل حماية او حصانة قانونية واصبحوا مستباحين لا حول لهم ولا قوة(٤٢) .

**ثانياً ـ الأجراءات القمعية :**

كان يعيش في المانيا ستون الفاً من اليهود البولنديين وكانت المانيا تزمع التخلص منهم فتنبهت السلطات البولندية واصدرت مرسوما ببطلان جوازات هؤلاء الذين اصبحوا بعد تاريخ ٢٩ اكتوبر ١٩٣٤ مجردين من اية جنسية لذلك وفي يوم ٢٨ اكتوبر كان خمسة عشر الف يهودي قد سلموا انذارات ترحيل ونقلوا بمختلف وسائل النقل الى الحدود البولندية التي اغلقت بوجوههم فقفلوا الى داخل الحدود الألمانية

---

(٤٠) الموسوعة اليهودية ـ القدس سنة ١٩٧٤ مجلد ١٢ صفحة ٢٧٤ .

(٤١) تاريخ المانيا الهتلرية ـ وليام شيرز . دار الكتاب العربي ، ترجمة خيري حماد ، صفحة ٤٢٧

(٤٢) The Holocaust Years , Roselle Chartock and Jack Spencer ,New York 1978 , Page 22 - 30

وبعد مدة قصيرة استؤنفت المحاولة وارسل عشر آلآف يهودي بسيارات شاحنة ووضعوا في الحقول قرب الحدود حيث مات الكثير من الشيوخ والأطفال والنساء المرضى ، وفيما بعد كررت هذه المحاولة عبر الحدود الروسية الشرقية وحدود سيلسيا على الرغم من احتجاجات الحكومة البولندية التي وجدت في هذه العمليات عبئا ثقيلا لا تستطيع تحمله خصوصا وان جميع هؤلاء اليهود من الفقراء المعدمين المحتاجين الى الرعاية والمساعدة(٤٣) .

كانت اعمال الترحيل القمعية هذه سببا في ان يقوم الفتى اليهودي ( هيرشل جرنزيان ) الذي يعيش في باريس بانتظار الدبلوماسي الألماني ( فون رات ) على درج السفارة الألمانية في باريس ويقتله . كانت هذه العملية نقطة الأنطلاق الأساسية في ليلة الكريستال المشهورة التي حدثت يوم ١١ نوفمبر سنة ١٩٣٨ والتي شهدت اجراءات قمعية شملت كل مناحي الحياة اليهودية والتي نتج عنها احتراق ١٩١ معبدا و ١٧١ شقة سكنية كما تم نهب ٨١٥ محلا تجارياً وحجز حوالي عشرين الف يهودي ارسلوا الى معسكرات الأعتقال بحجة حمايتهم كما قتل ٣٦ يهوديا وجرح عدد مماثل . ولكن المصادر الصهيونية تعتقد ان عدد المتاجر التي تم نهبها هو سبعة آلاف وخمسماية وليس العدد كما اوردته المصادر الألمانية(٤٤) .

اثر هذا الحادث تم اعتقال مئة وسبعة عشر من المشاغبين الذين تسببوا به وقدموا للمحاكمة وبعد ثلاثة اشهر اعترفت محكمة الحزب ان المشاغبين كانوا اعضاء في الحزب ولكنها طلبت محاكمة خمسة منهم وأخلت سبيل الآخرين ثم طلبت الى الفوهرر الغاء الأحكام التي صدرت ضدهم .

وتقييما لما نتج عن ليلة الكريستال من خسائر فادحة وبعد مداولات بين قادة الرايخ خرجوا بنتيجة ان اليهود هم المسؤولون عن هذا التمرد ولذلك تقع عليهم

---

(٤٣) Gerald Reitling Page 14

(٤٤) Ibid Page 17



المسؤولية كاملة ويتحتم عليهم تقديم التعويضات اللازمة للآريين الذين تضرروا . وبناء على هذه النتيجة صدرت ثلاثة مراسيم ، الأول يأمر بطرد اليهود من الحياة الأقتصادية والثاني يلزمهم بدفع غرامة مقدارها الف مليون مارك والثالث بدفع النفقات عن التلف الناتج عن التمرد . وبعد ثلاثة ايام صدر امر بحظر المدارس الألمانية على اليهود واماكن الأستجمام وبعد مدة قصيرة صدرت مراسيم العمل الأجباري والقانون الذي يحدد الأملاك اليهودية المستأجرة ، وكانت هذه الأجراءات هي الخطوة الأولى نحو حياة الجيتو(٤٥) .

لم تكن تلك الممارسات ضد اليهود مقتصرة على دولة الرايخ وانما انسحبت على كل مكان وطأته اقدام جنوده ، فقد خلق الوجود النازي في النمسا مشكلة واسعة وجديدة بالنسبة لليهود وبالنسبة لغيرهم من المسيحيين المعادين للنازية وقبل احتلال رومانيا وبولونيا بدأت تصل الى هذين البلدين موجات العداء لليهود ، كما امتدت هذه الموجات الى دول حوض الدانوب التي يعيش فيها حوالي مليوني يهودي بالاضافة الى ثلاثة ملايين يهودي في بولندة(٤٦) .

وما ان وقعت جميع هذه الدول تحت الأحتلال النازي حتى بدأت تمارس ضد اليهود كل الأجراءات القمعية والقهرية التي مورست في المانيا توطئة لاجلائهم عن اوطانهم واقتلاعهم من جذورهم ، وهكذا سارت جنباً الى جنب مع الاتفاقية الأقتصادية مدعومة ومسنودة بالقرارات والقوانين العرقية والممارسات الأرهابية والقمعية .

---

(٤٥) Ibid Page 18

(٤٦) Foreisn Affairs , Dorothy Thompson 1939 , Vol 10 No . Page 376

## القسم الثالث

## قيادة الحركة الصهيونية تدعم اجراءات النازيين

هل كانت اجراءات هتلر وقوانينه ضد اليهود ذات الطابع العنصري العرقي تزعج القيادة الصهيونية ام انها كانت تباركها وتؤيدها ؟ وما هي مواقف هذه القيادة سواء في التصريحات او في اجهزتها الأعلامية وعلى وجه الخصوص الصحافة الصهيونية التي كانت تصدر في المانيا وكذلك في قرارات المؤتمرات الصهيونية العالمية التي عقدت في تلك المرحلة ؟

**اولاً : الصحافة الصهيونية :**

اصبح الأتحاد الصهيوني في المانيا بعد نجاح النازية في الوصول الى الحكم قوة يحسب لها حساب ضمن الجالية اليهودية الألمانية ، في حين لم يحرز الا نجاحا محدودا قبل عام ١٩٣٣ . ونتيجة لهذا التطور ازدهرت الصحف الصهيونية التابعة للأتحاد وارتفعت نسبة مبيعاتها بشكل ملفت للنظر وعلى الخصوص صحيفة ( جوديش روندشاو ) التي يصدرها الأتحاد والتي ارتفع توزيعها من عشرة آلآف عدد قبل صعود هتلر الى (٣٨٫٥٠٠) عدد في نهاية عام ١٩٣٣ . ومع تعاظم قوة الحركة الصهيونية - بدعم النازيين - في الأوساط الشعبية بدأت تطالب لنفسها بحصة اكبر من السلطة في اوساط الجالية اليهودية بانية طلبها هذا على اساس الفشل السابق لزعماء اليهود الألمان في تهيئة واعداد اليهود لمجيء هتلر . فعقب ذلك مباشرة كتبت الصحيفة



المشار اليها اعلاه تقول : « ان الكفاح من اجل حقوق اليهود يمكن ان يتحرك فقط بوساطة اولئك الذين كان التزامهم بالشعب اليهودي وبالقومية اليهودية بعيدا دائما عن اللوم والانتقاد - الصهاينة - » . وفي عددها الصادر بتاريخ ١٩٣٣/٤/٧ اعلنت تقول : « انه من بين جميع فئات اليهود فان الصهيونيين هم وحدهم القادرون على العمل مع النازيين بثقة جيدة (كشركاء اوفياء) » . وبعد شهرين ونصف من ذلك اقترح الاتحاد الصهيوني الالماني في مذكرة وجهها الى السلطات النازية بتنظيم وضع اليهود الشرعي على اساس مجموعات . كما رفع عريضة الى الحكومة يطلب مساعدتها في اعداد هجرة منظمة(٤٧) .

وفي تاريخ سابق نشرت نفس الصحيفة بيانا اصدره الأتحاد الصهيوني في المانيا يفند الأخبار التي يتناقلها الجمهور خارج المانيا ويسيئون استعمالها بقصد ( الأساءة ) الى المانيا فيقول : « لقد وقفنا بحزم في اعلاننا الذي نشرناه في ١٧ آذار الجاري مؤكدين اننا ضد كل دعاية معادية لألمانيا ، واعترضنا على كل ما هو مناف للحقيقة من قدح وذم ومن اخبار مختلقة مثيرة ، ونحن نكرر اليوم احتجاجنا بشكل علني ، ونحتج فوق ذلك على كل محاولة لتسخير قضية اليهود في خدمة السياسة لدول اخرى او مجموعات من الدول او الفئات . لا يمكن ولا يجوز الربط بين الدفاع عن حقوق المواطنية لليهود في الدول التي يعيشون فيها وبين الحملات السياسية التي تقوم ضد المانيا وضد السياسة الخارجية للرايخ الألماني بقصد الحط من قيمة المانيا وسمعتها » .

ثم تؤكد الصحيفة ان اليهود لا يمكن ان يلفقوا مثل هذه الأخبار المزيفة وانما هم ضحيتها وان يهود المانيا ينددون بالتقارير الكاذبة والمثيرة التي تنشر في البلدان الأجنبية وان على الصحافة اليمينية أن تعتمد فيما تنشر بخصوص أحوال اليهود على ما تنشره فقط ( جوديش روند شاو ) والتي نفت منذ مدة الشائعات التي تتحدث عن اضطهاد اليهود وتستمر الصحيفة ان حملات التحريض ضد المانيا ستضر باليهود ،

---

(٤٧) History Today , January 1980

وبحماس تحاول الصحيفة تكذيب كل الأخبار التي تنشر عن احوال اليهود السيئة ، واستمر هذا الدفاع حتى اهاج الطوائف اليهودية خارج المانيا[٤٨] وفي نفس الوقت اجتهدت الصحيفة لأثبات ان مقاطعة المانيا اقتصاديا هو ضد صالح اليهود فاستشهدت بمواقف يهودية خارج المانيا[٤٩] .

قد نجد مبرراً لهذه الصحيفة عندما تتولى قيادة هذه الحملة بانها مضطرة لأن تمالىء النظام النازي خوفا على رقاب الصهاينة ولذلك تقوم بما قامت به من اجل ايهام هذا النظام بانها ترفض دعوى اليهود في الخارج حتى تحافظ على اليهود في الداخل ومن ثم لتعمل بهدوء على انقاذ اليهود وانقاذ ما يمكن انقاذه منهم ، يصح هذا الأفتراض اذا لم تكن الصهيونية واعية على اهداف النازية ومطلعة على تفاصيلها ومشاركة في تنفيذها . ولذلك نلاحظ انها في نظرتها للمسألة اليهودية تثبت هذه الحركة من خلال صحافتها الخط السياسي نفسه الذي سارت عليه الفاشية الألمانية وتتبناه حيث تقول : « تعترف الصهيونية بوجود المسألة اليهودية وتريد حلها بطريقة بناءة،لهذه الغاية فانها تريد ان تجند مساعدة جميع الشعوب سواء من كان يصادق اليهود او من يعاديهم ذلك بان هذه المسألة بحسب مفهومها ليست مسألة عاطفية بل مسألة تتعلق بمشكلة حقيقية تهتم جميع الشعوب بحلها »[٥٠] .

وفي مقال لـ ( ارنست هوفمان ) في الصحيفة المشار اليها اعلاه وتحت عنوان ( عداء السامية وحل المسألة اليهودية ) يقول فيه : « يتهم اعداء اليهود الصهاينة منذ هيرتزل وحتى ايامنا هذه بانهم ـ الصهاينة ـ يتصرفون مثلما يتصرف اعداء السامية فهم يعترفون بوجود مسألة يهودية ويريدون حلها في نطاقهم الخاص بمعزل عن الشعب المضيف . ان توصل الصهاينة الى اعتبار عداء السامية الحديث هو نتيجة

(٤٨) صحيفة يوديشي روندشاو العدد ١٩٣٣/٣/٢٨

(٤٩) المصدر السابق عدد ١٩٣٣/٣/٣٠

(٥٠) المصدر السابق عدد ١٩٣٣/٦/١٣ .



لذوبان اليهود في المجتمعات التي يعيشون فيها اوحى اليهم بان التخلي عن الذوبان في هذه المجتمعات يخدم الجهود الرامية الى حل صهيوني نهائي والعودة الى اليهودية كحل قومي ، الأمر الذي سيضعف اللاسامية ويوجد تصالحا بين اليهود وغيرهم ضمن حدود معينة شيئا فشيئاً » .

« اننا نسمع في الواقع هنا وهناك اصواتا غير يهودية تؤيد مثل هذا الرأي . وهذا يعني أن الدوائر اللاسامية اجمعت بشكل مباشرا وغير مباشر على ضرورة تنظيم العلاقة بين اليهود وبيئتهم حسب المفهوم الصهيوني »[٥١] .

انطلاقاً من هذه الأفكار الواضحة المبنية على ان المسألة اليهودية لا يمكن حلها إلا من خلال الحلول الصهيونية الرامية الى اعتبار اليهود شعبا مستقلا قائما بذاته وعرقا وعنصرا منفصلين عن باقي الأعراق والعنصريات . وتأكيدا على أن فكرة الأندماج هي السبب الأساسي في وجود اللاسامية ، وان الذوبان يعمقها ويجذرها ، من هذا الفهم شنت الصحيفة الناطقة باسم الأتحاد الصهيوني الألماني ـ وهو المؤسسة الوحيدة في المانيا التي يسمح لها ان تتحدث باسم اليهود ـ هجوما شديدا على الأندماج والأندماجيين منسقا جهوده مع السلطات النازية ، مسوغا للقومية الأشتراكية موقفها من السامية فتقول : « ان الدولة الليبرالية تقبل تلاؤم اليهود باندماجهم لانها ليست لديها اية مشاعر للقيمة التاريخية ، ولكن يتوجب على الدولة القومية الاشتراكية ان ترفض ذلك بحماس لانها لا تستطيع ان تحصل على يهودية مموهة ومتخفية ومتملّقة . إنها لا ترغب بان يلعب اليهود ذوو الأصل الألماني والذين عمدوا على هذا الأساس دورهم كألمان حتى لو كان تفكيرهم يتوافق مع الحزب الحاكم . ويوجد يهود هائجون لتصرف الدولة لأنهم يجهلون الحالة الموضوعية . فاذا رفضنا نحن اليهود من عمدنا واعتبرناهم بلا اخلاق فكيف تقبلهم الأمة الألمانية في جماعتها ؟ هنالك يهود ارواحهم عمياء وطرشاء يحاولون في ايامنا هذه ان يظهروا

(٥١) المصدر السابق عدد ١٩٣٣/٤/٤ .

الرغبة في الذوبان ويعتقدون بان المرء يستطيع كالسابق عن طريق نزاهته ان يتودد ويتزلف مقدما نفسه كيهودي زالت عنه قوميته ، لكن الآخرين ( الألمان ) يعرفون ان الطبيعة اليهودية ستعود الى الظهور في الأنسان اليهودي حتى عندما تتم محاولة طردها بكل الوسائل . ان الكثيرين من غير الصهاينة يعرفون ذلك وبوسع جميع اليهود ان يعرفوه »(٥٢) .

ولا تكتفي الصحيفة بانتقاد الأندماجيين في المانيا بل انها توجه لهم اللوم والأنتقاد الشديد اينما كانوا وتستغرب هذه الصحيفة كيف ان اليهود استمروا مؤمنين بالأندماج بالرغم مما اصابهم وهي بهذا تعني اليهود الألمان الذين هاجروا من المانيا الى بلجيكا ولذلك فهي تحثهم على اقامة تشكيلات يهودية مستقلة سواء في المدارس او حركات الشباب والكشافة او غيرها وترى ان وضع هؤلاء طالما انهم لم يندمجوا في المؤسسات الصهيونية يدعو الى الحزن والأسى(٥٣) .

كانت تؤمن الصحيفة بضرورة فعل كل ما من شأنه ان يدفع اليهود للهجرة الى فلسطين دون غيرها . ولذلك فقد استجوبت الصحيفة الدكتور ارلوزوروف عضو اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية والذي كان له دور كبير في عقد اتفاقية هعفارا والذي قتل في ظروف غامضة فيما بعد على شواطيء تل ابيب . يقول الدكتور ارلوزوروف : « لن اتعرض للنقاش النظري فيما اذا كانت فلسطين هي الحل للوضع الألماني اليهودي ولكن يجب ان لا نغفل ان فلسطين على عكس بعض الخطط الأخرى ( يقصد البلدان الأخرى ) ليست حلا مؤقتا وليست ملجأ لليلة . ان الذي نفعله في فلسطين له صفة الأستمرار وهو يجري في جو القدرة الذاتية والتقرير اليهودي ، ما لم توفره لنا اية دولة في العالم » .

ثم يتحدث عن امكانيات استقبال الأطفال واستيعاب تعليمهم في المدارس

(٥٢) المصدر السابق عدد ١٩٣٣/٥/٩ .

(٥٣) المصدر السابق عدد ١٩٣٣/١١/١٨ .



الداخلية ومدارس الضاحية السكنية والضواحي التعليمية والتأهيل المهني وامكانات الأستيطان الزراعية والمجالات الأقتصادية والصناعية الضخمة ، ثم يتحدث عن امكانية عقد اتفاقية تصدير سلع المانيا الى فلسطين وهو بالتأكيد يعني هنا اتفاقية هعفارا . ويخلص الى القول ان فلسطين ستكون فخورة بالشيء الذي تقدمه وان المؤسسة التي يرأسها الدكتور وايزمان ستكون جاهزة لتمويل كل المشاريع التي اشار اليها وهي بالفعل ـ كما يقول ـ تقوم بذلك(٥٤) .

وحتى تقفل الصحيفة ابواب المهاجر الأخرى امام اليهود عمدت الى الحديث باسهاب عن صعوبات الهجرة الى كولومبيا . واوحت الى ان التأشيرات القانونية التي تعطى للمهاجرين اليهود من قبل قناصل هذه الدولة لا يعترف بها عند وصول المهاجرين الى الموانيء ، كل هذا حتى تثبط عزيمة اليهود المهاجرين الى هذا البلد وحتى يصرفوا النظر نهائيا عن الهجرة اليه .

وبنفس الأسلوب تحدثت عن البرازيل وكوبا مؤكدة ان هذين البلدين وضعا من العراقيل ما يجعل الوصول اليهما امرا مستحيلا وان قوانين كلا البلدين وضعت خصيصا لمنع اليهود من دخولهما (٥٥) .

### ثانياً : اقوال وتصرفات الحركة الصهيونية :

كانت جماهير اليهود سواء في امريكا او غيرها عفوية في موقفها تجاه السياسة النازية العنصرية الموجهة ضدهم ولذلك كانت ردود فعلها عفوية ايضا عندما اهتاجت وتظاهرت وطالبت بمقاطعة المانيا اقتصاديا . انه الموقف الطبيعي الذي يمليه عليها واجبها وعلاقة الدين التي تربطها بهم . ولكن هذه الجماهير كانت ولا تزال غافلة عما تراه القيادة وما كانت تفعله .

(٥٤) المصدر السابق عدد ١٩٣٣/٤/٢٣ .

(٥٥) المصدر السابق عدد ١٩٣٣/١١/١٨ .

في مستهل العام **١٩٣٣** عمت العالم موجة من الحوادث اللاسامية في المانيا والمجر ووارسو وحتى وصلت هذه الموجة الى الصين بحيث بات الخطر يهدد الطائفة اليهودية في اماكن مختلفة من العالم لذلك تداعى اليهود الأمريكيون لتدارس الأجراءات الواجب اتخادها ضد اللاسامية ودعي لهذا الغرض ستيفن وايز بصفته رئيس المؤتمر اليهودي الأمريكي لوضع استراتيجية عامة ومعالجة الأمر بهدوء وحتى لا يستفز النازيون واللاساميون ويمعنون في ممارستهم القمعية ضد اليهود . الا ان ستيفن وايز فاجأ الجميع بان اعد تظاهرة ضخمة في حديقة ساحة ماديسون ليخطب فيها زعماء اليهود واعلن في دعوته لاحتجاج شعبي صارخ ضد هتلر قائلاً : « على اليهود ان يعبروا عما في قلوبهم فقد مضى عهد الحذر والتعقل يجب ان نتكلم كما يتكلم الرجال . . . كيف لنا ان نسأل اصدقاءنا المسيحيين ان يرفعوا اصواتهم استنكارا للمظالم التي يعانيها اليهود اذا بقينا نحن صامتين » ثم تابع فقال محذرا : « ما يحدث في المانيا اليوم قد يحدث غدا في اي بلد آخر على وجه البسيطة ما لم يلق تحديا وتعنيفا فليس اليهود الألمان هم الذين يعتدى عليهم . . . انهم اليهود » الا ان الشتدلانيم ( Shtadlenim ) قاموا بتوجيه ضغط كبير على وايز طالبين اليه ان يلوذ بالصمت ويلغي المهرجانات المزمع اقامتها وحذر بان اجتماع الأحتجاج اذا ما عقد فستكون دماء يهود المانيا في عنقه ، واستخدموا نفوذهم لأبعاد حاكم نيويورك عن التحدث في المهرجانات . ولكن وايز استمر في مساعيه لأقامة هذه المهرجانات يدعمه في ذلك براندیس ( الزعيم الصهيوني ) الذي كان يثق به والذي خاطبه بقوله ( امضي وليكن الأحتجاج قويا قدر المستطاع )[٥٦] .

ويشير الى هذه المرحلة ناحوم جولد مان عندما يتحدث عن انشاء المؤتمر اليهودي العالمي بشكل رسمي عام **١٩٣٦** وعن الأجتماعات التي عقدها المؤتمر قبل هذا التاريخ في **١٩٣٢** و **١٩٣٣** و **١٩٣٥** وكيف كانت جملة المناقشات في هذه

(٥٦) AMERICAN Zionism From Herzl to the Holocaust , Malvin .1 . Urofsky New york 1972 , Page 363 , 364 , 365



اللقاءات تتعلق بالوضع في اوروبا ثم يقول : « عندما يعود الأنسان ليقرأ خطاباتنا في ذلك العهد فانه سيلاحظ انني مع ستيفن وايز كنا نحذر اليهودية من هتلر ولكن اكثرية ( الشعب ) اليهودي لم تعر ذلك اذنا صاغية وعندما يتحدث شوبنهاور عن التفاؤل الملعون لدى اليهود فان هناك ما يرغمنا على الأعتراف بان فيلسوف التشاؤم كان على حق[٥٧] .

فقبل ان يصعد هتلر الى الحكم مثلا وبالتحديد في عام **١٩٣٢** اعلن حاييم وايز مان ان فلسطين ستنهض على خراب يهود الشتات . وكان يقصد ـ حسب تعبير وولترلوكير ـ الخراب الأقتصادي لا الدمار المادي ( البدني )[٥٨] .

**ثالثاً : المؤتمرات الصهيونية وموقفها خلال تلك المرحلة :**

يبدو موقف القيادات الصهيونية وهي تقود مظاهرات الاحتجاج ضد افعال النازية وكأنها تتناقض مع مسيرة الحركة الصهيونية بشكل عام في دعمها وتأييدها للقرارات والممارسات القمعية التي بدأت تطبقها النازية ضد اليهود خصوصا وهي تعلن الحرب الشعواء ( الكلامية ) على المانيا الهتلرية وتطالب كل القوى الغربية بالوقوف الى جانبها الا ان هذه القيادات نفسها اتخذت مواقف مغايرة كليا لما كانت تعلنه عندما جلست في مؤتمراتها العامة لتتخذ قرارات ذات طابع تنفيذي عملي .

في المؤتمر الصهيوني الثامن عشر الذي عقد في براغ من ١ آب الى ١٤ ايلول **١٩٣٣** ، جرى نقاش حاد حول مصير اليهود الألمان والسياسة النازية العنصرية وموضوع مقاطعة المانيا اقتصاديا ردا على سياستها تجاه اليهود . الا ان مطالعات معظم الزعماء البارزين امثال سوكولوف وروبين وغيرهما لم تكن تحتوي على اي مضمون عملي ، سار الحوار في جو من الحسرة والألم والأحباط . اذ قال سوكولوف مثلاً : « ان الكلام خطر ولكن الصمت اخطر . . اننا لم نشعر بهشاشة وضعنا بمثل

(٥٧) المفارقة اليهودية ـ ناحومم جولدمان ، ترجمة الدراسات الفسلطينية صفحة ٣٥ .

(٥٨) History of Zionism LWalter Laquer Page 499

هذا القدر من الوضوح والقسوة . لقد كان من المستحيل ان يتصور المرء وقوع مثل هذا التطور قبل خمس سنوات » اما روبين فقد قال : « ان افضل احتجاج على السياسة المناهضة لليهود هو انقاذهم » ثم تنبأ ان يفقد حوالي مئتي الف منهم اي نصف عدد اليهود الألمان تقريبا مصادرهم الأقتصادية ، وبعد ذلك تحدث عن طاقة فلسطين لأستيعاب ما يمكن منهم . ثم اشار بشكل عابر الى نشاطات سام كوهن مدير شركة الحمضيات الذي سبق له ان عقد اتفاقية باسم شركته مع الألمان والتي تحولت الى هعفارا . تلك الأتفاقية التي رأت فيها بعض الأوساط اليهودية خيانه انها نسفت كل التدابير التي يجب ان تتخذ ضد المانيا . لقد لوحظ انه خيم على مؤتمر براغ صفة الفشل التي كانت تتردد على السنة الحاضرين الذين قالوا اننا قصرنا في عدم المبادرة الى مساعدة اليهود الألمان ، كما عجزنا عن اجتذاب الجماهير اليهودية الى الفكرة الصهيونية(٥٩) .

وخلافا للطرح الخاص باتفاقية هعفارا والحوار الذي دار حولها لم يجر اي حوار مستمر كما لم تتخذ اية قرارات ذات اهمية او جدوى . الأمر الذي يجعل المؤتمر وكأنه عقد فقط للتصديق على هذه الأتفاقية التي عرضت بشكل ثانوي وسريع . وخفتت كل الأصوات التي كانت تنادي في الخارج بضرورة المقاطعة ولم يصدر في هذا المؤتمر اي قرار يتعلق بالمقاطعة بل على العكس من ذلك جرى تغيير رئيس تحرير الصحيفة الصهيونية ( بريد اليوم ) ( ايتمار بن آفي ) ليحل محل ( موشي سميلنسكي ) الذي يعارض المقاطعة ويؤيد استمرار الأتفاقية(٦٠) . حتى تخرس كل الأصوات التي تنادي بالمقاطعة او تسعى الى تطبيقها . وحتى تسير اتفاقية هعفارا في طريقها المرسوم وحسب الخطة التي وضعتها قيادة الحركة الصهيونية مع الرايخ النازي . ففي الوقت الذي لم تعط فيه الأتفاقيات الأقتصادية مع المانيا اي اهتمام نلاحظ ان المؤتمرين في المؤتمر الصهيوني العالمي التاسع عشر المعقود في لوزان العام ١٩٣٥ ، يعبرون عن

(٥٩) Ibid Page 503

(٦٠) ديفيد يسرائيلي صفحة ١٢٨



احتجاجهم وسخطهم تجاه السياسة النازية ثم يؤكدون القناعة بالحل الصهيوني للمسألة اليهودية وان فلسطين هي البلد الوحيد الذي يستقبل هجرة يهودية كبيرة وان ( الشعب اليهودي ) اثبت قدرته على خلق امكانات في فلسطين لأندماج اقتصادي لجماهير غفيرة من اليهود ، وبعد ذلك يتوجه بنداء الى العالم والى الرأي العام العالمي لمساعدة اليهود من اجل ان يتجمعوا في ( وطنهم التاريخي ) . وان هذا الوجود سيؤكد ارادة ( الشعب اليهودي ) في الحياة بانسجام وتفاهم مع سكان فلسطين العرب ومع الشعب العربي في البلدان المجاورة . وان اعمار اليهود لفلسطين قد جلب الخير العميم لسكانها العرب وللعرب المجاورين وانه سيشكل سندا لتطور الشرق الأوسط باسره .

ويستمر المؤتمر في استعراض الوضع اليهودي في فلسطين ومطالب المنظمة الصهيونية من عصبة الأمم ومن الدول المنتدبة الى ان يصل الى البند ٢٢ من القرارات السياسية ليذكر جملة واحدة فقط عن اتفاقية هعفارا تقول : « لتعزيز هجرة اليهود من المانيا الى فلسطين تقوم اللجنة التنفيذية بوضع مجمل عمل الهعفارا تحت رقابتها »(٦١) . وهو بهذه الجملة اراد ان يحقق هدفين في آن واحد :

**اولهما** : ان اي حديث عن المقاطعة لن يكون مقبولاً ولن يعتبر من صلب الصهيونية وسياستها الخاصة تجاه يهود المانيا .

**وثانيهما** : ان الأتفاقية تتم بموافقة وباشراف وبرعاية المنظمة الصهيونية العالمية وقد تم اعتمادها .

(٦١) قرارات المؤتمر الصهيوني الثامن عشر ، المعقود في آب وايلول سنة ١٩٣٣ - براغ - طبع في فيينا سنة ١٩٣٤ وقرارات المؤتمر الصهيوني التاسع عشر - طبع سنة ١٩٣٦ .

# الفصـــل الثانـــي

## موقف قيادة الحركة الصهيونية من المذبحة

ان الحديث عن المذبحة التي اصابت اليهود في الحرب العالمية الثانية على يد المانيا النازية يتطلب منا التعرف على مـواقف زعماء الصهيـونية من هـذه المذابـح والأجراءات التي اتخذوها لوقفها أو للحد منها أو لتقليل أخطارها خصوصا ونحن نعرف ما لهذه الزعامات من نفوذ واسع في كل دول الغرب هذه الدول التي كانت تخوض الحرب ضد النازية .

نفترض أن الصهيونية ستبذل كل ما تملك من امكانات مالية وغير مالية لأنقاذ اليهود أو على الأقل أن تعمل لابقائهم حتى تنتهي الحرب ، نفترض أنها ستثير الرأي العام العالمي وتلفت نظره الى هذه المذابح حتى يتحرك وتتحرك الحكومات بعد ذلك لعمل ما يخلص هؤلاء من المصير المشؤوم .

الا ان ما فعلته الصهيونية كان عكس ما نفترض تماما : -

١ - فهي لم تقدم اية مساعدة مادية او غير مادية لضحايا النازية ، ولم تسمح لأية جهة ان تقدم اية مساعدة مهما كان نوع هذه المساعدة .

٢ - وقـد اخفت المعلومـات التي كـانت تـرد من داخـل اسـوار الغيتـو ومعسكرات الأعتقال تلك المعلومات التي توضح حقيقة ما يجري . واذا ما اضطرت الى الأعلان عن اي امر فانها تقوم بذلك بشكل يشكك بصحة هذه المعلومات ويقلل من خطورتها .

٣ ـ اعتمدت الصهيونية مبدأ الانتقاء والأختيار عندما قامت بحملات لتخليص اليهود من المذبحة حيث نصبت نفسها الآمر والناهي فيما يتعلق بحياة اليهود وهي التي تقرر من يستحق الحياة ومن يستحق الموت .

٤ ـ وهي لم تبذل اي جهد لدى دول العالم وخاصة الدول الغربية لقبول اللاجئين اليهود الفارين من جحيم الكارثة . بل وضعت عراقيل في وجه كل الجهود التي كانت تبذل من قبل الجماهير المسيحية او من قبل اليهود غير الصهاينة او من قبل بعض الدول التي رأت ان تجد حلاً لمثل هذه المشكلة الأنسانية .

٥ ـ لم تكتف الصهيونية بذلك بل قامت بعمليات تحريضية واسعة ضد اليهود الواقعين تحت الاحتلال النازي وذلك لاستعداء النظام الهتلري ضدهم والانتقام منهم وتوسيع عمليات الابادة الجماعية ، حيث كانت الحركة الصهيونية تعلن في امريكا او في فلسطين عن مواقف عدائية استفزازية للسلطات النازية ومن شأن هذه المواقف ان تزيد من حدة الهجمة الشرسة التي بدأتها هذه السلطات ضد اليهود تمهيداً لأبادتهم .

٦ ـ موقف حركة التحريفيين بقيادة جابوتنسكي وخليفته مناحيم بيجن من هذه المذبحة . قبل ان ندخل في تفاصيل هذه البنود ، وقبل ان نضع علامات الأستفهام والدهشة والاستغراب والأستنكار علينا ان نعود الى الوراء قليلا ، الى اصول الفكر الصهيوني ، الى ادبيات المفكرين وآرائهم وتصوراتهم لما سموه القومية اليهودية والمسألة اليهودية . لنزيل من حيث المبدأ كل اسباب الدهشة التي قد تصيبنا . ثم ننتقل بعد ذلك الى نقل الشواهد والأثباتات والأدلة التي تدمغ الممارسات الصهيونية في هذا الميدان ، هذه الممارسات التي جعلت زعماء الصهيونية شركاء في عمليات الأبادة التي اصابت التجمعات اليهودية في اوروبا الغربية والشرقية فاقتلعت هذه التجمعات من جذورها وقضت عليها بشكل شبه نهائي .

وقد يتساءل متسائل ، ولكن ما هي مصلحة الصهاينة من ذبح اليهود ابناء



دينهم ؟ ولماذا يكونون شركاء في هذه المذابح ؟ وما الذي يدفعهم الى ذلك ؟

ان مثل هذه ( الأتهامات ) تبدو مخالفة للمنطق وقد تبدو بشكل أوضح مبالغا فيها ، بل قد تعتبر نوعاً من التشكيك والاساءة المتعمدة للحركة الصهيونية ، وقد يتهم من يتكلم بهذا انه عدو للصهيونية ، ومن هذه الزاوية فهو يكيل لها الأتهامات للأساءة اليها ولتشويه صورتها في ذهن العالم . الذي اعتبرها ـ كما ارادت ان يعتبرها ـ حركة تحرير قومي يهودي تسعى الى تحرير اليهود في كل انحاء العالم ، وتبحث عن حل مناسب ومعقول للمسألة اليهودية التي طال الزمن عليها . وهي فوق كل هذا وذاك الممثل الشرعي والوحيد اينما كانوا ومهما اختلفت آراؤهم وتعددت اتجاهاتهم ومذاهبهم وطريقة حياتهم ونمط تفكيرهم .

من هنا كان من الضروري ان نطلع اولا على الأسس الفكرية التي قامت عليها الحركة الصهيونية قبل ان نطلع على الممارسات التي جاءت منسجمة كل الأنسجام مع تلك الأفكار ، فتدعمت الأفكار بالوقائع ، والنظرية بالتطبيق .

يرى هرتزل المسألة اليهودية على انها مشكلة قومية عرقية ، وليست مشكلة اجتماعية اقتصادية . ولأيجاد حل لها يجب ان ينظر اليها على انها مشكلة سياسية دولية[1] وبالتالي فهو يؤكد ان اليهود ، شعب واحد وغير قادر على الأندماج في الشعوب الأخرى . وفي الوقت نفسه فان الشعوب الأخرى ترفضه وتلفظه . على الرغم من انه يعترف ان فئة من اليهود اندمجت في المجتمعات التي تعيش فيها ، ويعترف أيضا ان اليهود سينصهرون في اي مجتمع اذا مكثوا فيه مدة ( بأمان ) . . . ويعقب على ذلك بقوله : « وليس هذا في صالحنا[2] . ثم يتنبأ بوجود اعتراضات على مقولته هذه باعتباره يساعد المناوئين للسامية حينما يتحدث عن القومية اليهودية وانه يعيق الأندماج بل ويعرضه للخطر . ولكنه لا يبالي لمثل هذه الأعتراضات . . .

( ١ ) الفكرة الصهيونية ، النصوص الأساسية ـ مركز الأبحاث الفلسطينية ـ بيروت سنة ١٩٧٠ صفحة ١٠٥ .

( ٢ ) المصدر السابق صفحة ١٠٦ .

ثم يتحدث عن الهجرة المنظمة الخاضعة لرقابة الدول والرأي العام ، هذه الدول التي ستستفيد من مثل هذه الهجرة ، الا انه لا يقبل بالهجرة التي تتم على شكل هروب[٣] . وذلك لأن الحكومات المعنية ( ويقصد الحكومات المسؤولة عن الوطن المختار ) ستضع حدا للتسلل والهروب وبمعنى ادق للهجرة اللاشرعية . وذلك نتيجة ضغط المواطنين الأصليين لهذه البلاد[٤] . من هنا نراه مرة اخرى يؤكد على ان الهجرة يجب ان تتم من خلال اتفاق مع الجهات الرسمية المختلفة بحيث تبدأ بانتظام من بلد ما وتستمر حسب رغبة ذلك البلد في التخلص من اليهود[٥] .

ويهاجم مفكر صهيوني آخر[٦] جميع المحاولات اللاصهيونية لحل المسألة اليهودية ويعتبرها طوباوية ، كما يعتبر الأندماجيين اليهود خياليين ، ويعزو عدم ايمان الجماهير اليهودية بالصهيونية الى عبوديتهم وسلبيتهم اللتين هما نتاج عبودية الف سنة وكذلك الفقر والفراغ اللذان يعيشان بداخلهم[٧] .

ومرة اخرى نعود الى اقوال هيرتزل الذي اجاب في خطاب له امام الجمعية الملكية البريطانية عام ١٩٠٢ وبصراحة تامة على السؤال التالي : ـ « ما الذي يجبر اليهود على الهجرة من بلدانهم وتأسيس الدولة اليهودية ؟ » اجاب : « اللاساميون » . وفي مذكراته كتب يقول : « في باريس اتسعت آفاق نظري الى اللاسامية التي بدأت افهمها تاريخيا واغفر لها كل شيء ، واكثر من هذا اعترف بتفاهة وعدم جدوى النضال ضدها . وعلاوة على ذلك فان هذه القوة الجبارة المتمثلة فيها لن تجلب الضرر لليهود بل اعتبرها حركة مثيرة لتطوير الشخصية اليهودية[٨] .

---

( ٣ ) المصدر السابق صفحة ١١١ .

( ٤ ) المصدر السابق صفحة ١١٩ .

( ٥ ) المصدر السابق صفحة ١٢٧ .

( ٦ ) المصدر السابق صفحة ٢٣٣ .

( ٧ ) المصدر السابق صفحة ٢٣٤ .

( ٨ ) احذروا الصهيونية ـ يوري ايفانوف ـ دار التقدم ـ موسكو سنة ١٩٧٠ صفحة ٨ ، ٨٦ .



نكتفي بهذه المقتطفات من اقوال تيودور هيرتزل ونحمن سيركين وهما من زعماء الصهيونية ، ومن اصحاب ( الفضل ) في ترسيخ الفكر الصهيوني وتعميقه . الا انه يمكننا ان نستنتج من هذه المقتطفات النقاط التالية : ـ

١ ـ ان الحديث عن القومية اليهودية والعنصرية اليهودية كأساس للفكر الصهيوني يعزل اليهود عن الشعوب التي ينتمون اليها ويضع حاجزا منيعا بين الطرفين قائما على عدم الثقة وزعزعة رابطة المواطنية التي استمرت بينهما اكثر من الف سنة .

٢ ـ تحريض اليهود على رفض الأندماج في مجتمعات ( الشتات ) على الرغم من وجوده كواقع باعتباره يشكل حلا فاشلا لما سموه المسألة اليهودية . وذلك تمهيدا لأقتلاع اليهود من جذورهم ونقلهم الى ( الوطن الموعود ) .

٣ ـ ان ( للقومية اليهودية ) و ( رفض الأندماج ) نتيجة حتمية واحدة هي الهجرة اليهودية . الا ان هذه الهجرة ستكون مرفوضة من وجهة نظر الفكر الصهيوني ، اذا لم تكن مدروسة ومنظمة ومسيطراً عليها لانها ستكون غير ذات جدوى وبمعنى ادق ، اذا لم تكن الهجرة موجهة بشكل رسمي وحازم نحو ( الوطن الموعود ) فلن تكون هجرة مفيدة ولن تؤدي الى النتائج المبتغاة .

٤ ـ ان رفض اليهود للفكر الصهيوني هو نوع من ( العبودية ) التي سيطرت على حياة اليهود الف سنه ، يضاف الى هذا الفقر والفراغ اللذان يعيشان بداخلهم .

٥ ـ عدم اقامة اي وزن لأقوال ومصير اليهود الاندماجيين المعادين للفكر الصهيوني اذ لابد من تجاوزهم او التخلي عنهم اذا ما استمروا في اعتناق افكارهم هذه .

تلك هي بعض افكار زعماء الصهيونية وتلك هي نظريتهم التي وضعها هيرتزل وزملاؤه .

فكيف كان التطبيق عندما حان وقت التطبيق ؟ .

# القسم الأول

## المساعدات الصهيونية لضحايا المذبحة . . !

لم يكن يهود اوروبا ، ويهود اوروبا الشرقية بالذات يعتنقون الصهيونية او يؤمنون بها ، ولم يكن الوطن القومي اليهودي يعنيهم من قريب او بعيد لذلك حينما تعرضوا للمذبحة تجاهل مصيرهم ( العالم الحر ) ولكن كان اول المتجاهلين صهاينة القدس ، اولئك الذين اعمتهم شهوة السلطة والحكم عن المصير المظلم الذي كان يتعرض له اليهود في اوروبا .

وفي هذا المجال يرسم ( بن هخت ) صورة دقيقة لزعماء الصهيونية في القدس حين يقول : « ان شخصية سادة اسرائيل الحاليين تتناقض مع شخصية اليهودي التقليدية ، فقد انتهت شخصية التقى والندم اللاحقة بالمشتتين وشخصية الأخوة المرحة والحميمة اللاحقة بالمكروهين ، لتحل محلها شخصية العقلانية السياسية اذ ابتدأ قادة اليهود منذ اعوام الثلاثينات يأخذون دورهم كحكام صهيون الجدد » .

« يفرز الحكم الشخصية التي تتناسب معه ، الأنانية المتصلبة . لقد سيطر على مجرى التاريخ الأنسان السكران بنشوة الثقة منذ ان تشكلت الحكومات ، ولا يختلف الوضع اذا كان هذا الانسان يهوديا او رومانيا او يونانيا او غير ذلك . انه يعرف ان ما هو في مصلحة الشعب هو استمراره في الحكم وهو يعرف ان الصواب هو كل ما يبقيه في السلطة » .



« عن هذا النوع من السكان ساتكلم عن أمراء القدس المسيسين ، فهم لن يفكروا في اليهود الذين يموتون في اوروبا بل في استمرارية الحكم في فلسطين واستمراريتهم معه كلما توضح لي ازدياد ابتعاد سلوكهم عن الانسانية ازداد حب يهود فلسطين والعالم لهم والفخر بهم ، فهم ( اليهود ) خاضعون لهم رغم عدم ولائهم لهم تماما كخضوعهم لله الذي ينزل بهم المصائب ، وهذه غريزة انسانية غريزة الخضوع للطغاة ، ولكنني اعلن انها ليست الغريزة الوحيدة السائدة »(٩) .

هذه هي الصورة التي حاول بن هخت ان يلخص فيها موقف حكام الصهيانة في القدس من قضية اليهود في اوروبا مشيرا الى ان اخلاق الصهاينة لم تعد اخلاقا انسانية وان همهم الأول والأخير هو كيف تزدهر سلطتهم ويزدهرون بها ضاربين عرض الحائط كل ما يصيب اليهود ، ما دام هؤلاء اليهود ليسوا في « ارض اسرائيل » او ما داموا لا تتوفر لديهم النية للسفر اليها ، او ما دامت ارض اسرائيل ليست بحاجة اليهم . وهذا ما يؤكده ايضا زعيمان صهيونيان بارزان :

الأول : هو اسحق غرينباوم رئيس لجنة الأنقاذ في الوكالة اليهودية ايام الحرب اذ اعلن في عام ١٩٤٣ في تل ابيب جوابا على السؤال : ألم يكن بمقدوركم تخصيص الأموال من الصندوق القومي اليهودي لأنقاذ اليهود في اوروبا ؟ اجاب قائلاً : « ابدا . . واكرر مرة اخرى كلا . . يجب علينا ان نقاوم هذا التوجه الذي يدفع النشاطات الصهيونية الى مهام ثانوية . . » ثم ردد شعاره المشهور « عنزه في ارض اسرائيل اكثر اهمية من كل مجتمع الشتات »(١٠) .

وعندما ترأس غرينباوم اجتماعا في تل ابيب لدراسة موضوع ( الشتات والأنقاذ ) في بداية شباط عام ١٩٤٣ اقر بما يلي : « من اجل انقاذ اليهود في الشتات علينا ان نعزز قوتنا الزائدة ، وفائض الجهود التي نملكها وعندما ياتون الينا بخطتين ،

---

(٩) Perfidy , Ben Hecht , U . S . A .1961 Page 12

(١٠) Ibid Page 50

انقاذ جماهير اليهود في اوروبا او تحرير الأرض اصوت دون تفكير لصالح تحرير الأرض . وكلما ازداد الحديث عن ذبح شعبنا كان التقليل من شأن جهودنا لتعزيز وتشجيع تهويد الأرض اعظم . واذا ما توفرت اليوم امكانية لشراء علب الطعام باموال الـ ( كيرين هايسود ) النداء اليهودي الموحد لأرسالها عبر لشبونة فهل نفعل شيئا كهذا ؟ كلا . . . مرة اخر كلا »[١١] .

اما الزعيم الثاني فهو حاييم وايز مان اول رئيس لدولة اسرائيل ، فقد قال متحدثا عن مصير ستة ملايين يهودي سيبيدهم هتلر فيما بعد : « اخبرت اللجنة الملكية البريطانية ان آمال ستة ملايين يهودي في اوروبا تتركز في الهجرة ، وجوابا على سؤالها ( اللجنة ) هل يمكن ان تنقلهم الى فلسطين أجبت : كلا ، سيموت الطاعنون في السن متحملين قدرهم او غير قادرين على ذلك فهم سقط المتاع اقتصاديا واخلاقيا في عالم ظالم ، ولن ينجو منهم سوى فرع ضئيل . . . وعليهم ان يتقبلوا قدرهم هذا »[١٢] .

ترى هل كان وايزمان يتنبأ أم كان يخطط لأبادة الطاعنين في السن وانقاذ الشباب فقط ؟ ولماذا يجب على الكبار والشيوخ فقط ان يواجهوا قدرهم بينما تهيأ لغيرهم اسباب النجاة ؟

لم تكن تلك الافكار والتصريحات تلقى في فراغ وانما كانت نتيجة ممارسة عملية او توطئة لممارسات عملية قامت بها الحركة الصهيونية وهي في ملجئها الأمين بعيدة كل البعد عن اخطار المذبحة واهوال الأبادة التي كانت تمارس على اخوانهم - في الدين - في طول اوروبا وعرضها .

(١١) The Holocaust Victims Accuse By : Rabi Moshe Shonfield , Naturai Karta , Brooklyn U . S .A , 1977 Page 21

(١٢) Perfidy , Page 19 , 20 .



**اولاً : مصير اليهود الرومان :**

قدمت الحكومة الرومانية عرضا بتهجير سبعين الف يهودي مقابل خمسين دولارا للشخص الواحد ، وقد قدم هذا العرض الى كل من حكومتي بريطانيا والولايات المتحدة ، وقد حول هذا العرض للمنظمات الصهيونية العالمية الا ان هذه المنظمات تجاهلته ، ولم تكتف بذلك بل القت عليه ظلالا من الكتمان حتى لا ينتقل الى الرأي العام اليهودي وغير اليهودي .

نشر هذا العرض في صحيفة سويسرية اشار اليها ( بن هخت )[١٣] واكدته مجلة نيوزويك[١٤]، اذ قالت هذه المجلة : « ان العرض قدم لعصبة الأمم من قبل الحكومة الرومانية تقترح فيه نقل سبعين الف يهودي من ( ترانس دينستريا ) الى ملجأ يحدده الحلفاء ، وقد قدم هذا العرض من خلال دبلوماسيين محايدين . وتعهدت رومانيا بنقل هؤلاء على سفن رومانية تحمل شارة الفاتيكان لضمان سلامة المرور وان شخصيات دينية رومانية مرموقة من بوخارست سترافقهم وستوفر لهم وسائل راحة خاصة حتى رحيلهم . وسيكون على رأس هؤلاء المرافقين أسقف رومانيا والسفير البابوي . على ان تتقاضى الحكومة الرومانية ما يعادل خمسين دولارا للشخص الواحد تكاليف نقل . وجاء في الأعلان ايضا ان ثلاثة ملايين ونصف المليون دولار ستنقذ سبعين ألف يهودي روماني من القتل على يد الألمان .

اثر نشر الأعلان اصدر الحاخام ستيفن وايز كبير زعماء صهاينة امريكا وصاحب الكلمة المسموعة لدى وجهاء يهود نيويورك ، اصدر بيانا بتاريخ **١٩٤٣/٢/٢٣** جاء فيه[١٥] : « لقد درس المجلس اليهودي الأمريكي وبالتعاون مع المنظمات اليهودية المعترف بها الموضوع المذكور وهو يعلن هنا انه لم يتلق اية

(١٣) Shonfield , R . M . Page 99 .

(١٤) نيوزويك ١٩٤٣/٢/١٦ .

(١٥) Perfidy , Page 191 .

معلومات تتعلق بعرض روماني مزعوم للسماح لسبعين الف يهودي بترك رومانيا والهجرة منها ، ولذلك فليس هناك اي مسوغ لجمع تبرعات لهذا الأمر » .

لم يكتف بهذا التكذيب بل انبرت الوكالة اليهودية بدورها ومن لندن الى تكذيب العرض الروماني وتبرق بتكذيبها هذا الى الصحافة الأمريكية لنشره ، الأمر الذي اثلج صدور اليهود الأمريكيين وجعلهم يقدرون هذا ( الجميل ) للوكالة اليهودية التي أراحت ضمائرهم من قضية اليهود الرومانيين .

والحقيقة ان العرض كان صحيحا لأن ( بيتر بيرغسون ) احد زعماء لجنة الطوارىء والأنقاذ التي ينتمي اليها ( بن هخت ) اتصل بنائب وزير الخارجية الأمريكية ( ادولف بيرك ) وطلب اليه ان يؤكد او ينفي الخبر فاجابه بصحته واكد له ان الخارجية الأمريكية قد تلقت فعلا العرض المذكور من الحكومة الرومانية . وبعد عدة سنوات اكد ( بارتلي كروم ) الخبير في شؤون الشرق الأوسط بوزارة الخارجية الأمريكية هذه الحقيقة وقال : « كنا نعلم ذلك » ، واضاف انه من البديهي ان الصهيونية والوكالة اليهودية بما لهما من منظمات شديدة الفعالية كانوا يعلمون ذلك ايضا واكد كروم انه كان بالأمكان انقاذ سبعين الف يهودي ولكن بسبب الضغط اليهودي ( الصهيوني ) فان وزارة الخارجية الأمريكية لم تعلن هذه المعلومات[١٦] .

حاول كثيرون من اصحاب الضمائر الحية من اليهود القيام باي شيء نحو انقاذ هؤلاء وتقديم يد العون والمساعدة لهم ، الا ان نفوذ الصهاينة وامكاناتهم الهائلة واتصالاتهم مع الحكومات ( الديمقراطية ) وتأثيرهم عليها حال دون نجاح هؤلاء بل احبط كل محاولاتهم ومساعيهم ، وهكذا فان الصهيونية لم تكتف بان تقف موقف المتفرج في قضية مصيرية كهذه تتعلق بارواح سبعين الفاً من اليهود بل عرضت من حاولوا بذل اي جهد الى الهجوم والتشهير والتجريح[١٧] .

(١٦) Ibid , Page 192 .

(١٧) Ibid , Page 192 .



تلك هي الفلسفة الصهيونية التي شرحها بوضوح ( حاييم كوهن ) المدعي العام في قضية ـ رودلف كاستنر الشهيرة التي سيرد ذكرها فيما بعد ـ حيث قال انه يباح للانسان بل من واجبه ان يقامر بخسارة الكثرة لانقاذ القلة[١٨] ان هذه الفلسفة قد تكون مقبولة اذا كان الأمر يتعلق بخسارة الكل وامكان انقاذ القلة وكانت في هذه الحالة الخسارة واقعة لا محالة ولا راد لها ولا يمكن تفاديها ، في هذه الظروف يمكن ان يكون مسوغا انقاذ الأقلية والتخلي عن الأغلبية التي لم يكن بالأمكان انقاذها . لهذا كله فاننا نورد هنا الملاحظات التالية : ـ

١ ـ لم تجر محاولة انقاذ احد ـ لا الأقلية ولا الأغلبية ـ وقضية اليهود الرومان لم تكن مطروحة بهذه المعادلة . وانما طرحت بشكل صفقة بشرية لقاء مبلغ من المال .

٢ ـ لا يمكن للصهيونية العالمية ان تدعي انها لم تكن تملك هذا المبلغ او ان المبالغ التي كانت لديها ، انما هي مخصصة لأمور اكثر قدسية من حياة الأنسان .

٣ ـ لم تكتف الصهيونية برفض العرض وانما دلست وموهت على الجماهير اليهودية التي كانت تشتعل حماسا لجمع التبرعات لعملية الأنقاذ واوهمتها ان القضية لا اساس لها من الصحة . ونحن نفترض ان الأمر لو ترك لهذه الجماهير لأمكنها جمع المبالغ المطلوبة وافتداء اليهود بها .

٤ ـ شنت الحركة الصهيونية حملة شرسة ضد اولئك الذين حاولوا ان يفعلوا شيئا او يؤدوا دورا ما او على الأقل ان يرضوا ضمائرهم تجاه ابناء دينهم في رومانيا . حتى هؤلاء لم يسلموا من تقريع الصهاينة لهم .

**ثانياً : مصير يهود هنغاريا :**

ان قضايا ( انقاذ اليهود ) التي تتحدث عنها الصهيونية بشكل مغاير للحقيقة والواقع كثيرة ، ويمكن ان تتحدث عن عشرات الأمثلة والقصص الشبيهة بقصة يهود

(١٨) Ibid , Page 193 .

رومانيا . الا ان القضية الأكثر شيوعا وانتشارا هي قضية يهود هنغاريا ويعود السبب في انتشارها الى المحاكمة الشهيرة التي جرت في القدس ضد رودلف كاستنر رئيس لجنة الأنقاذ في هنغاريا ، والتي ادت الى قتله على يد رجال ( الشيين بت ) فيما بعد حتى تدفن معه كل الحقائق التي لم تعلن ولم يعرفها احد .

كان عدد اليهود في هنغاريا لا يقل عن مليـون انسان ، لم يلفت وجـودهم باديء ذي بدء نظر السلطات النازية الألمانية ، الا ان التمرد الذي حصل في غيتو وارسو سنة ١٩٤٣ نبه رجال الجستابو والـ ( S.S ) الى ضرورة اعطاء هذا التجمع اليهودي الضخم عناية اكثر وزيادة العيون الساهرة عليهم حتى لا يثوروا اسوة بما حصل في وارسو حيث كان درسا قاسيا للوحدات الألمانية العاملة هنـاك . والتي تكبدت بسبب اخماده خسائر لا تصدق . هذا التمرد جعل القيادة الألمانية تعيد النظر في اسلوبها وطريقة عملها في حل المسألة اليهودية ، حتى لا تتكرر التجربة البولونية مرة اخرى في هنغاريا[١٩] .

كانت الأغلبية العظمى ليهود هنغاريا غير منظمة ، فهم لم يرتبطوا بالصهيونية او بالوكالة اليهودية بل كان انتماؤهم لهنغاريا فقط ، هنغاريا بمساكنها وشوارعهـا وحوانيتها وملاعبها ومقاهيها ، ليس لهؤلاء اليهود المندمجين في هنغاريـا من ينطق باسمهم الا طيبتهم وعدم قدرتهم على الضرر وكفاءتهم ، لذلك تصدى للتحدث باسمهم كأمر واقع اليهود المنظمون الذين بدأوا الأتصال بالألمان على هذا الأساس واخذوا على عاتقهم ( انقاذهم ) .

يذكر آيخمان انه كان قلقا بالنسبة ليهود هنغاريا ، حيث عاشوا خلال الحرب دون ان تمسهم قيود صارمة نسبيا ، لذلك فقد كانت تعليمات هملر له القيام بتمشيط كامل لهم قبل ان يفطنوا الى خطة ابادتهم فينظموا مقاومة ضد النازيين وهكذا ترأس

(١٩) مجلة لايف الأمريكية ـ مجلد رقم ٤٩ ـ عدد ٢٢ تاريخ ١٩٦٠/١١/١٨ ـ مقال بعنوان : « محرر مجلة لايف يعـرض وثيقة تاريخية » .



قوة من البوليس الألماني الخاص وتوجه فجر يوم ١٩٤٤/٣/١٩ من معسكر الأعتقال في ( موتوسين ) باتجاه بودابست وذلك للأسراع في اتخاذ الأجراءات المناسبـة نحو الحل النهائي[٢٠] .

ولكن هناك اسباب اخرى تستدعي اعتماد السرية للاسراع في تصفية يهود هنغاريا التي لم تكن بلدا مهزوما مثل بولندا امام المانيا ، بل كانت شبه حيادية ، فيها خمس سفارات عيونها مفتوحة في بودابست كما يوجد مبعوث خاص من البابا وبعثة خاصة من الصليب الأحمر الدولي ، لذلك فان التمتع باراقة الدماء في هـذا الجو المفتوح غير عملي[٢١] .

كذلك فقد قدر الألمان ان بعض المشاكل باديـة في الأفق ، فقد علمـوا ان جماعات يهودية تجتمع سراً من أجل تنظيم المقاومة المسلحة ، وان مجموعات اخرى قد هربت عبر الحدود للحصول على ملجأ ، وربما توسع الخروج والهروب .

ان الألمان يعلمون جيدا انهم لا يستطيعـون وحدهم ابقـاء اليهود المهيئين للموت هادئين دون ان يشكوا بامرهم ، وان العلاج المطلوب يجب ان يكون اقوى من الأبتسامات الألمانية لهذا السبب كان المطلوب من اليهود ، يهودا هامـين ذوي علاقات عالية وموثوقين وتستطيع كلماتهم ان تقضي عـلى تخوف اليهـود وتهديء قطعانهم رجالا ونساء واطفالا ريثما يتم اعدادهم وتسليمهم الى اوشفتز[٢٢] .

لذلك وقع اختيار الألمان على رودولف كاستنر ممثل الوكالة اليهودية وعضو في حزب مباي حزب بن غوريون هذا الحزب الذي سكت طيلة ايام الحرب عن مذابح اليهود في اوروبا وهذا يعني انه سيسكت ايضا على اي امر يقع ليهود هنغاريا .

(٢٠) المصدر السابق .

(٢١) Perfidy , Page 96 .

(٢٢) Ibid , Page 98 .

يصل آيخمان في صبيحة اليوم التالي الى بودابست ويشرع فورا في اجراء مفاوضات مع كاستنر الذي يصفه آيخمان بانه شاب في مثل سنه ومحام بارد الأعصاب وصهيوني متعصب وبعد حوار يوافق كاستنر على ما يلي : ـ

١ ـ المساعدة في جعل اليهود لا يقاومون عمليات الترحيل .

٢ ـ يضمن ان يحافظ اليهود على النظام في معسكرات التجمع .

مقابل ذلك يغض آيخمان الطرف عن السماح لبضع مئات من اليهود بالهجرة الى فلسطين باسلوب لا شرعي .

في العشرين من شهر حزيران سنة ١٩٤٤ ابلغت اذاعة لندن عن وصول مبعوثين الى تركيا من قبل الحكومة الهنغارية ليقدما الى ممثلي الحلفاء العرض التالي من الحكومة الهنغارية : « سيسمح لجميع اليهود الباقين على قيد الحياة في هنغاريا بالخروج مقابل تقديم كميات محدودة من المعدات الطبية وسيارات الشحن من انكلترا وامريكا . على ان تتعهد المانيا بعدم استخدام هذه المواد على الجبهة الغربية » . لا يمكن اماطة اللثام عن اسمي المبعوثين الآن ، وتعتبر الدوائر البريطانية العليمة هذه الصفقة محاولة فجة لأضعاف الحلفاء الذين يعرف تجاوبهم مع يهود هنغاريا . وان هذه الصفقة من شأنها خلق اختلاف بين الحلفاء ، ولا توجد امكانية مهما كانت بسيطة لأن توافق الحكومتان البريطانية والأمريكية على الدخول في مفاوضات من هذا النوع رغم رغبتهما الشديدة في تقديم العون ليهود هنغاريا[٢٣] .

ان المعلومات التي اوردتها الأذاعة البريطانية ليست دقيقة ، وقد صححها السيد ( بادر ) مدير وزارة التطوير الزراعية الأسرائيلية من خلال شهادته في محاكمة كاستنر حيث قال : « لقد عرض آيخمان صفقة على ( جويل براند ) مساعد كاستنر والمبعوث الذي حمل العرض ، وقد سمى آيخمان هذه الصفقة بـ ( دم مقابل البضائع

(٢٣) Ibid , Page 209



والبضائع مقابل دم ) وتتضمن هذه الصفقة انقاذ حياة مليون يهودي هنغاري ينقلهم احياء خارج هغاريا دون اي اذى مقابل : ـ

١ ـ ألف طن شاي .

٢ ـ ألف طن قهوة .

٣ ـ عشرة آلآف شاحنة .

ثم يتابع بادر شهادته فيقول : « كان رد فعلنا الأول ان العرض خدعة وخطة شيطانية حقودة ، الا ان براند اخبرنا ان آيخمان قرر تأجيل قتل اثني عشر الف يهودي يوميا لمدة اسبوعين حتى يفسح المجال لبراند ان يبتديء المفاوضات مع الزعامة الصهيونية . واكد لنا براند ان عودته الى هنغاريا السريعة هي في غاية بالأهمية اذ انها توضح لآيخمان ان دراسة العرض امر جدي واذا عاد الى بودابست سيتم اطلاق سراح مئة الف يهودي مقدما للتدليل على رغبته ( آيخمان ) في اتمام الصفقة »[٢٤] .

تأخرت عودة براند الى بودابست الى ما بعد الأسبوعين استنادا الى تعليمات وردت من الوكالة اليهودية في القدس التي كانت تدرس تقريرا شاملا عن مهمته ، وترتب على هذا التأخير وصول سيل من الرسائل من يهود هنغاريا تستصرخ عودة براند الفورية وحذرت ان الأبادة ستباشر بنسبة اكبر اذا لم يعد براند . وفي نفس الوقت استمر اصرار الممثلين البريطانيين في تركيا الذين كانوا على اتصال معنا على ضرورة اخراج براند من تركيا واعلمونا انهم لن يعرقلوا سفره الى فلسطين اذا رغب في تقديم تقرير شخصي الى الوكالة اليهودية[٢٥] .

واثناء اجتيازه الحدود التركية تم اعتقاله من قبل السلطات البريطانية في حلب حيث حضر موشي شاريت واجتمع به بحضور ضابط مخابرات بريطاني واستمر

(٢٤) Ibid , Page 210 .

(٢٥) Ibid , Page 213

اعتقاله أربعة أشهر ونصف ، الأمر الذي جعل عرض آيخمان يسقط بتجاوز المدة المحددة لعودته وهكذا انتهى يهود هنغاريا .

اما جويل براند نفسه فهو يروي القصة بطريقة اخرى ، وهو الذي حاولت الحكومة الأسرائيلية ان تمارس عليه بكل الوسائل ضغوطا حتى لا يتقدم للمحكمة بشهادته في قضية كاستنر ، وعندما اخفقت في ذلك سرقت منه عدة وثائق هامة تفيد المحكمة وتنيرها ، ولكنه عندما استدعي للأستجواب ادلى بما يلي : « في منتصف شهر نيسان عام ١٩٤٤ وقبل شهر تقريبا من سفري الى تركيا اخبرني احد العملاء الألمان ان انتظر في زاوية شارع في بودابست ، اذ علّي ان اقابل آيخمان ، وبعد نصف ساعة اقتادني الى مركز قيادة آيخمان وادخلني الى غرفته ، وقد حفرت الكلمات التي قالها في ذاكرتي وستبقى حتى يوم موتي . قال لي : هل تعرفني ؟ انني الرجل الذي انجز العمل ( اي الأبادة ) في المانيا والنمسا وبولونيا وسلوفاكيا . وواجبي اللاحق هو هنغاريا لقد دققت في مدى امكانية لجنة التوزيع المشتركة ( التي ينتمي اليها براند وكاستنر ) في انجاز ما يجب عمله . وأود ان ابرم اتفاقية معك . دم مقابل البضائع وبضائع مقابل دم . والآن اخبرني من الذين تود انقاذهم . النساء الحوامل ؟ الرجال في ذروة رجولتهم ؟ المسنون ؟ الشباب ؟ تكلم . . . »[٢٦] .

وصل براند الى استانبول فاعتقلته الشرطة التركية ثم لم تلبث ان اطلقت سراحه ، وهنا خطر بباله ان يقابل السفير الأمريكي في انقره وهو رجل يهودي ( شبتنهاروت ) فلربما استطاع اقناع دولته بتقديم المساعدة . الا انه لم يتمكن من مقابلته لأن القادة الصهاينة لم يستطيعوا ان يوفروا له الأوراق المناسبة للسفر . ولكنهم وعدوا ان يوفروا له اوراقا تمكنه من مغادرة الأراضي التركية الى الأراضي البريطانية ( سوريه وفلسطين ) ، ولكن عليه ان ينتظر وصول شخصية صهيونية هامة . وفي نفس الوقت المحدد لعودته وهذا يعني ان عملية شحن اليهود الى اوشفتز ستبدأ بمعدل اثني عشر الفا كل يوم .

(٢٦) Ibid , Page 219 , 220



لذلك خطرت بباله فكرة مفاجئة ، لماذا لا يسطر القادة اليهود في استانبول وثيقة يوافقون بموجبها على الصفقة الضخمة من البضائع مقابل الدم اليهودي . ثم يحمل هذه الوثيقة ويطير عائدا الى بودابست ويقدمها الى آيخمان حيث سيتم انقاذ مئة الف يهودي فورا . يوافق القادة ويسطرون الوثيقة ويطير براند من الفرح . فقد نجح في مهمته وما عليه سوى تسليم الوثيقة . . . الى آيخمان . الا ان زملاءه يثنون عزمه عن السفر اذ كيف يغادر الى بودابست دون مقابلة السيد شاريت وجها لوجه وشاريت هو يد حاييم وايزمان اليمنى ، وبهذه الصفة يستطيع شاريت ان يضع الموضوع على اعلى المستويات السياسية ويعطيه الصفة الرسمية .

موشي شاريت لم يصل . . . لا يستطيع دخول تركيا . انه ممنوع من الدخول هكذا قيل له مع ان التقارير الرسمية تؤكد انه كان موجودا بها قبل عدة اشهر فقط . وبعد انتظار مرير يبلغ بانه بامكانه السفر الى حلب لمقابلة شاريت هناك ، وهناك يبلغه شاريت ان من الضروري سفره الى القاهرة وانه لا ضرورة ان يعود الى بودابست في الوقت الحاضر . وبالفعل تم اعتقاله من قبل البريطانيين في القاهرة فترة لا تقل عن اربعة اشهر الى ان اطلق سراحه وعاد الى فلسطين ولكن بعد ان تم الأجهاز بشكل نهائي على كل يهود هنغاريا[٢٧] .

وهنا يؤكد براند في كتابه ( الشيطان والروح ) ان البريطانيين كانوا يرغبون اطلاق سراحه قبل هذا الوقت بزمن طويل الا ان الذي ادهشهم ( البريطانيين ) ان الوكالة اليهودية ابرقت لهم قائلة ( أخروا اطلاق سراحه ) ثم يقول ايضا : لم تكن ثمة رغبة لأنقاذ شعبنا . . . ان الوكالة اليهودية حالت دون عودتي الى هنغاريا[٢٨] .

كيف اكتشف براند الخيانة ؟ وما هي خيوطها ؟ وبماذا خاطب وايزمان وماذا كان رد هذا عليه ؟ وقبل هذا او ذاك ، من هو جويل براند ، ولماذا وقع الأختيار

(٢٧) Ibid , Page 243

(٢٨) Shonfield , R . M . Page 37

عليه ؟ ولماذا لم يكن رسول هذه المهمة كبير القوم وقائد الطائفة وزعيمها المعتمد كاستنر ؟ ثم ماهي دوافع الألمان لعقد مثل هذه الصفقة ؟

كان العرض في الأساس موجها لرود ولف كاستنر باعتباره رئيس لجنة الأنقاذ اليهودية ومعتمد الوكالة اليهودية في هنغاريا وعضو حزب المباي . الا ان آيخمان اختار جويل براند عضو لجنة الأنقاذ ومساعد كاستنر حتى يبقى هذا الى جانبه يؤدي دوره في المحافظة على الهدوء وحتى لا يشيع خبر قتل اليهود الهنغاريين فيلجأون الى الثورة كما فعل يهود جيتو وارسو . ومن جهة اخرى عقد الضباط الألمان وعلى رأسهم آيخمان وكرومي وويسيلزني اجتماعا مع المجلس اليهودي في بودابست واكدوا لهم ان كل شيء سيستمر كما في السابق وانهم ( الألمان ) لن يسمحوا لأحد بالتدخل في شؤونهم او ممارساتهم الدينية ، وأنهم لن يسمحوا لأحد ان يتحرش بهم ما داموا يضعون نجمة داوود على صدورهم ، وطلبوا من المجلس اليهودي ابلاغهم بكل صراحة عن اية شكوى يشعرون بها . والهام هو التعامل بين الطرفين القائم على حسن النية المتبادلة[٢٩] . وفي نفس الوقت الذي خطط فيه الألمان لنقل عشرين الفا من اهالي قرية كلوج ( الهنغارية ) كان لا بد من اتمام العملية بمنتهى السرية فعمدوا الى احتجاز الـ ( ٣٨٠ ) شخصا الذين اختارهم كاستنر من اهل هذه القرية لانقاذهم ، ريثما يتم نقل الجميع الى معسكرات الاعتقال ، وكان الواجب الملقى على عاتق المختارين هو ان يهونوا على المغدورين الأمر ويحافظوا عليهم هادئيين وآملين بالخلاص . وهذا ما تم فعلا الى ان تم نقل آخر يهودي من كلوج في القطار المغلق وتسليمه الى معسكرات الأعتقال . وبعد ذلك ، وبعد ان انتهت مهمة المختارين مضوا في قطارات خاصة ومروا عبر الجيتو المفرغ من اهله وخلال الشوارع الخالية باتجاه بودابست ومنها الى ( العالم الحر )[٣٠] .

---

(٢٩) Perfidy , Page 97

(٣٠) Ibid , Page 174



من هنا يبدو ان جويل براند لم يكن داخل اللعبة التي يلعبها كاستنر ولم يكن يعرف حقيقة الدور الملقى على هذا الأخير . ولذلك فان اختياره كان يقصد منه احد امرين : -

١ - اما ان ينجح ويحقق الألمان ما يقصدون من وراء هذه المهمة .

٢ - واما ان يفشل ويبقى خارج هنغاريا ، وهنا يتمم كاستنر مهمته على الوجه المطلوب .

اما الأجابة على السؤال حول اكتشاف جويل براند خيانة ( اخوانه ) فان الواضح انه لم يستطع اكتشاف الخيانة في وقت مبكر وانما اكتشفها بعد فوات الوقت على الرغم من وجود مؤشرات كثيرة وشواهد اكثر تدلل على الخديعة التي ادت الى فشل بل افشال مهمته عن سابق اصرار وتصميم وابرز هذه الشواهد هي : -

١ - حينما وصل براند الى استانبول لم يستقبله احد في المطار ، رغم الأخطار المسبق للوكالة اليهودية بقدومه وعلمهم بخطورة المهمة التي قدم من اجلها .

٢ - لم توفر الوكالة اليهودية له الأوراق الرسمية اللازمة لسفره الى انقره لمقابلة السفير الأمريكي اليهودي الديانة الذي كان يطمح براند الى تفهمه لمهمته وامكانية اسراعه في ابلاغ حكومته التي ستسرع بدورها - حسب قناعة براند - الى انقاذ اليهود .

٣ - بعد موافقة القيادة الصهيونية في استانبول على تسليمه وثيقة الموافقة على الصفقة من حيث المبدأ . راحت هذه القيادة تماطله وتطالبه بتأجيل السفر بانتظار وصول موشي شاريت . ولو قبلوا باقتراحه لأمكنه انقاذ مئة الف يهودي فورا . وفي رواية آيخمان سيتم انقاذ مئتي الف يهودي فورا ، كدفعة اولى تعبيرا عن حسن نية آيخمان ، وذلك قبل وصول المعدات وحتى قبل الأعتماد النهائي من القيادة السياسية الصهيونية العليا في فلسطين .

٤ ـ عدم وصول شاريت الى استانبول برغم الأنتظار الطويل والمرير ، ثم اعلان الزعامة الصهيونية هناك ، انه لا يستطيع الحضور بحجة انه كان ممنوعا من دخول الأراضي التركية ، في الوقت الذي تؤكد التقارير الرسمية انه ـ اي شاريت ـ كان في تركيا قبل بضعة شهور . ان هذه المماطلة تعني ان القيادة الصهيونية كانت تعمل على اهدار الوقت لأنهاء المهلة المعطاة لبراند دون وصوله الى حل او جواب .

٥ ـ ابلغ براند من قبل مرافقه افريل المبعوث من قبل الوكالة اليهودية في تركيا انه من المكن ان يعتقله الأنكليز وذلك اثناء وجودهما في القطار وقبل وصولهما بقليل الى الحدود السورية التركية . وهذه تظهر النية السيئة المرتبة له ، اذ لو كانت النوايا حسنة لتم ابلاغه قبل ان يغادر استانبول وليس في الوقت الذي لا يستطيع فيه ان يقوم بأي جهد . ويثبت فيما بعد ان أيهود افريل هو نفسه الذي وشى ببراند للبريطانيين حيث اعترف ( برلس او بادر ) احد شهود قضية كاستنر .

وفي شهادته امام محكمة القدس اثناء النظر بقضية كاستنر اكد براند ان ممثل اغودات اسرائيل ( المتدينين ) في لجنة الأنقاذ بتركيا وهو الحاخام يعقوب غريفل كان يشك بان ممثلي الوكالة اليهودية ارادوا ان يخذلوا مهمته وحذره من الذهاب الى فلسطين لأن البريطانيين سوف يعتقلونه الا ان براند لم يصدق ولم يأبه لهذه التحذيرات[٣١] .

٦ ـ ابلغ موشي شاريت ، براند ـ الذي امضى يومين في ضيافة الأنكليز في سوريه ـ انه ( براند ) لا يستطيع البقاء في فلسطين ، وانما سيمر عبرها دون توقف الى القاهرة حيث تم اعتقاله هناك ، وفات وقت طويل ( اربعة اشهر ) قبل ان يخلى سبيله ويعاد الى فلسطين ، ولكن بعد فوات الوقت وانتهاء مشكلة اليهود الهنغاريين بنقلهم جميعا الى معسكرات الأعتقال .

عاد براند الى فلسطين ـ على الرغم من طلب الوكالة اليهودية عدم اخلاء

(٣١) Shonfield , R . M . Page 76



سبيله ـ ليمارس نشاطه بكل قوة ويبدأ اتصالات حثيثة مع كل زعماء الصهيونية بارسال الكتب والمذكرات والرسائل لقناعته انه لا يزال بالأمكان انقاذ اليهود ومن جملة من اتصل بهم كما اسلفنا ـ حاييم وايزمان ـ حيث ارسل له عدة رسائل . . . وبعد اربعة اشهر كاملة كتب له وايزمان الرسالة التالية : ـ

روحوبوت ١٩٤٤/١٢/٢٩[٣٢] .

السيد براند ـ تل ابيب :

ارجو ان تعذرني عن التأخير في اجابة رسالتك ـ وكما اطلعت من خلال الصحافة ـ فقد كنت كثير السفر ولم يكن لدي الوقت الكافي منذ وصولي الى هنا . قرأت رسالتك ومذكرتك ويسرني ان التقي بك اثناء هذا الأسبوع او الذي يليه اي حوالي العاشر من كانون الثاني .

ستقوم الآنسة ( آيتي ) السكرتيرة بالأتصال معك لتحديد موعد اللقاء .

**المخلص حاييم وايز مان**

لقد اختلفت فيما بعد تعليقات زعماء الصهيونية على مهمة براند ، فبعضهم أنحى باللائمة على الأمريكيين الذين رفضوا الفكرة من اساسها وبعضهم اعتبر المهمة من اساسها قصة خيالية .

فقد حاول ناحوم جولد مان الرئيس السابق للمؤتمر اليهودي العالمي ان يعمم اللوم على كل القيادة الصهيونية لأنها لم تذهب الى كل الأبعاد في عملية انقاذ اليهود ، الا انه يحول الأتهام ايضا الى الأمريكيين ـ وهم في الواقع شركاء ـ لأنهم رفضوا العرض الألماني الذي حمله براند ، ويدعي انه استعرض هذه القضية مع وزير خارجية امريكا ( ستيتنس ) ولكن هذا اعتبرها منافية للأستراتيجية العسكرية الأمريكية ، ثم يسوّغ جولد مان سكوت الصهاينة على الموقف الأمريكي هذا

(٣٢) Ibid , Page 38

بقوله : « لقد كنا مبهورين بمقولة انه يجب ترك جنرالات الحلفاء في سلام حتى يخوضوا الحرب[٣٣] .

**ثالثاً : يهود سلوفاكيا :**

موقف آخر لصهيوني آخر وفي مكان آخر ، خارج اطار الأحتلال النازي ، في ( العالم الحر ) ينسجم كل الأنسجام مع موقف زملائه الذين اجهضوا عملية جويل براند واحبطوها والذين رفضوا افتداء سبعين الف يهودي روماني بمبلغ بسيط من المال . هذا النموذج هو ( سالي ماير ) الذي عمل اثناء الحرب العالمية الثانية رئيسا للجنة المشتركة للتوزيع في سويسرا . وبحكم موقعه هذا فقد كان مسيطراً على المقاليد المالية للصهيونية في دولة سويسرا المحايدة . حيادها هذا اعطاها موقعا ممتازا لتكون صلة وصل بين مناطق الأحتلال والمناطق الحرة ، ومكانا صالحا لعقد الصفقات وتقديم الرشوات والتجسس . ولذلك كان سالي ماير بحكم موقعه هذا ضابط ارتباط ـ او يفترض ان يكون كذلك ـ بين اليهود المضطهدين وبين اخوانهم ، ينقل الرسائل ويتلقاها ويوزع الأموال ، وباختصار يلعب دورا اساسيا وهاما في عمليات الأنقاذ التي يفترض ان تكون الشاغل للحركة الصهيونية واليهودية العالمية ، باعتبارها ( عمليات الأنقاذ ) تشكل من مختلف جوانبها القضية الأكثر الحاحا في الحياة اليهودية في تلك الحقبة الدقيقة والحرجة من الزمن .

الا ان امرا من هذا لم يحصل ، ليس لأن سالي ماير غليظ القلب قاس ، بل لأنه كان يتصرف ضمن خطة شاملة وضعتها الحركة الصهيونية واحكمت تنفيذها وتطبيقها ، فقام مندوبوها ورسلها في مختلف الأقطار بهذه المهمة عن قناعة تامة ، وعلى الخصوص اولئك المطلعين على بواطن الأمور وعلى حقيقة الحركة الصهيونية التي لا تعرف معنى الرحمة والأنسانية ، ولا تفهم عقولهم الا تنفيذ التعلميات التي آمنوا باهدافها محكومين بالأسس التالية : ـ

(٣٣) The Israelis Founders and Sons By : Amos Elon , U . S . A 1972 . Page 320



١ ـ ان يهود الشتات في اوروبا محكوم عليهم بالفناء ، ان هذا ما أكده حاييم وايزمان عندما قال : « انهم غبار العالم الأقتصادي والأخلاقي وعليهم ان يتحملوا قدرهم ولن ينجو منهم الا الأغصان اليانعة .

٢ ـ ان دماء ملايين اليهود المسفوكة هي زيت العجلات للدولة اليهودية المقبلة التي ستقوم في نهاية الحرب وهي المساهمة من جانب اليهود التي يقدمونها للمجهود الحربي للحلفاء وهي في نفس الوقت البطاقة التي سيلوح بها زعماء الصهيونية في مؤتمر السلام عندما يطالبون بدولة مستقلة[٣٤] .

٣ ـ اذا كانت مضالح الغرب تتناقض مع الجهود المبذولة لأنقاذ جماهير اليهود فان من الضروري ان تعطى هذه المصالح الأولوية على كل شيء[٣٥] .

٤ ـ وحتى اذا لم يوجد مثل هذا التناقض فان الأموال الموجودة تحت تصرف اليهودية العالمية ينبغي ان توجه نحو قنوات اقامة الوطن القومي في ارض اسرائيل ، وان عمليات الأنقاذ لا تشمل الا نشطاء الصهيونية[٣٦] .

قلة هم الذين يعرفون انه في عام ١٩٤١ كان النازيون يخططون لترحيل يهود سلوفاكيا لأعدامهم في بولنده . فقد اتصل ( سولومون غروس ) بـ ( وسيلسني ) ممثل النازيين في بريسبورغ لمعرفة امكانية ايقاف تنفيذ القرار عن طريق الرشوة ، وسولومون غروس هذ هو احد اليهود المتدينين من اتباع الحاخام وايز ماندل الذي كان يبذل جهودا مضنية لأنقاذ اليهود في سلوفاكيا وهنغاريا وغيرها . وكان الجواب بعد استشارة رؤسائه ايجابيا شريطة ان تدفع الفدية ونفقات النقل من قبل اليهودية العالمية ، وحيث انه لم يكن بالأمكان نقل هؤلاء اليهود الى فلسطين بشكل مباشر

(٣٤) من الأعماق ، الحاخام مران حاييم ، ميخائيل دوف ، وايز ماندل ـ عبرى ـ ، ترجمة لجنة الدراسات الفلسطينية صفحة ٢٤ .

(٣٥) Shonfield , Page 74

(٣٦) Ibiid , page 75

وغير مباشر ، فقد رفضت الوكالة اليهودية واللجنة المشتركة للتوزيع عقد مثل هذه الصفقة ، وبالتالي رفضت ابداء اي استعداد للدخول بمفاوضات حول هذا الموضوع ، مما اضطر الحاخام وايزماندل الى عقد صفقة مباشرة مع عملاء النازية وذلك بعد ان بدأت عملية الترحيل بالفعل ، وكانت شروط هذه الصفقة هي ان يدفع الحاخام مبلغ خمسين الف دولار ، يدفع نصفه فورا ويتم دفع القسط الباقي بعد سبعة اسابيع ، وفي هذه الأثناء تتوقف عمليات الأبعاد والترحيل ، وفي حال الأيفاء بالقسط الثاني يلغى قرار الترحيل بشكل نهائي ، الا ان هذا يتطلب دفع مبلغ اضافي للحكومة السلوفاكية كرشوة ، وهناك شرط آخر وهو ان لا تجمع الأموال محليا وانما لا بد ان تأتي من الخارج[٣٧] ، ويقدر الحاخام وايزماندل ان ما تبقى من يهود سلوفاكيا هو في حدود ثلاثين الى اربعين الفا وهذا يعني ان انقاذ الفرد يكلف بحدود مئة دولار فقط .

وبالفعل قد تم جمع نصف المبلغ في بريسبورغ ـ ولم يصل من الخارج ـ واستطاع الحاخام وايز ماندل ان يقنع النازيين بان الأموال وصلت من الخارج . ان الذين جمعوا الأموال هم مجموعة من الحاخامين ورجال الدين الذين اقتنعوا بضرورة القيام بعملية الأنقاذ بعد ان وضعت عراقيل كثيرة في طريقهم من قبل الرابطة اليهودية التي كانت تتعاون بشكل دقيق مع الألمان والسلوفاك ضد اخوانهم وضد عمليات الأنقاذ . وكان على رأس الذين جمعوا هذا المبلغ الحاخام ( بنيامين شلومو شتيرن ) الذي كان يقوم بدور الرسول بين مجموعة الحاخام وايزماندل وسالي ماير في سويسرا . وتم جمع مبلغ عشرة آلآف دولار سلمت للمسؤول السلوفاكي كرشوة . اما المبلغ الأول ـ وهو نصف المطلوب ـ فقد سلم الى (فيللي) مساعد آيخمان[٣٨] .

وهكذا توقفت عمليات الترحيل من سلوفاكيا وذلك بعد ان قتل ستون الف

(٣٧) من الأعماق ـ صفحة ٢٤ .

(٣٨) المصدر السابق صفحة ٢٦ .



يهودي بسبب رفض سالي ماير الأجابة السريعة على المراسلات العديدة التي كانت تصله مستغيثة به لأرسال باقي المبلغ حتى يتم اصدار الأمر بايقاف الترحيل بشكل نهائي .

واخيرا ـ وبعد طول انتظار ـ وصلت رسالتان من سويسرا احداهما بتوقيع سالي ماير والأخرى بتوقيع احد العاملين في لجنة الأنقاذ وهو شوفالف . وبمراجعة الرسالة الأولى[٣٩] نلاحظ ان سالي ماير اورد الحجج والنقاط التالية التي تسوغ له عدم الموافقة على تقديم الأموال المطلوبة للأنقاذ : ـ

١ ـ ان مبلغ خمسين الف دولار ، مبلغ كبير من اجل دولة صغيرة مثل سلوفاكيا مع العلم ان الميزانية التي تلقتها ـ الطائفة ـ في العام الماضي من اللجنة المشتركة ( J.D.C ) لم تتجاوز بضعة آلآف من الدولارات .

٢ ـ ان القصص التي ترددونها لتسويغ حاجاتكم الى المال والرسائل التي نقلتموها عن اللاجئين البولنديين وغيرهم ما هي الا قصص مبالغ فيها ، فهذه هي طريقة يهود اوروبا في طلب المال دائما ( يقصد الأبتزاز ) .

٣ ـ لا توجد ثمة امكانية قانونية في الوقت الحاضر لأرسال قرش واحد لأن اموال منظماتنا قد جمعت من امريكا وهناك قانون يحظر ارسال الأموال الى بلدان العدو وليس لدينا رغبة في تجاوز القانون .

٤ ـ ان ما يمكن عمله الآن هو تزويد يهود سلوفاكيا باموال بصورة متقطعة بالأتفاق مع فروع المؤسسات الخاصة بالجباية في هنغاريا وذلك من الحساب القديم الموجود قبل صدور قرارات المنع في امريكا .

ان الحجج والذرائع التي اوردها سالي ماير في رسالته ترد على نفسها بنفسها ، فلربما كان المبلغ المطلوب الآن اكبر مما سبق ان قدم من معونات ليهود سلوفاكيا في

(٣٩) Shonfield , R . M . Page 76

العام الماضي او الذي سبقه ذلك ان الحاجة لم تكن ضرورية وماسة كما هي في هذا العام الذي بدأ يتعرض فيه اليهود لأمتحان صعب وعسير الا وهو الذبح والأضطهاد والأبادة . وبالتالي فان طلب مبالغ اضافية لا يعني ان اليهود السلوفاك يطلبونها لمزيد من الرفاهية او الرخاء ، وانما لافتداء اخوانهم وانقاذهم . هذا من جهة ومن جهة اخرى فان القصص التي يرويها الزعماء عن المذابح قد تكون مبالغا فيها ولكنها امر واقع ، وبامكان سالي مايز بما له من سلطة ونفوذ وبما يتمتع به من مركز مرموق في مجتمع حيادي ان يتحقق بنفسه من صحة الأنباء ، ومن حقيقة ما يجري خلف الستار الحديدي النازي ، رغم ان هذه الأنباء والقصص لم تكن بحاجة الى تأكيد او نفي لأن السياسة النازية المعلنة اصبحت معروفة منذ ان تبوأ هتلر سدة الحكم في المانيا في مطلع عام ١٩٣٣ . يضاف الى هذه السياسة كل الأجراءات القمعية والقوانين العنصرية والفاشية التي تبناها الرايخ بين الفترة والأخرى ضد اليهود . وفوق كل هذا وذاك اعلان تطبيق الحل الأول النازي والذي يقضي بتهجير اليهود من المانيا ومن كل منطقة تصلها قواتها ، ثم تطبيق الحل الثاني بتجميع اليهود في معسكرات الأعتقال واعمال السخرة .

كل هذه المعلومات المعلنة والمعروفة في كل انحاء الدنيا تعتبر كافية ليقتنع سالي مايز ـ ان اراد ان يقتنع ـ بضرورة مساعدة اليهود وانقاذهم ، وفي اسوأ الظروف العمل على تأجيل موعد ابادتهم لعل ظروفا مواتية تأتي او تنتهي الحرب او أن يقع ما لم يكن بالحسبان .

اما التسلح بقانونية او عدم قانونية ارسال الأموال ( الأمريكية ) الى بلاد العدو فهي حجة مردودة لأن الصهيونية استعملت اموالا طائلة في عمليات انقاذ المقربين والمحسوبين والمطلوبين لمشروعها في فلسطين دون ان تضع في الأعتبار ان هذه الأموال ذهبت الى مناطق الأعداء او مناطق الأصدقاء .

نظرا لأهمية الرسالة الثانية التي وصلت في نفس المغلف مع الرسالة الأولى



والتي كتبها ناتان شوفالف فاننا نثبتها هنا بنصها[٤٠] : « انني اكتب للأصدقاء الذين يجب عليهم دائما ان يتذكروا الأمور الأكثر اهمية ، وهي الأساس الذي يجب ان يكون نصب اعيننا ، في النهاية سينتصر الحلفاء وبعد الأنتصار سيقسمون العالم من جديد بين الشعوب ، كما حصل بعد الحرب العالمية الأولى ، عندما فتحوا امامنا الطريق لنخطو الخطوة الأولى ، بعد نهاية الحرب يجب علينا ان نبذل كل الجهود من اجل ان تصبح ارض اسرائيل دولة اسرائيل . وقد تمت خطوة هامة في هذا الشأن . اما بالنسبة للصرخات التي تأتي من بلادكم فانه يجب علينا ان نعلم ان جميع الشعوب المنتمية للحلفاء تقوم بدفع ضريبة الدم غاليا . واذا لم نقدم نحن الضحايا . . . بماذا اذن سنشتري حقنا حتى نتقدم الى مائدة المفاوضات حيث تقوم الدول بتقسيم الشعوب والبلاد بعد الحرب . ولهذا فانه من الحماقة وحتى الوقاحة ـ من جانبنا ـ ان نسأل هذه الشعوب والدول التي تدفع ضريبة الدم الآن ان تسمح لنا باحضار نقودها الى دولة عدوة من اجل المحافظة على دمائنا . . لأنه بالدم فقط ستكون لنا البلاد والوطن . هذا كل ما يتعلق بالجمهور ( عامة الناس ) اما فيما يتعلق بكم انتم ( ابناء الجمعية ) فيمكنكم ان ترحلوا ومن اجل ذلك سأرسل لكم النقود بالطرق السوداء بوساطة حامل هذه الرسالة . . ( التوقيع ـ شوفالف ) ـ انتهت الرسالة » .

ان الأمر الأكثر اهمية هو انتصار الحلفاء ـ من وجهة النظر الصهيونية ـ والحقيقة ان الأنتصار هو الأكثر اهمية ولكن أليس هناك ما هو اقل اهمية ؟ إن انتصار الحلفاء وانتظار هذا الأنتصار ونتائجه لا يعني اغفال امور اخرى هي بمستوى الأنتصار . اذ ما فائدة القائد المنتصر اذا خسر شعبه . اننا نناقش الأمور هنا ضمن اطار المنطق في نفس الوقت الذي نفهم فيه الواقع .

نقطة ثانية وردت في هذه الرسالة حول تضحية الشعوب وضرورة التضحية باليهود . فما دامت الشعوب الأخرى تقدم الضحايا من اجل النصر فما على

(٤٠) من الأعماق ـ صفحة ٤٠ .

الصهيونية الا ان تضحي باليهود من اجل الجلوس مع المنتصرين والمطالبة بدم هؤلاء ( المضحى بهم ) ليجلس بعدها الجميع على قدم المساواة . . . وهذا هو الثمن الذي سيشتري الصهاينة الوطن القومي به . لذلك فكلما ازداد عدد الضحايا ـ او المضحى بهم ـ كان حق الصهاينة في وطن قومي اكبر واكثر رسوخا .

واخيرا فان شوفالف يعتبر طلب النقود ( الأمريكية ) نوعا من الحماقة والوقاحة لغرض انقاذ اليهود ـ عامة اليهود ـ الا انه في نفس الوقت يحلل ارسال نفس هذه الأموال ، ومن خلال السوق السوداء لرحيل ( القيادة ) وانقاذها . كيف يكون طلب الأموال نوعا من الوقاحة لانقاذ عامة الناس ويكون مطلبا عادلا لانقاذ القيادة ؟ ربما كان انقاذ القيادة قبل غيرها امرا مقبولا من حيث المبدأ وهذا امر معروف ومشروع ، ولكن حينما يكون الحديث عن القواعد والأسس والمبادىء فان الأمر عندها يحتاج الى نقاش ، حيث ان القرار القاضي بتحريم ارسال الأموال الى مناطق العدو هو قرار عام وشامل وأي خرق له ينفي وجوده . اننا على الرغم من فهمنا الحقيقة وطبيعة الموقف الصهيوني من هذه القضية الا اننا نرى انفسنا مدعوين الى اخضاع ظواهر هذا الموقف للمنطق والعقل . لذلك فاننا نرى ان هذا الموقف ـ من هذه الزاوية ـ مناف لكل عقل ومنطق .

يقول الحاخام وايز ماندل[٤١] : « لم يكن المال المطلوب لعمليات انقاذ اليهود من القتل والأبادة فحسب ، وانما كان ايضا لتقديم العون ( من اكل وكساء ودواء ) لليهود المجمعين في المخيمات الثلاثة ( سراد ـ نيفافوكي ـ فيهن ) في سلوفاكيا ، كما كانت الحاجة ايضا لأغاثة اليهود الهاربين المتجهين الى هنغاريا ورومانيا . ولقد اوضحنا كل هذا بالتفصيل في الرسائل الموجهة الى سالي ماير ، وناتان شوفالف المسؤولين عن النظام الأعلى لليهودية العالمية من اجل الجباية ( الدزشنط ) والوكالة اليهودية في سويسرا ، وقبل ان تأتي الرسالتان المشار اليهما اعلاه . كان الرسول

(٤١) من الأعماق صفحة ٣٨ .



يذهب ويعود مرات عديدة وهو خالي الوفاض من اي جواب مكتوب باستثناء جواب شفوي وصل مرة يقولان فيه ، ليس لديهم الوقت الكافي للكتابة وسيكتبون فيما بعد » .

في عام ١٩٤٣ لاحت فرصة مناسبة لارسال طرود الطعام والدواء والكساء لليهود في غيتوات اوروبا . فقام الصليب الأحمر الدولي بالتعاون مع حكومة الولايات المتحدة الأمريكية ، بحملة لجمع هذه الطرود تمهيدا لأرسالها . الا ان الحركة الصهيونية عارضت الأقتراح واحبطت الفكرة بحجة ان الصليب الأحمر الألماني هو الذي الذي سيقوم بعملية الأستلام والتسليم[٤٢] .

نتيجة لهذه المواقف فقد قتل الطاعون والجوع عشرات الآلاف في احياء الغيتو وذلك قبل ان يبدأ النازيون عملياتهم . وكانت نسبة الوفيات بين الأطفال تتراوح بين ٦٠ ـ ٧٠٪ في اماكن مختلفة وهي ظاهرة مرعبة لا نظير لها . لو توفرت النوايا الحسنة كما توفرت طرق ووسائل ايصال الطرود عن طريق الصليب الأحمر او بوساطة الدولة المحايدة مثل سويسرا وتركيا والبرتغال . وارسلت هذه المواد لأمكن انقاذ كل هؤلاء الأطفال . ولربما يسأل متسائل ولكن ما الفائدة ؟ فاذا لم يمت هؤلاء من المرض او الجوع او العراء فانهم سيموتون ـ وقد حصل ـ في معسكرات الأعتقال ؟ والجواب على هذا هو ان صاحب الضمير الحي لا يمكن ان يترك طفلا يموت جوعا وان كان يعرف سلفا ان هذا الطفل محكوم عليه بالموت . والا لماذا يقدم للانسان المحكوم عليه بالموت كل ما يحتاج ويتمنى والناس تعرف وهو يعرف انه بعد دقائق سيعلق على حبل المشنقة ؟[٤٣] .

لئن كان موقف الحركة الصهيونية من يهود اوروبا هو الأصرار على التخلي عنهم بشكل كلي ، ولئن كان موقف دول الحلفاء هو كذلك ايضا ، فلم يكن موقف

(٤٢) Shonfield , R . M . Page 46

(٤٣) Shonfield , R . M . Page 44

الهيئات والمنظمات والجمعيات الشعبية المسيحية منها واليهودية الا موقف المتألم الذي حاول بذل ما يمكنه في سبيل انقاذ ارواح الأبرياء ولكن محاولاتهم هذه كان مصيرها الأحباط من قبل الحركة الصهيونية التي اخذت موقفا حازما وصارما من اولئك التعساء .

**رابعا : يهود من البلقان على ظهر سفينة :**

تكررت مأساة يهود رومانيا وهنغاريا وسلوفاكيا في كل مكان في اوروبا تقريبا فما حصل لهؤلاء حصل لغيرهم في المانيا وبولونيا وكل دول البلقان .

على ظهر السفينة ( الدانوب ) تجمع بضع مئات من اللاجئين اليهود القادمين من البلقان وكان ذلك في شهر يناير ١٩٤٠ وكانت وجهتهم فلسطين هربا من السياط النازية التي كانت تلاحقهم ، رفض قبطان السفينة متابعة سيره نحو فلسطين ما لم يدفع له الركاب كل ما يطلبه من الأموال اجرا له على المخاطرة المطلوبة ، الأمر الذي دعا الحاخام ( باروخ رابينوفيتش ) رئيس طائفة ( بناي ابراهام في ميرلاند ) لأن يرسل نداء الى ( هنري مونيتور ) النائب التنفيذي للنداء اليهودي الموحد يحثه على تقديم الأموال التي يطالب بها القبطان حتى يتمكن من متابعة طريقه وايصال اللاجئين اليهود الى فلسطين . ولكن جواب مونيتور الذي ارسله للحاخام رابينو فيتش يعتبر من الوثائق التاريخية الهامة التي تحدد معالم السياسة الصهيونية ونظرتها الى عمليات الأنقاذ من حيث الهدف والوسيلة والأشخاص . ومن ثم المباديء التي تقوم عليها هذه العمليات وقد وردت في الرسالة النقاط التالية : -[٤٤]

١ - ما دام هؤلاء المهاجرون لم يأتوا عن طريق الوكالة اليهودية ضمن برنامج الهجرة غير الشرعية الذي تمارسه ، فان الوكالة والمؤسسات المتفرعة عنها لا يعتبرون انفسهم مسؤولين عنهم .

٢ - ان معظم المهاجرين - على ظهر السفينة - من الرجال والنساء المسنين

Ibid , Page 89 , 90 , 91 .



الذين لا يصلحون للأستيطان فلا مصلحة للوكالة بهم وليس ضروريا ان تتكلف اية مصاريف ( تهدر ) من اجلهم .

٣ - يدخل في موضوع الهجرة والتهجير التنافس الحزبي ، اذ تشير الرسالة الى ان التحريفيين ( حركة حيروت - ليكود فيما بعد ) يأتون بمهاجرين من المجرمين والعاهرات ، هذا العمل ادى - كما يقول مونيتور - الى تزايد نسبة الجريمة في فلسطين في السنة الماضية (١٩٣٩) .

تشمل الرسالة افكارا اخرى لا نرى ضرورة للاشارة اليها في هذا الموضوع وانما سنعود اليها مرة اخرى وفي مكان آخر . الا ان الذي نلاحظه وباختصار شديد ان الحركة الصهيونية تضع لكل مقام مقالا ولكل سؤال جوابا وتخترع لكل قصة ردا ، حتى لا تحيد عن الأسس التي وضعتها لنفسها دون النظر لأي اعتبار آخر ضاربة عرض الحائط مصير ارواح الالاف من اليهود .

**خامساً : اطفال يهود هنغاريا :**

ومن هنري مونيتور الى ناحوم جولدمان صاحب المناصب العديدة في المؤسسة الصهيونية والمؤتمر اليهودي العالمي حيث يروي بنفسه القصة التالية[٤٥] : « تلقيت ذات يوم برقية من ( جير هارت رينيه ) مدير مكتب المؤتمر اليهودي العالمي في جنيف يشير فيها الى ان الهنغاريين الذين كانوا عندئذ حلفاء للألمان ، مستعدون لتحرير عدة آلآف من الأطفال لقاء ثلاثة ملايين دولار . ولم يكن لدى المؤتمر اليهودي مثل هذا المبلغ ، ولكن لجنة التوزيع كانت تملكه .

وعندي ان الفصل بين السياسة والأحسان في زمن الحرب يعتبر من اكبر السخافات التي كانت تمارسها اليهودية الأمريكية ، وكان بوسع هذه المؤسسة ان تتحالف مع المؤتمر اليهودي العالمي في هذا الموضوع . ولكن القائمين عليها رفضوا

(٤٥) المفارقة اليهودية - ناحوم جولد مان - ترجمة لجنة الدراسات الفلسطينية سنة ١٩٧٩ صفحة ١٢٣ ، ١٢٢٤ .

ذلك بحجة ان الأحسان شيء نقي صاف في حين ان السياسة وسخة قذرة . . . ثم دعونا عددا كبيرا من زعماء اليهود الأمريكيين ـ الذين ما زلت حتى اليوم افضل اغفال اسمائهم ـ لكي اشرح لهم الموقف فهتفوا مستغربين كيف يكـون ذلك ؟ اترسل اموالنا الى العدو ؟ اننا لا نستطيع ان نغامر بذلك دون اذن رسمي . واجبتهم ان روزفلت سيسمح حتما بذلك وما عليهم الا ان يمضوا للطلب منه قالوا : كيف نستطيع نحن اليهود ان نشير على روزفلت بتقديم اعانة مالية للألمان ؟ أجبت : ولكن ماذا تعتقدون ان يفعل هتلر بثلاثة ملايين دولار ؟ لا ريب ان الأمر يتعلق بموظف يعمل لحسابه او لحساب منظمة مشابهة . ومع ذلك رفضوا ان يـذهبوا لمقـابلة روزفلت وتركوا الأمر لي ولستيفين وايز . مضينا نقابل السيدة روزفلت وهي امرأة رائعة كانت تقوم بدور وسيط في القضايا الدقيقة ابلغتنا السيدة روزفلت ان الرئيس لا يعارض في التحويل ، اذا كان وزير الدولة ( كورديل هول ) يوافق على ذلك . وهذا الوزير كانت عواطفه معتدلة تجاهنا . . . تعهد وزير المالية ( هنري مورجنتو ) بـالتوسط لديه . ولكن لم يحصل شيء . . . خلال ثلاثة اشهر كانت الخارجية الأمريكية تعرقل المشروع مستخدمة بذلك كل الحجج البيروقراطية اللازمة لتأخير القـرار ولما قبـل الوزير اخيرا كان الوقت قد فات . . . ذلك ان الأطفال كانوا قد حملوا الى منافيهم . ومرة اخرى كان لليهود الأمريكيين موقفهم المتميز . . . كانوا مستعدين لأعطاء المال ولكنهم يرفضون ان ( يوسخوا ) انفسهم سياسيا » .

لا شك ان جولدمان ـ بعد هذه السنين ـ يذكر هذه الحادثة ويخجل من نفسه ومـن زملائـه ، ولذلـك يرفض ان يعلن اسماء الذين التقوا معه والذين رفضوا فكـرة الأنقاذ لأنهم في نـظر القانـون قبل الأنسـانية يعتبـرون مجـرمين لا بـد ان يحاسبوا . . . فلا فرق بين من آذى انسانا وبين من رفض ان يرفع الأذى عن انسان وهو قادر .



## القسـم الثانـي

## إخفـاء المعلومـات

نحاول أن نوضح الموقف المتكامل الذي قامت به الصهيونية تجاه مذبحة اليهود في اوروبا ابان الأحتلال النازي . بحيث نركز على العناصر الرئيسية لهـذا الدور والتي كان منع المال عن اليهود احدها ، ولكن لم تكن هذه العناصر اولها ولم تكن آخرها ، فجميعها شكلت الدور الكامل الذي اصبح يشبه الى حد كبير الجريمة الكاملة التي يتحدث عنها قانون الجزاء تلك الجريمة التي تختفي معها كل عناصرها وكل فاعليها وشهودها واثباتاتها وتسجل بعد ذلـك ضد مجهـول . وكان يمكن ان تسجل المذبحة اليهودية ضد مجهول . ضد هتلر ونظامه الذي انتهى الى غير رجعة ، ولولا قلة من شرفاء العالم يهود وغير يهود ، شهدوا على ما شاهدوه وتحدثوا عنه وردّدوه لمن حولهم وبدأت قطرات الماء تتجمع حتى اصبحت سيلا جارفا وبدأت اصابع الأتهام توجه الى المجرمين . . . كل المجرمين . الى افعالهم كل افعالهم . في هذا القسم سنتحدث عن جزء من دورهم . عن الجانب الأعلامي الذي خنقوه . . . عن الأصوات التي كتمت قبل ان تتحدث ، قبل المذبحة واثناءها وبعدها . الى يومنا هذا . . .

وبلغت المنظمة الصهيونية اوج تطورها في عام **١٩٣٩** حيث كان لها فروع وممثلون في جميـع دول العالم التي يسكن فيهـا اليهود مـا عدا الأتحـاد السـوفيتي ، وسيطرت هذه المنظمة على الكونغرس اليهودي العالمي الذي كانت رئاسته مؤلفة من

الصهاينة وكان رئيسه ستيفن وايز عضو القيادة الصهيونية ، وكانت في نفس الوقت على علاقة جيدة مع وكالات الأنباء والصحافة اليهودية ، وكانت لها وكالة انباء خاصة بها ( فالفور ) يضاف الى كل هذا فانها كانت تسيطر على قاعدة نشطة وفعالة لدى يهود فلسطين . كل هذا خلق شعوراً لدى زعماء هذه الحركة بان لهم صلاحيات واسعة كبيرة تستند الى حقهم في تمثيل اليهود والتحدث باسمهم . ولكن التنسيق لم يكن موجوداً دائماً بين استخدام حقوق التمثيل وبين الشعور الفعلي بمسؤوليتهم عن مصير اليهود الذين يمثلونهم .

يقول اسحاق غرينبوم (٤٦) كلما زاد الحديث عن ذبح شعبنا فان هذا يعني التقليل من شأن جهودنا لتعزيز وتشجيع تهويد الأرض .

ان اسحاق غرينبوم الذي رفض مجرد الحديث عن المذابح التي وقع ضحيتها اليهود ، اعلن قبل ذلك(٤٧) ( في شهر ديسمبر ١٩٤٢ ) « ان اصداء قاتمة ترددت حول ذبح اليهود في بولونيا وقد وصلت هذه الأصداء الى اسرائيل بطرق مختلفة وكان من الصعب جدا تصديق هذه الأشاعات . وقد سألنا مكتب الوكالة في جنيف وسألنا حاخام الدولة في السويد والدكتور اهرون فرايزر من جينيف ، انه من الصعب ان نعلن الأشياء التي حدثت وذلك خوفا من الألمان . كان ذلك في الخريف من عام ١٩٤٢ وفي نفس الوقت وصل الى القدس البروفسور ( فوط ) الذي كان يشغل منصب ممثل بولونيا في روسيا والذي حصل من الحكومة البولونية في لندن على بيانات وتقارير كانت قد ارسلت إليه من قبل الحركة السرية البولونية وقد جرى التصديق عليها بشكل عام بالنسبة لمقتل اليهود . واحضر بيانات غير اكيدة عن الطرد الجماعي . الا ان مجموعة من اليهود وصلت الى اسرائيل واعطت بيانات مفصلة » .

Shonfield , R . M . Page 26

(٤٦)

(٤٧) الصهيونية بعد رفض اوغنده وخلال الأضطهاد النازي ـ شباتاي بيت تسفي ـ دار برونغمان ، تل ابيب ١٩٧٧ ( بالعبرية ) صفحة ٣٠١ ـ ٣١٣ .



ان ما اعلنه غرينبوم مليء بالمغالطات التي لا بد من التركيز عليها بالملاحظات التالية : ـ

١ ـ عندما ارتفع هتلر الى سدة الحكم في المانيا عام ١٩٣٣ ، اعلن سياسته العنصرية الواضحة من اليهود وسبق ان حددها في كتاب كفاحي .

وتبع ذلك سلسلة من الأجراءات التي بدأت بعمليات التهجير الاقتصادية ( اتفاقية هعفارا ) ثم انتقل الى مرحلة اخرى هي معسكرات الاعتقال بعد قوانين نورنبرغ ثم الحل النهائي الذي بدأ يمارسه فعلا في المانيا وغيرها . لذلك فحينما يتحدث غرينبوم عن الاشاعات التي تصل الاشاعات القابلة للتصديق والتكذيب ، فهذا يعني أحد أمرين ، اما ان الصهيونية لا تريد ان يقال انها تعرف الحقيقة لتسير الأمور في مجراها المرسوم ، واما انها فعلا ليست لديها المعلومات الكافية حول هذه الأخطار وهذا ما يكذبه امتلاك المنظمة الصهيونية العالمية لكل الوسائط التنظيمية والاعلامية والعلاقات السياسية والدبلوماسية المنتشرة في كل مكان .

٢ ـ ثم يذكر غرينبوم انه لم يعلن هذه المعلومات خوفاً من الألمان ، ولم يحدد لماذا يخاف من الألمان ، هل يخاف ان يجهزوا على كل اليهود ؟

ان هتلر يطبق الحل النهائي في كل بلد يصل اليها وعلى كل اليهود وليس هناك مجال للخوف ، بل على العكس من ذلك فإن فضح النظام الهتلري بكل وسائل الأعلام وامام الرأي العام الدولي ، ان فضحه قد يردعه وقد يجعله يتردد كثيرا في السير حتى النهاية . ولكن كان هناك جانبان للصورة ، الأول يمثله هتلر ومساعدوه والذين قرروا استغلال الظروف الخاصة للحرب من اجل اضطهاد اليهود في اوروبا حتى ينجحوا في هذا لا بد من المحافظة على السرية التامة ، ولذلك عملت اجهزة غوبلز على تضليل اجهزة الأعلام الغربية والتشويش عليها حتى لا تصل المعلومات الصحيحة الى الرأي العام . واما الجانب الآخر فهو الحركة الصهيونية التي كانت ترحب بالتضليل وتستغل التمويه وتستفيد منه حتى تحلل نفسها من مسؤولياتها

باعتبارها تتصدى لتمثيل كل اليهود في الوقت الذي لا تدافع عنهم . ان ترحيبها بالتضليل يعفيها من مسؤولية الدفاع بحجة عدم العلم والمعرفة .

٣ ـ لتأكيد معلوماته التي وصلت اليه والتي اعطاها عبارات عامة مثل ( التصديق العام ) و ( البيانات غير الأكيدة ) ، لتأكيد هذه المعلومات ارسلها الى مندوبيه في جنيف والسويد . ولم يبين ماذا كان رد هؤلاء . . . ولكن يبدو ان الأمور تسير بشكل معكوس اذ يفترض ان تكون البيانات قد وردته اصلا من السويد وجينيف لأن المندوبين هناك اكثر التصاقاً واطلاعاً وقرباً . وهم أقدر على الحصول على المعلومات الدقيقة . ولديهم هذه المعلومات اذ ان سالي ماير المعتمد الصهيوني في جينيف مثلا كان محط انظار يهود اوروبا كلهم ، وكانت الرسائل تصل اليه اولا بأول سواء من هنغاريا او رومانيا او غيرها باعتباره المسؤول عن توزيع الأموال وصلة الوصل مع الجميع ، ولو عدنا الى مكان الحاخام فايسماندل وزملائه لرأينا عشرات الرسائل[٤٨] بل مئات منها تصل الى سويسرا والى لندن والى تركيا والى كل مكان تشرح ادق التفاصيل وتوضح كل ما يحصل[٤٩] .

٤ ـ لقد جاء من يؤكد هذه المعلومات من الناجين من المعتقلات ولم تعد هناك حجة او ذريعة تحول دون فضح السياسة النازية ومع ذلك ومنذ عام ١٩٤٢ وحتى انتهاء الحرب بقي الوضع على حاله ولم تتحرك اجهزة الأعلام الصهيونية وحتى اجهزة الأعلام الغربية ، الا بالقدر الذي تضطر معه الى تسريب بعض المعلومات التي لا تستطيع اخفاءها ولكن باسلوب يجعل القاريء لا يأخذها بشكل جاد او يجعله مشوشا ، نظرا لتناقضها الأمر الذي يحول دون تركيزه وبالتالي دون اتخاذه موقفا حاسما تجاه هذه الأخبار او تجاه القيادة الصهيونية .

في محاكمة ( اسرائيل كاستنر ) التي تمت في محكمة القدس عام ١٩٥٣ تلى

(٤٨) من الأعماق ـ ملحق الرسائل .

(٤٩) الصهيونية بعد رفض اوغندة ، صفحة ٩٦ ، ٩٧ .



المحامي الأسرائيلي شمويل تايمير رسالة موجهة الى الحاخام وايز ماندل يتحدث فيها عن المذابح التي يتعرض لها اليهود ويورد تفاصيل دقيقة عن الوقائع والأحداث . هذه الرسالة كما اسلفنا هي احدى مئات الرسائل التي ارسلها الحاخام وغيره[٥٠] ، وفيها يستنتج خلاصة الموقف الصهيوني في الخارج بعد ان يئس من استنهاض هممهم في القيام باية عملية انقاذ . او العمل على فضح الموقف الألماني من خلال وسائل الأعلام ، ويتأكد مرسلها انهم لن يقوموا بشيء وانه انما يسجل ذلك للتاريخ . . . يقول في رسالته :

( . . . انتم اخوتنا في فلسطين وفي جميع الدول الحرة ، وانتم يا كهان الممالك ، كيف تصمتون امام هذا القتل الفظيع والاجرام صمتا شاملا ، بينما وصل عدد القتلى اليهود حتى الآن الى ستة ملايين ، تصمتون الى الآن بينما يتم نقل عشرات الألوف للقتل ، ان قلوبهم ـ قلوب الضحايا ـ تنشد مساعدتكم ، انهم يندبون حظهم ، متوحشون انتم بل قتلة ايضا ، لأن صمتكم وبرودتكم يرافق مراقبتكم للقتل وأنتم تقفون مكتوفي الأيدي دون عمل رغم قدرتكم على وقف تأجيل قتل اليهود وفي هذه الساعة بالذات ، بأسم دماء آلآف الألاف الذين قتلوا نطلب ونستصرخ ونصيح ، ونرجو ان تقوموا باية خطوة واي عمل فوري . على جميع كهان الممالك وجميع الدول ان يصرخوا بصوت عام يصم آذان العالم وآذان الشعب الألماني والشعب الهنغاري بأن يوجهوا انذارا الى المجرمين الألمان يعلمونهم بكل ما جرى في الماضي وما زال يجري حتى الآن . وعلى البابا ذاته ان يشارك بهذه الصرخة الغضبى ضد القتلة الألمان ليذاع هذا النداء في جميع الأذاعات ويقرأ في جميع الصحف العالمية ما لم يتوقف الألمان عن قتل يهود هنغاريا فورا فلتطرد المانيا والى الأبد من دائرة الحضارة المدنية ) .

ان تامير يعلنها صريحة وفي قاعة المحكمة[٥١] ، وانه يتهم المؤسسة الرسمية

(٥٠) Perfidy , Page 141 , 142 .

(٥١) Ibid , Page 145

الصهيونية في فلسطين بانها صمتت على مقتل ستة ملايين يهودي اوروبي وذلك حتى لا يعرّض اعضاؤها انفسهم للخطر .

**الصحافة الصهيونية :**

اننا نستنتج من هنا ان الموضوع لم يكن خوفا . لا بد ان اسبابا اخرى كانت تحول دون اتخاذ موقف من قبل الوكالة اليهودية . هذه المؤسسة التي مارست لجم وسائل الأعلام ، وان كانت جميع وسائل الأعلام مشغولة بشكل دائم بخطب الزعماء وبالمواضيع المحلية والحرتقات الحزبية . التي كانت تبرز يوميا . الخطب الطويلة لبن غوريون وشاريت، تتحدث مطولا عن تحركات القادة الصهيونيين بالتفصيل وبعناوين بارزة .

اما تفصيلات ابادة اليهود ومشاكل الأنقاذ فلم تشر اليها البتة بل على العكس من ذلك فقد نشرت دافار ( صحيفة الهستدروت حاليا ) الناطقة الرسمية باسم الوكالة اليهودية افتتاحية عنوانها ( النفي النازي للأبادة له اساس معقول ، لم يبد العدد الذي كنا نخشاه ) . وكذلك فعندما قربت لحظة ابادة يهود هنغاريا امتلأت الصحف بالتعليقات والأفتتاحيات لا ضد الأرهاب النازي وانما ضد ارهاب الأرغون . ويبرز هذا بشكل واضح في مرحلة دقيقة من مراحل المذبحة التي اصابت يهود هنغاريا .

في شهري ايار ونيسان عام ١٩٤٤ نشرت الصحف أحاديث بالنصوص الكاملة لبن غوريون ومواضيع اخرى لم تأت اطلاقاً على ذكر هنغاريا . وهذه نماذج من مواقف هذه الصحف : -

١ - يوم ٤/١١ ابتدأ تجميع اليهود في هنغاريا . تبرز الصحافة خطابات بن غوريون ضد الارهاب الموجه للانكليز ولم يذكر هنغاريا اطلاقاً .

٢ - يوم ٥/٩ قرب موعد نقل ( ١٢٠٠٠ ) يهوديا يوميا الى اوشفتز في نفس



الوقت ينعقد مؤتمر يهود فلسطين وعلى جدول اعماله موضوع الأنتخابات فقط .

٣ - يوم ٥/١١ آخر الأيام قبل ابتداء الشحن، بن غوريون يخطب دون أي ذكر للوضع في هنغاريا .

٤ - يوم ٥/١٥ ابتدأ النقل الى اوشفتز ويصل ذروته . . شاريت يخطب ، دون ذكر هنغاريا .

٥ - يوم ٥/٢١ هو اليوم السابع للشحن الذي سينجز خلال عدة ايام . وبنغوريون يخطب دون اي ذكر لهنغاريا .

٦ - يوم ٥/٢٣ يرسل[٥٢] أهود أفريل من استانبول اول برقية عن الخطر المحدق بمليون يهودي ، ولكن بعد ثمانية ايام تنشر دافار خبرا صغيرا حول الموضوع وينعقد مجلس حزب المباي ولا يصدر عنه أي رد فعل .

حتى منتصف شهر تموز ١٩٤٤ استمر قادة الوكالة اليهودية في حظر المعلومات باصرار فبدلا من ان يضعوها عناوين رئيسية في الصحافة ليثيروا اليهود وغير اليهود ، بدلا من ذلك تطمس هذه الأخبار وتحجب عن أبصار الرأي العام . والسبب في ذلك يعود الى أن جماهير اليهود عندما تعرف الأخبار المرعبة ، وما يحدث في هنغاريا ستفهم مدى وحشية وتآمر قادتها وتواطئهم مع جلادي اخوانهم[٥٣] .

كان هذا موقف الصحافة اليهودية في فلسطين من حيث عدم ابرازه للمعلومات سواء بالتعليقات او بالتحليلات حتى لا يحرّض الرأي العام اليهودي والعالمي على القيادات القابضة على زمام الأمور .

ولكنها تشير باسلوب جانبي وعرضي الى الأخبار التي ترد الى فلسطين دون ان تعلق عليها ، يضاف الى ان هذا مثل هذه الأخبار لم تكن لتتناقلها كل الصحافة

---

(٥٢) - . Ibid , Page 146 , 147

(٥٣) The Jewisn Guardian , Brooklyn , U . S . A . 1975 , Issus 6

بحيث تنقلها صحيفة وتهملها الأخريات . وذلك لتوحي للقارىء العادي بعدم الثقة فيها والتقليل من اهميتها ومن ثم عدم اخذها بالجدية المتوقعة . وسنتناول هنا موقف صحيفتين من كبريات الصحف اليهودية في فلسطين ولنتحدث عن أشد الفترات خطورة ودقة وهي العام ١٩٤٢ . اما الصحيفتان فهما دافار وهآرتس[٥٤] : -

**أ - دافـــار :**

١ - جاء في العدد الصادر في ١٩٤٢/١/٢٨ وفي صفحة داخلية من الصحيفة المذكورة ان الموت في وارسو بالنسبة لليهود بلغ ( ٩ ) اضعاف الذين يموتون من السكان غير اليهود ، ففي شهر تموز عام ١٩٤١ ، بلغ عدد الذين قتلوا ( ٣٤٥٩ ) شخصا وانخفضت النسبة المئوية للولادة بمقدار اربعة اضعاف عن نسبة مجمل السكان .

٢ - وجاء في عددها الصادر في ١٩٤٢/١/٣٠ بيان قصير وموضوع داخل اطار اسود ما يلي : تم تنفيذ حكم الأعدام بـ ( ١٥ ) يهوديا آخر في وارسو بتهمة خروجهم من الجيتو دون ترخيص ، ولقد نقل هذا البيان عن الصحيفة النازية ( وارسو تسايتونغ ) .

٣ - وفي عدد ٢ شباط نشرت ما يلي : موت مخيف ليهود رومانيا بلغ عدد الذين ماتوا من اليهود خلال عام ١٩٤١ ( ١٦٥٠٠٠ ) يهودي وقد مات في وارسو نفسها ( ٧٢٢٧٩ ) يهودي من بينهم ( ٧٤١٩ ) ماتو في شهر تموز .

٤ - وفي ٣ شباط نشرت الصحيفة خبراً تحت عنوان : بلغ عدد اليهود في غيتو لودج ( ١٧٣ ) الف يهودي ، حسب ما تقول الصحافة الألمانية ، وحسب ما ذكرت الصحافة النازية فان هناك حوالي ( ٢٠ ) الف يهودي يعملون باعمال المصالح النازية .

(٥٤) الصهيونية بعد رفض اوغندة صفحة ٤٠ .



٥ - وجاء في عددها الصادر يوم ٤ شباط ان شبابا من اليهود قاموا في صربيا وحملوا السلاح واطلقوا سراح بعض اليهود من المعسكرات واخذوهم الى مكان آمن يقع تحت سيطرة الضابط ( ميخالوبيش ) .

٦ - وكتبت يوم ٨ شباط ان دماء اليهود تسيل كالماء ، لقد انخفض يهود فيًنا حتى وصل ( ٤٠ ) الفا بعد ان كان عددهم (٧٠) الفا[٥٥] .

**ب - صحيفة هآرتس ٢٨ تموز ١٩٤٢ :**

نشرت صحيفة هآرتس تحت عنوان ( مقتل ٦٨٠٠ ) يهودي في غيتو وارسو ما يلي :[٥٦]

لقد ابتدأ الألمان بطرد جماعي لليهود في غيتو وارسو من اجل ابادتهم ، هذا ما تقوله البيانات التي حصلت عليها الحكومة البولونية من لندن . وتم الصاق المناشير في الشوارع التي تتحدث عن الأوامر الصادرة بطرد ( ٦٨٠٠ ) يهودي الى مكان مجهول في شرق بولونيا . . .

( ملاحظة : لم ينشر هذا البيان في صحيفة دافار ، ومع ذلك فليس هناك فرق في الخطة الاعلامية التي قدمتها الصحيفتان الى القراء ) .

ان المعلومات التي نشرتها الصحف وخاصة الصحيفتان المذكورتان كانت توحي بما يلي : -

١ - كانت المعلومات قليلة سواء فيما يتعلق بحجمها او ابرازها .

٢ - ان محرري الصحف كانوا يمثلون رجال السلطة في البلاد فهم يتظاهرون بعدم تصديق هذه المعلومات والبيانات ولم يريدوا ان يصدقها الجمهور حيث كانت تهدف هذه البيانات تعويد القارىء على ارقام كبيرة للقتلى لتغرس فيه عدم الثقة

(٥٥) المصدر السابق صفحة ٤٠ .

(٥٦) الصهيونية بعد رفض اوغندة صفحة ٤٢ .

وبالتالي الى تشويش افكاره مما يشيع في النفس اللامبالاة ، وهذا ما قامت به جريدة دافار بشكل رئيسي .

٣ ـ كانت الخطة الاعلامية لكل الصحف التي قدمت للقراء واحدة . وسارت الصحف على نمط واحد في تقديم الأنباء وابرازها واخفائها مما يتناسب مع تضليل الجماهير .

٤ ـ حيث ان الصحف لم تستطع حجب البيانات عن الجمهور لانها كانت تنشر في مختلف وسائل الأعلام العالمية ، لذلك اتفق على النشر باسلوب لا يثير اهتمام الجمهور بل يشغله عنها بامور اخرى .

٥ ـ لم تتبن جميع الصحف بيانا ما . وكثيرا ما كانت تهمل البيانات الهامة لتوحي للجمهور بعدم صحتها .

٦ ـ حينما كانت الصحف تذكر او تنشر بعض البيانات ، كانت تنشرها كما هي دون أي تعليق . وهذا يؤكد أن هيئة التحرير كانت لا تثق بهذه البيانات وبالتالي لا تعيرها أية أهمية .

٧ ـ ان الأعمدة والمقالات التي خصصت لمشكلة يهود اوروبا لم تستند الى بيانات أكيدة فهي من جهة تقوم بعمليات وصف مثيرة ومن جهة أخرى كانت تعمد الى التهدئة والتشكيك وعملية التهدئة لم تقم بها الصحافة فحسب بل جميع المراسلين والكتاب والمعلقين والخطباء والمحاضرين والزعماء السياسيين من المستويات كافة ، حيث كانوا يقومون بتحذير الناس كأن يقولوا لا يوجد شيء ، ان هذا الأمر مخيف ولكن ليس لهذه الدرجة فما بين عشية وضحاها سوف تنتهي الحرب وسنعثر على الرجال والأشخاص الذين فقدناهم[٥٧] .

**المواقف الرسمية :**

ان الصحافة الصهيونية عندما ضربت على الرأي العام ستاراً من العتيم فانها

(٥٧) الصهيونية بعد رفض اوغندة صفحة ٥٣ .



كانت بذلك تنفذ سياسة رسمها الزعماء الكبار . ولقد اعترف بهذا حاييم لاندو في الكنيست الأسرائيلي عام ١٩٦٦ ، عندما قال : الواقع ان الوكالة اليهودية كانت تعرف انباء الأبادة في عام ١٩٤٢ والحق انها لم تصمت فحسب بل اسكتت اولئك الذين كانوا يعرفون[٥٨] .

ولذلك ، فاذا اردنا ان نستعرض بيانات الوكالة اليهودية او تصريحات الزعماء الصهاينة امثال بن غوريون وشاريت وغيرهما لوجدناها خلوا من اية اشارة للمذابح في الوقت الذي كان العالم كله يتابعها، وفي الوقت الذي يقف قساوسة المسيحيين ورجال الدين وغيرهم في دول الغرب معلنين السخط على النازية .

**١ ـ بيانات الوكالة اليهودية :**

في يوم الأثنين ٢٣ نوفمبر ١٩٤٢ صدر بيان في احدى الصحف الأسرائيلية صادر عن الوكالة اليهودية ، وقد احدث هذا البيان هزة عنيفة لدى الجمهور لأنها المرة الأولى التي يصدر فيها بيان رسمي من جهة رسمية عن عمليات الأبادة[٥٩] ، وقد اعتمدت الوكالة في بيانها هذا على شهادة مجموعة من اليهود الذين وصلوا الى فلسطين ضمن نطاق المبادلة التي جرت بين مواطني بريطانيا ومواطني مستعمراتها من جهة ومواطني المانيا من جهة اخرى . وكان من بين هؤلاء يعقوب كورتس الذي كان على صلة وثيقة بالأحداث في اوروبا وكانت لديه معلومات جديدة ومثيرة لما كان يحدث ليهود بولونيا . ولذلك كان هذا الرجل اهم مصدر استمع اليه مندوبوا الوكالة اليهودية وكذلك استمع اليه مندوب الحكومة البولونية في المنفى الذي كان يقيم في ذلك الوقت في فلسطين .

لقد اشار بيان الوكالة المستقى من شهادة كورتس الى بعض الوقائع والارقام

(٥٨) الصهيونية ودورها في السياسة الدولية ـ هايمان لومر ـ دار الطباعة الحديثة ـ القاهرة سنة ١٩٧٤ صفحة ١٠١ .

(٥٩) الصهيونية بعد رفض اوغندا صفحة ٩٨ .

والاحصائيات ولكنه حذف كثيرا من المعلومات المثيرة والتي اضطر كورتس لنشرها فيما بعد في كتاب اسماه (كتاب الشهادة) بعد ان شعر ان رجال الوكالة اليهودية مصممون على عدم تصديقه بعد ان وجهوا له اتهاما بانه يحاول ان يخدع الناس بمعلومات غير صحيحة ، وأنه لا هم له إلا بث التشويش والأشاعات واختلاق الأقوال من اجل الأساءة الى القيادات . ولذلك فقد تم حذف اي امر يتعلق بمصير يهود غيتو وارسو من البيان وهو ما اشار اليه كورتس بالتفصيل ، كذلك اهملت الأشارة كليا الى كل ما يتعلق بـ ( حلمينو ) وطرابلنكا . وكذلك فان البيان حينما تعرض الى ذبح الأطفال والشيوخ لم يتطرق الى مصير غيرهم الا بعبارات غامضة توحي بانهم يعملون في اماكن عمل مجهولة .

وهذه ابرز النقاط التي جاءت في البيان : -

أ - تلقت مديرية الوكالة اليهودية في القدس نقلا عن مصادر مطلعة وموثوقة بيانات مفصلة حول اعمال الذبح التي لحقت بيهود بولونيا ويهود اوروبا الوسطى والغربية الذين تم طردهم الى بولونيا .

ب - تقوم لجنة من قبل السلطات النازية بالتجول في مدن بولونيا بالتخطيط لذبح الأطفال والشيوخ .

ج - تسجل هذه اللجنة الشباب المؤهلين للعمل وارسالهم بمجموعات الى جهة مجهولة حيث لم يعرف لهم اي اثر وقامت هذه اللجنة في امكنة متفرقة بجمع النساء اليهوديات وارسالهن الى الغيتو .

د - اشار البيان الى ارقام تتعلق بنقصان عدد اليهود في عدة مدن وغيتوات .

هـ - تشير المصادر الموثوقة الى ان عمليات الطرد ما زالت مستمرة لليهود من مدن اوروبا الوسطى والغربية .

و - انهت الوكالة بيانها بالعبارة التالية : « لقد ناقشت الوكالة اليهودية في



جلستها امس هذه البيانات واتخذت عدة قرارات وقررت القيام باتصالات خارجية من اجل يهود اوروبا وتم انتخاب لجنة خاصة للقيام بهذه النشاطات .

### ٢ - موشي شاريت :

تبوأ في الحركة الصهيونية مواقع ذات تأثير بالغ ولعب دورا لا يقل عن زملائه في عملية الأخفاء[٦٠] ، فقد ادلى بتقرير بتاريخ ١٨/٥/١٩٤٣ امام اجتماع اللجنة الصهيونية بعد عودته من زيارة لكل من انكلترا وفرنسا حول اخبار المذبحة والظروف التي ادت ببريطانيا وامريكا الى عقد مؤتمر برمودا وفي التقارير كثير من المغالطات والتشويه والتسويغ لتقصير القيادة الصهيونية وادعائها بالجهل ، وهذا نص التقرير : -

« ان واجبي يتطلب ان اقدم لكم تقريرا يتعلق بزيارتي لكل من انكلترا وامريكا . . عند خروجي من البلاد في نهاية نوفمبر من العام الماضي حملت معي الأخبار المرعبة التي وصلت الى البلاد عن طريق بعض شهود العيان وهم اللاجئون الذين تمكنا من اطلاق سراحهم من جحيم النازيين ، كما تمكنا من احضارهم الى البلاد ضمن نطاق المبادلات . وكنت اعتقد ان الصورة المرعبة التي ظهرت لنا ستكون مفاجئة بالنسبة لأصدقائنا في لندن ولكني على العكس وجدت اصدقائنا يعلمون بالتفصيل ماذا حدث في اوروبا . »

« كانت صحافة لندن وصحافة المدن الفرعية مغمورة بالبيانات والمقالات التي ترددت حول الأخبار المرعبة التي جاءت من اوروبا وقد احتل هذا الموضوع مركز الصدارة بالنسبة لأهتمام الجمهور ، وقد وصلت اليه المعلومات بالتدريج خلال عدة اسابيع وربما خلال اشهر ولكن هذه المعلومات لم تنشر في الصحافة حيث لم تكن هناك رغبة للفت نظر الجمهور اليها ، وبالتالي لم تكن هناك رغبة لعرضها امامه » .

---

(٦٠) الصهيونية بعد رفض اوغندة صفحة ٩٨ .

« وعندما وصلت الأمور الى هذه النقطة اثناء سير الحرب تم تشكيل مؤسسة من اجل الأنقاذ ، وقد وقف على رأس هذه المؤسسة زعماء الأديان وكان رئيسها مطران كنطر بوري الا ان هذه المؤسسة لم تفلح في اشراك ممثل للحكومة البريطانية في اعمالها ، حتى ان الحكومة البريطانية لم ترسل مذكرة تأييد لأجتماعات هذه المؤسسة وكانت وجهة نظر الحكومة في اهمال هذه الجهود وتجاهلها هو ( كما تدعي ) خشيتها ان تصبح هذه القضية ورقة بايدي العنصريين في انكلترا حيث سيضاعف هؤلاء دعايتهم لأقناع الناس ان هذه الحرب حرب يهودية » .

كان هذا بيان شاريت الذي يسير على نفس المنحى الذي سارت عليه بيانات ومواقف غيره من الزعماء ويمكن ان نرد عليه بالنقاط التالية : ـ

أ ـ ان اشارته الى أن المعلومات التي وصلت هي فقط ما حصلوا عليه من اليهود الناجين من النازية نتيجة التبادل فهل يعني هذا ان المعلومات الأخرى التي غمرت البلاد والتي اشارت اليها وسائل الأعلام لم تكن حقيقية ؟ وهو في هذه الحالة اراد ان يقنع نفسه بان المعلومات المتوفرة لديه هي المعلومات الوحيدة في العالم ولكنه فوجىء ان اصدقاءه في لندن لديهم ادق التفاصيل عن كل شيء . ولكنهم كانوا عقبة طيلة الوقت في وجه اعلام الجمهور لما قد يحدث ليهود اوروبا شأنهم في ذلك شأن رفقائهم في كل من جينيف ونيويورك والقدس الذين عرفوا منهم والذين لم يعرفوا ، والذين سمعوا والذين لم يسمعوا ، ها هو شاريت يعلن اخيرا ان القدس علمت بانباء الكارثة .

ب ـ اذا كان في الحكومة البريطانية من يخشى اعلان مثل هذه الأخبار حتى لا يعطي ذريعة للعنصريين ، حتى لا يقال ان الحرب هي لمصلحة اليهود فان الأذاعة البريطانية[٦١] قد قامت بدور آخر حيث نشرت اخبار الكارثة ، يضاف الى ذلك

(٦١) المصدر السابق صفحة ٩٧ .



الأجتماع الذي تم في ٢٩ اكتوبر سنة ١٩٤٢ والذي تليت فيه مذكرة التضامن التي صدرت عن تشرشل .

كذلك فان شاريت لا يستطيع الأدعاء انه لم يسمع باجتماع آخر عقد قبل شهرين، ففي الثاني من شهر سبتمبر سنة ١٩٤٢ تم عقد اجتماع من قبل حزب العمال اشترك فيه وزراء خارجية كل من بلجيكا وتشيكوسلوفاكيا والنرويج ، وممثلون آخرون عن دول مختلفة وكان الخطيب الأساسي في هذا الأجتماع هو شمويل زجلبيويم الذي وصف ـ كما تقول الصحافة ـ اساليب ابادة اليهود وصفا مثيرا .

ويبدو ايضا ان شاريت تجاهل النبأ الذي اذيع في ٧ تموز سنة ١٩٤٢ والذي اكد ان وزير الأعلام البريطاني ( بردوم براكل ) اعلن امام الصحافيين وصادق باسم الحكومة على البيان المتعلق بابادة ( ٧٠٠ ) الف يهودي في بولونيا وصرح في هذا اللقاء قائلاً : « عندما يعلن عن اعمال الألمان المخيفة في بولونيا سوف يسمع العالم اشياء مذهلة لم تحدث في التاريخ » .

واذا كان شاريت يعرف الأنكليز جيدا فانه يعرف تماما ان الحكومة البريطانية لو ارادت ان تخفي عن الجمهور الأخبار المتعلقة بالكارثة ، فهي غير قادرة على ذلك وهي لا تستطيع ان تخرس صوت الحكومة البولونية التي كانت تقيم في لندن والتي كانت مصدرا اساسيا للمعلومات ، وهي لم تتمكن من فرض الرقابة على الصحافة فيما يتعلق بمسألة ليست عسكرية كمقتل اليهود .

### ٣ ـ دافيد بن غوريون :

لم يتردد رئيس المنظمة الصهيونية بن غوريون في التصريح بان البيانات التي نقلت حول مقتل يهود بولونيا قد وصلت متأخرة جدا وحتى حينما وصلت لم يرغب احد بتصديقه واستمر الجميع يكذبوه ، كان ذلك بعد سنتين من وصول كل هذه المعلومات وانتشارها على مستوى واسع في كل اجهزة الأعلام العالمية في ذلك الوقت ، والحقيقة ان بن غوريون نفسه لم يكن راغبا في ان يصدق او يترك الآخرين

يصدقون مثل هذه المعلومات ولا ننسى انه في الوقت الذي كان فيه موجودا في امريكا وصلت برقية ( غرهارط رغنر ) مدير مكتب الكونغرس اليهودي العالمي في جينيف التي تتحدث بالتفصيل عن الجرائم التي ترتكب ضد اليهود في بولونيا وكان تاريخ هذه البرقية هو ١٩٤٢/٨/١٥ وقد ورد فيها ما يلي(٦٢) .

« قبل زمن قصير جاء شخص معين وادلى بتقرير عن المذابح الجماعية التي حدثت في لفوف وكذلك عن استثارة السكان في بولونيا ليتصرفوا بشكل غير ودي تجاه اليهود المحليين هناك » .

وجاء شخص آخر امس اي في ١٩٤٢/٨/١٤ وهو ينتمي الى اصل آري من بولونيا وهو موثوق جدا ادلى بالبيانات التالية : -

« ان غيتو وارسو هو الآن بحالة دمار ويتم اخذ اليهود دون تفريق في العمر او الجنس كمجموعات من الغيتو المذكور ويتم اطلاق النار عليهم ويصنع من جثثهم ومن عظامهم الزبل ومن اجل هذا الهدف ايضا فانهم يخرجون الجثث من القبور » .

« ان هذه المذابح الجماعية لا تجري في وارسو نفسها ولكن في مخيمات انشئت خصيصا لهذا الغرض ولا يوجد مخيم من هذا النوع في بلزاس وفي لفوف حيث تم فيها ذبح ( ٥٠ ) الف يهودي خلال الأسابيع الأربعة الأخيرة ، وفي وارسو حسب ما يشير تقرير آخر تم ذبح ( ١٠٠ ) الف يهودي ولم يبق اي يهودي في كل المنطقة الواقعة شرقي بولونيا بما فيها الاراضي المحتلة التابعة لروسيا . وذكر ان سكان ( سيسبتول ) غير اليهود قد ذبحوا ايضا . ان المذابح لا تتم دفعة واحدة لئلا يلفت ذلك انتباه الناس خارج البلاد ، وفي الوقت الذي يتم فيه طرد الهولنديين والفرنسيين والآريين الى الشرق ويتم انقاذهم ، فان اليهود المطرودين من المانيا وبلجيكا وهولندا وفرنسا وسلوفاكيا يذبحون وحتى لا تثار ضجة حول ذبحهم يتم طردهم الى الشرق اي الى

(٦٢) المصدر السابق صفحة ٧٨ .



مكان لا يلفت انتباه الدول الخارجية . ان معظم اليهود الذين تم نفيهم الى ليطا ولوبلين قد ذبحوا خلال الأسابيع الأخيرة » .

« هذا وتجدر الأشارة الى انه لا يسمح لهؤلاء المطرودين بكتابة رسائل . وان قسما كبيرا من هؤلاء المطرودين من المانيا موجودين الآن في ( تزربا نشطط ) ، الا ان هذا المكان هو عبارة عن محطة مؤقتة بحيث عندما يخلو مكان الذبح يجري ارسال دفعة جديدة ، وذلك بوساطة قطارات مملوءة بالمطرودين الذين يتم نقلهم بوساطة عربات القطار ( المخصصة للبقر ) وكل عربة تحتوي على ( ٤٠ ) شخصا .

وتستعين السلطات النازية بابناء منطقة ( ليطا ) غير اليهود ليقوموا بنقل اليهود . يضاف الى ذلك ان النازيين كانوا يستعدون ابناء هذه المناطق وخاصة في لفوف ووارسو على اليهود بحيث انقطعت كل علاقة بين الطرفين » .

« ان السكان اليهود الموجودين في لفوف ووارسو يعيشون على امل وحيد هو انه عما قريب ستفتح جبهة جديدة من الغرب او ربما تنتهي الحرب بمعجزة قبل حلول فصل الشتاء . ان اليهود في بولونيا يطرحون السؤال التالي : من المعروف انه يوجد اكثر من (٤) ملايين الماني يعيشون في امريكا ومن بين هؤلاء مليونان يؤيدون الأشتراكية القومية ، فلماذا لا تتخذ امريكا وسائط قمعية ضدهم ولهذا السبب فان يهود بولونيا يتذمرون من امريكا ويقطعون الأمل منها . انهم يعرفون ان انكلترا لا تتخذ مثل هذه الأجراءات خوفاً من مصير اسرى حربها ولكن ليس هناك ما يسوغ سياسة امريكا » .

« ان موقف الأوساط الحكومية الفرنسية معاد لليهود وقد سلمت فرنسا لألمانيا الفين من هؤلاء اليهود . اننا نؤكد على ضرورة ان تتخذ امريكا موقفا من الألمان الموجودين في امريكا ، لأن مثل هذا الموقف من شأنه ان يكون ذا اهمية بالغة » .

**التوقيع - غرهارط ريغنر**

( * ) وردت هذه المعلومات بشكل مفصل في كتاب : The Terrible Secret , Walter Laqueur , Widen Feld 8 Nicolson , London 1980 , Page 157 - 195 .

وصلت هذه البرقية وبن غوريون موجود في امريكا ، ولا بد انه استمع من ستفين وايز الى كل الحقائق التي كانت تصل اليه ، وعلى الرغم من كل ذلك فحينما عاد الى فلسطين في ٨ اكتوبر سنة ١٩٤٢ والتقى للمرة الاولى بالصحفيين في الوكالة اليهودية تحدث معهم عن مواضيع مختلفة تتعلق بامريكا واليهود الأمريكيين وانشاء حكومة يهودية في المنفى ، اما عن الكارثة فلم يتفوه بكلمة واحدة عنها وتجاهلها كل التجاهل[٦٣] .

وفي ١٥ اكتوبر سنة ١٩٤٢ القى بن غوريون امام اللجنة الصهيونية العاملة محاضرة طويلة ومفصلة الا انها خصصت لموضوع « مشروع عمل صهيوني ويهود امريكا » . اما موضوع كارثة يهود اوروبا فقد ورد في جملة واحدة فقط عندما اشار الى وصول زعماء الى امريكا ، وتحدثوا عنها ولم يزد عن ذلك بكلمة واحدة .

وعقد اجتماع آخر لنفس اللجنة بتاريخ ١٠ نوفمبر وساهم بن غوريون في هذا الأجتماع الذي كان استمرارا لسابقه وكان موقفه كمواقفه السابقة ايضا من انباء الكارثة .

ولكن في الثلاثين من نوفمبر عقد اجتماع آخر في القدس ونقل عن بن غوريون حديث موجزومهم عن اخبار الأبادة قال فيه : « اننا لا نعلم بالضبط ماذا يجري في أروقة الموت النازية . لقد تم قتل بعض اليهود وحرقهم احياء . ان المشنقة النازية حافلة بالات اطلاق النار وبالجلادين الخبراء . ولكن لا توجد تفاصيل وان كنا نعلم ماذا يدبّر هتلر لشعبنا وماذا كتب في كتابه ( كفاحي ) . ثم انتقل بعد ذلك الى الأجراءات المطلوبة عن ( تخليص الأطفال ) وفتح باب البلاد للقادمين . وقد كرّس معظم حديثه لهدفه الأساسي في انشاء جيش يهودي ، ثم ختم حديثه بالتوجه الى يهود الغيتوات قائلا : « اننا نتوجه بكلماتنا الأخيرة الى اخوتنا واخواتنا الأعزاء المأسورين في الغيتو النازي ونقول لهم ان مصيبتهم هي مصيبتنا ودمنا هو دمهم

(٦٣) المصدر السابق صفحة ١٠٣ .



وسنبذل كل ما بوسعنا من اجل الثأر لدمائهم ولن نستريح حتى نخلّصهم من جحيم النازية ومن المهاجر العفنة وننقلهم الى بلادنا التي يتم تأسيسها الآن » .

وهذه مجموعة من البرقيات التي ارسلت الى جهات صهيونية مختلفة ، بقي اصحاب هذه البرقيات حسني النوايا حتى آخر لحظة في حياتهم اعتقادا منهم ان اخوانهم في ( الديمقراطيات الغربية ) وفي غيرها سينجدونهم في اللحظات الأخيرة الحاسمة : -

أ - ذكر ( اجي راكوفسكي في صحيفة شاندرا مولديخ )[٦٤] بعددها الصادر يوم ١٩٦٨/٤/١٨ انه في شهر كانون الثاني سنة ١٩٤٣ ارسلت برقية بوساطة ارميا كرايونا في لندن من قبل اللجنة القومية اليهودية البولونية الى ستيفن وايز وناحوم جولدمان رئيس المؤتمر اليهودي العالمي تقول :

« نخبركم باكبر جريمة عرفها التاريخ ، لقد جرت ابادة اكثر من ثلاثة ملايين يهودي ، ايها الأخوة الأعزاء ان من يبق على قيد الحياة من يهود بولونيا يشعر انه في احلك سنوات تاريخنا . لم تقدموا لهم يد المساعدة . استجيبوا لهذا النداء . . اننا ندعوكم اليه لآخر مرة » .

ب - وفي العشرين من ابريل ١٩٤٣[٦٥] وبعد نشوب انتفاضة غيتو وارسو تلقت لندن برقية لاسلكية موجهة الى عضو المجلس القومي اليهودي زيغيلباوم وشوارتزيارد تتضمن نداء استغاثة وقوبل هذا النداء بالصمت المطبق .

ج - وبرقية اخرى وصلت لندن بتاريخ ١٩٤٣/٥/١١ تقول[٦٦] ان الملحمة البطولية توشك على نهايتها وتجري الآن عمليات القضاء التام على الجماعات

(٦٤) الصهيونية بلا قناع ـ ايفان دونيف ـ دار الفارابي ـ بيروت ـ ١٩٧٤ صفحة ٤٨ .

(٦٥) المصدر السابق صفحة ٤٩ .

(٦٦) المصدر السابق صفحة ٤٩

اليهودية في الأقاليم ايضا ويقابل عالم الحرية والعدالة كل هذا بالصمت المطبق . انه شيء غير محتمل . اخبرونا فورا بالأجراءات التي تتخذونها » .

د ـ في عام ١٩٤٢ كان الدكتور غرهارط ريغنر[٦٧] رئيس دائرة المؤتمر اليهودي العالمي في جينيف ابان الحرب أول من ابلغ سفارة امريكا في برن بما يلاقيه اليهود في بولونيا ، وارسل عبر السفارة الى وزير الخارجية الأمريكي كوردي هول معلومات واحصائيات عن معسكرات الأبادة ، ولكن هذه المعلومات قوبلت بمنتهى الشك .

هـ ـ نشرت صحيفة ( حيروت ) في عددها الصادر يوم ١٩٦٤/٥/٢٥ مقالا بعنوان « التاريخ سيدين زعماء الوكالة اليهودية » جاء فيه : ـ

« كيف لنا ان نوضح حقيقة ان قادة الوكالة اليهودية وزعماء الحركة الصهيونية الذين كانوا موجودين في فلسطين قد التزموا جانب الصمت . لماذا لم يرفعوا اصواتهم عاليا ، لم يتوجهوا بالنداء عن طريق اذاعة الهاغاناه السرية الى اليهود الذين يعيشون في احياء الغيتو وفي المعتقلات ، وفي الأماكن المأهولة كي يهربوا الى الغابات ويعلنوا الانتفاضة ويخوضوا النضال ويحاولوا الخلاص . انهم ـ اي زعماء الصهاينة ـ بصمتهم هذا قد تعاونوا مع الألمان بشكل لا يقل عن اولئك السفلة الذين سلموهم كل قوائم الأشخاص الذين كان مصيرهم الأبادة . ان التاريخ سيصدر حكمه على ما يدعى بـ ( اليودنرات ) وعلى الشرطة اليهودية العميلة للألمان وسيصدر حكمه ايضا على زعماء الوكالة اليهودية والحركة الصهيونية »[٦٨]

هذه نماذج مختلفة لمواقف زعماء صهاينة من قضية الأبادة التي تعرض لها اليهود على يد النازيين ويبدو لنا واضحا ان المواقف على اختلاف اصحابها كانوا جميعا متفقين على عدم اثارة هذه القضية امام الرأي العام وتعمدوا اخفاء المعلومات كافة

(٦٧) المصدر السابق صفحة ٤٩ .

(٦٨) المصدر السابق صفحة ٥١ .



التي كانت تصل اليهم حتى يعفوا انفسهم من اتخاذ اجراءات جذرية وضرورية . ولعلنا نلاحظ ان مختلف البرقيات والأخبار والمعلومات كانت تمر عبر ( الدول الديمقراطية ) وعلى رأسها امريكا وبريطانيا الا ان هذه الدول ايضا لم تحرك ساكنا ولم تتصرف ولم تعلن شيئا الا اذا اضطرت الى ذلك تحت وطأة انهمار هذه الأخبار والبيانات عندئذ تصبح مواقفها الأعلامية بصورة تشكيكية بكل الأخبار التي ترد ثم تؤكد للجماهير انها ستنتقم للضحايا والقتلى كنوع من التخدير والتمويه .

وهنا نعود مرة اخرى الى اقوال ناحوم جولدمان الرئيس السابق للمؤتمر اليهودي العالمي الذي أقر علانية « باننا جميعا مذنبون لأننا لم نذهب الى كل الأبعاد في عملية انقاذ اليهود . لقد كنا مبهورين بمقولة انه يجب ترك جنرالات الحلفاء في سلام حتى يخوضوا الحرب الى النهاية[٦٩] . الا ان جولد مان كان اكثر صراحة في حديث آخر عندما قال[٧٠] : اذا كان هناك من يمكن ان يتهم ( وهناك بالتأكيد الكثير ) فان الأتهام يجب ان يوجه الى يهود العالم الحر ، ولنا جميعا . نحن وكل قياداتنا فشلنا في الأمتحان اثناء فترة المذبحة

ولكن الأتهام الرئيسي بسبب الموقف السلبي في وجه هجمة الأبادة لا يوجه الى الحكومات الديمقراطية . لا أنسى اليوم الذي استلمت فيه برقية من غيتو وارسو موجهة الى الحاخام ستيفن وايز ، ان يهود الغيتو يسألوننا لماذا لا يجلس يهود امريكا ليل نهار على سلالم البيت الأبيض لكي يجبروا رئيس الولايات المتحدة ان يعطي اوامره بقصف معسكرات الأعتقال والسكك الحديدية التي تؤدي اليها . نحن ترددنا في القيام باي عمل لأن معظم القادة اعتقدوا انه من الضروري ان لا نعطل الجهود الحربية للحلفاء بقيامنا بالمظاهرات[٧١] .

(٦٩) Amos Elon , Page 233

(٧٠) Shonfield , Page 99 .

(٧١) Ibid , Page 98 .

## القسم الثالث

## الاختيار

لم يهاجر اليهود الى فلسطين بشكل مجموعات كبيرة او صغيرة الا اذا كان الارهاب سوطا يلهب ظهورهم ويدفعهم دفعا للبحث عن ملجأ أمين يلتجئون اليه وتطمئن فيه نفوسهم المرتعبة. ولقد كانت فلسطين ـ ولا زالت ـ آخر خياراتهم اذا اضطروا لمغادرة بلدهم الاصلي او رغبوا في ذلك. ومنذ مذابح القيصر التي استهدفت اليهود عام ١٨٨١ ـ ١٨٨٢ كانت موجات الهجرات اليهودية تستهدف امريكا وأوروبا الغربية دون ان يخطر بخلد افراد هذه الموجات ـ الا ما ندر ـ التوجه نحو فلسطين.

وبعد بدء الانتداب البريطاني مرورا بنهاية الحرب العالمية الثانية واقامة دولة اسرائيل، وصل الى فلسطين نوعان من المهاجرين : ـ

**اولا. النوع الأول**

هم المهاجرون (الشرعيون) أي اولئك الذين تحصل الوكالة اليهودية لهم على تراخيص دخول الى الاراضي الفلسطينية من سلطة الانتداب. وكان عدد هذه التراخيص يخضع احيانا للظروف الأمنية في فلسطين أو لحاجة الانكليز لمعونة العرب او لتهدئتهم او لكسب رضاهم كما حصل بالنسبة للكتاب الابيض. الا ان السياسة البريطانية كانت باستمرار تدعم ايجاد كثافة سكانية يهودية في فلسطين تحقيقا للوعد



الذي قطعته حكومة بريطانيا على نفسها بموجب وعد بلفور. والواقع ان كثافة الهجرة لم تكن قبل صعود هتلر الى سدة الحكم لتشكل مشكلة للحكومة البريطانية لأن الاعداد التي كانت تأتي الى فلسطين لم تكن من الخطورة بحيث تضطر الحكومة البريطانية الى تقنينها لولا الضغط العربي المستمر الذي اتخذ وجوها كثيرة بدءا من المطالبات السلمية وانتهاء بالثورات المسلحة والاصطدامات الدامية التي كانت تحصل بين الفترة والاخرى. ولكنها (الهجرة) كانت في الواقع مشكلة بالنسبة للحركة الصهيونية التي حاولت بشتى الوسائل «اقناع» اليهود، الهجرة الى فلسطين فاذا عرفنا أن خمسة ملايين يهودي هاجروا من اوروبا الشرقية بعد مذابح القيصر وخلال فترة خمسين سنة تقريبا، وان ستين الفا فقط من بين هؤلاء وصلوا الى فلسطين، تأكدنا أن كثافة الهجرة كانت اكبر مشكلة تواجه الحركة الصهيونية لانعدام العنصر البشري الراغب في ذلك. ومع صعود هتلر الى الحكم وممارسته اللاسامية ضد اليهود أصبح الأمل الذي انتظرته الصهيونية طويلا قابلا للتحقيق، الا ان نشوب الثورة الفلسطينية ١٩٣٥ ـ ١٩٣٩ وتوتر الاوضاع الدولية وارتفاع وتيرة الحرب أدى كل هذا بانكلترا الى اعلان الكتاب الابيض الذي يحدد الهجرة بأرقام واضحة. ولقد حاولت الحكومة البريطانية ان تجمع العرب واليهود حول مائدة مستديرة في مؤتمر سان جيمس علها تجد حلا يهدىء الاوضاع في منطقة الشرق الاوسط كي تتفرغ لما هو آت ومتوقع. وعندما اخفقت اصدرت في ١٧ من شهر ايار سنة ١٩٣٩ الكتاب الابيض الذي جاء فيه[٧٢]: « قررت الحكومة ايقاف الهجرة اليهودية، وان مبدأ القدرة الاستيعابية الاقتصادية المشترع في الكتاب الابيض الصادر عام ١٩٢٢ كان يجب استبداله بمبدأ أساسي جديد. وانها الآن ـ الحكومة ـ لا تستطيع ان تجد في الانتداب اي دعم لوجهة النظر القائلة بأن الهجرة يجب ان يسمح لها بالاستمرار بشكل محدود، وان القدرة الاستيعابية الاقتصادية يجب ان تكون الاعتبار الوحيد،

(٧٢) الموسوعة اليهودية ـ مجلد ١٦ صفحة ٤٨٤ .

فان خشية العرب من هجرة يهودية غير محدودة، قد اخذت بعين الاعتبار ايضا في رسم سياسة الهجرة وتعتقد الحكومة ان توسيع الوطن القومي اليهودي بشكل غير محدود سيعني (الحكم بواسطة القوة) ولهذا قررت الحكومة ان لا تسمح بالمزيد من توسيع الوطن القومي اليهودي الا اذا كان العرب مستعدين لقبوله، وسيتم تحديد الهجرة اليهودية في السنوات الخمس القادمة بالرقم (٧٥٠٠٠) مهاجر وهذا الرقم سيرفع نسبة عدد السكان اليهود الى ما يقارب ثلث مجموع سكان فلسطين ولن يسمح بالمزيد من الهجرة اليهودية حين انتهاء فترة السنوات الخمس، الا اذا كان عرب فلسطين مستعدين لقبول ذلك، ولن تتعهد الحكومة بتسهيل اية تطورات اخرى فيما يتعلق بالوطن القومي اليهودي، عن طريق الهجرة بغض النظر عن رغبات السكان العرب.

لقد كانت الحكومة البريطانية منسجمة مع نفسها عندما اعلنت ان موضوع الهجرة الى فلسطين يجب ان لا يخضع لأسباب اقتصادية فقط وانما لأسباب سياسية، ولم تكن تلك الاسباب السياسية المشار اليها الا الرغبة في تهدئة العرب بعد ان اصبح واضحا ان الحرب العالمية باتت على الابواب، الا ان المنظمات الصهيونية لم ترض بالسياسة البريطانية الجديدة وقررت ان تتصدى لها بتصعيد نشاطها في تنظيم الهجرة غير الشرعية حيث انها كانت تسابق الزمن لتحسم المعركة الفلسطينية المقبلة لصالحها[٧٣]. ومن هنا كان رفض المؤتمر الصهيوني الذي عقد في جنيف في آب ١٩٣٩ للكتاب الابيض، الا انه لم يقرر قطع الطريق على التفاهم مع بريطانيا، بل على العكس من ذلك فحينما وقعت الحرب العالمية الثانية في ايلول سنة ١٩٣٩ بهجوم المانيا النازية على بولونيا واعلان بريطانيا وفرنسا الحرب عليها، اعلنت القيادة الصهيونية وقوفها الى جانب بريطانيا وكأن الكتاب الابيض لم يكن. وهذا ما عبر عنه

(٧٣) ستون عاماً على الحركة القومية العربية الفلسطينية ـ د. أميل توما ـ دائرة الأعلام والثقافة ( منظمة التحرير الفلسطينية ) سنة ١٩٧٨ صفحة ١٦٦ .



بن غوريون حينما قال[٧٤] : « سنحارب الكتاب الابيض وكأن العدوان الالماني لم يكن، ونحارب المانيا وكأن الكتاب الابيض لم يكن » .

**ثانيا. النوع الثاني**

وهي الهجرة اللاشرعية التي اشرنا اليها والتي بدأت الحركة الصهيونية بممارستها قبل قيام الحرب العالمية الثانية، بل وقبل اعلان الكتاب الابيض سنة ١٩٣٩. ولكنها بلغت ذروتها في اعوام الحرب. وتشير المصادر الصهيونية الى هذه العمليات على انها نوع من البطولات الاسطورية التي قامت بها المنظمات الصهيونية على عاتقها على الرغم من كل العراقيل التي وضعتها في وجهها سلطات الانتداب البريطانية والدول الاوروبية الاخرى سواء منها المتعاونة مع النازية او الدول التي كانت على الحياد. يضاف الى هذا ان الحركة الصهيونية اطلقت على مثل هذه العمليات ، عمليات ( انقاذ الأرواح ) حتى توحي بأنها كانت تضع في اولى اهتماماتها الانقاذ دون تمييز بين السن والجنس والرغبة والانتماء . وفي وصفه الهجرة اللاشرعية يقول بن غوريون : « انها قصة آلاف من الناس اليهود العاديين رجال ونساء وأطفال ومسنين وشباب ومتوسطي العمر ، الذين تركوا بيوتهم وكل ما كان يعز عليهم من قبل وانطلقوا بلا ملاذ لهم ، في رحلات قاسية ، سرية وخطرة ، في قوارب يتسرب الماء اليها ، يتحدون جبروت أقوى دولة بحرية في العالم ، بالاضافة الى اخطار البحر ذاته ، لكي يصلوا الى ارضهم الموعودة ، وكان اخلاصهم وتصميمهم وشجاعتهم الراسخة وقدرة احتمالهم هي التي جعلت من الممكن تحقيق المنجزات التالية للصراع غير المتكافىء الذي كانت الارجحيات فيه نسبة واحدة ضد اربعين »[٧٥].

ان مجمل حصيلة أعمال الوكالة اليهودية ورابطة لجنة التوزيع ومبعوثي

(٧٤) الحقد ـ جولدامائير ـ دار المسيرة ـ بيروت سنة ١٩٧٩ صفحة ١٢١ .

(٧٥) The Secret Roods , By on and David Kamche , Hyperion Press , 1954 page 3

المستوطنات (الفلسطينية) لم تكن رقما هاما اذا قيس بالاعداد التي تمت ابادتها على أيدي النازيين وبمساعدة وتدعيم وتحريض الصهاينة . ويشير بهذا الصدد ابا ايبن ( وزير خارجية اسرائيلي سابق ) في كتابه ( شعبي ) الى هذا الموضوع دون أن يتطرق الى الدور الصهيوني الخفي في عمليات الابادة فيقول : « ان عمليات الانقاذ التي كانت تشرف عليها المنظمات الاسرائيلية ولا سيما تلك التي كانت تنظمها الوكالة اليهودية ، ورابطة لجنة التوزيع كانت تبدو تافهة ، اذا ما قورنت بالإمتداد المدهش لمشاريع الابادة النازية ، ونذكر أنه في كل مكان كان أعضاء المنظمات الاسرائيلية يبذلون مجهودات خيالية ويواجهون **دائما خيبة الأمل ، وسوء الاستقبال** ، والصد والرفض الجاف وكانوا يخوضون معركة لا نهاية لها ضد انعدام الأمن والجوع والخوف . وهذه الامور كانت كلها من نصيب اولئك الذين نجوا . أما في **الشرق فكانت** عداوة الجماهير الشعبية تقف مسبقا في وجه تلك المجهودات التي يبذلها اليهود ، ولكن الديمقراطيات الغربية الصغيرة ، كانت هي الوحيدة التي اهتمت بقضايا المضطهدين[٧٦] .

ومن الثابت بالمراجع الصهيونية ان مبعوثي المستوطنات الفلسطينية المدعومين من الوكالة اليهودية فيما بعد هم الذين قاموا بعمليات الهجرة غير الشرعية من خلال تجوالهم في الدول الغربية والشرقية بحثا عن الطلائع الراغبين في الهجرة الى فلسطين . ولذلك فان سبب تفاهة النتائج التي يتحدث عنها أبا ايبن هو عدم وجود ( البضاعة ) الملائمة والمناسبة والراغبة في القيام بهذه المهمة ، ومن هنا كانت خيبة الأمل وسوء الاستقبال ، لأننا سنلاحظ بعد قليل ان هذه البعثات كانت تلقى الدعم المطلق من العدوين اللدودين ـ انكلترا والمانيا ـ . الا ان هذا الدعم كان محصورا في المهمة ذاتها دون غيرها . وبمعنى آخر اسقاط كل ما عدا ذلك من اليهود من حساب الجميع . جميع الجهات المتحاربة والمتصارعة في الساحة الدولية ، باستثناء البعض

---

( ٧٦ ) Mon Peuple , Abba Eban , Paris 1970 page 313



الذين اتخذوا موقفا مغايرا بشكل كلي لهذه السياسةوعملوا ما استطاعوا على انقاذ اليهود باعتبارهم ضحايا . ومن هنا نلاحظ المغالطة التي يتعمدها ابا ايبن حينما يجرى مقارنة بين الشرق ( والديمقراطيات الغربية ) الصغيرة ، باعتبار ان الجماهير الشعبية في الشرق وقفت موقفا معاديا من جهود الانقاذ بينما اتخذت الديمقراطيات الغربية الصغيرة موقفا متعاطفا معها، ولكن الواقع ان التعميم والاطلاق بهذا الشكل كان منافيا للحقيقة ويحتاج الى كثير من المراجعة والتمحيص . ويبدوا ان الموقف السياسي الصهيوني هو الذي أملى على ايبن مثل هذا الرأي وليس الامانة في نقل وقائع التاريخ .

**من هم (مادة) الهجرة اللاشرعية ؟**

كان بينو Pino وبارجيلاد Bargilad اثنين من اربعة مبعوثين ارسلتهم المستوطنات الصهيونية في فلسطين للقيام بعمليات التهجير اللاشرعية من دول اوروبا . وأصبح هؤلاء المبعوثون فيما بعد نواة مؤسسة الموساد الصهيونية التي اخذت على عاتقها ـ قبل الحرب العالمية الثانية وحتى اقامة دولة اسرائيل ـ مهمة احضار (الرواد) الى ارض اسرائيل بأساليب تسمى غير شرعية تمييزاً لها عن الهجرة التي اقرتها حكومة الانتداب البريطانية والتي كانت تمنح بموجبها شهادات رسمية تخول حامليها الدخول الى فلسطين والحصول على الجنسية الفلسطينية .

يقول الاخوان (كمشي) ان بينو (اسمه الحقيقي غينزبرغ) جاء بمهمة خاصة مبعوثا من قبل المستوطنات الى المانيا وكان عمله هو ما تريده المانيا النازية ، أي **تنظيم هجرة اليهود** الالمان الى فلسطين، ومشروعه هذا لا يمكن ان يتم تنفيذه على نطاق واسع الا بمساعدة الزعماء النازيين فقط . وفي لقاء في برلين ضم المشرف على الجستابو وثلاثة آخرين من مساعديه بالاضافة الى بينو ناقش الجميع امكانية المساعدة على زيادة الهجرة اللاشرعية الى فلسطين ضد ارادة الانتداب البريطاني ، وعندما غادر بينو مبنى الجستابو في طريقه الى المكتب الرئيسي للمنظمة الصهيونية كان مفعما بحرارة

الرضا، فقد وعدوه بدراسة طلبه في الحال. وبعد قليل أبلغوه انه بامكانه البقاء في المانيا وبوسعه ان يبدأ العمل على الفور، وبوسعه ان **ينتقي الطلائعيين اليهود الصغار الذين ارسلوا الى معسكرات الاعتقال. ولن يكون بحاجة لأن يجتاز الشريط الاحمر اللامتناهي للطرق** الرسمية كما بوسعه ان ينشىء **معسكرات تدريب خاصة للمهاجرين** الذين سيقومون بالهروب اللاشرعي الى فلسطين من خلال الحصار البريطاني.

وبعد فترة قصيرة وصل بارجيلاد Bargilad الى النمسا لنفس المهمة، وقد اكتشف بارجيلاد ان الطريق الوحيد لهجرة واسعة النطاق من النمسا يمر عبر قيادة الجستابو وأل (S.S) الصاعقة المسؤولة عن الشؤون اليهودية، والتي صودر من اجلها قصر البارون روتشلد الفخم، وكان المسؤول (المكتب المركزي للهجرة اليهودية) النقيب كارل ادولف آيخمان وهو اسم سيصبح سيء السمعة، ولم يكن بوسع بارجيلاد ان يعرف شيئا اكثر من انه يعجل بمستقبله المليء بالاحداث، لقد اوضح لزميله ـ آيخمان ـ انه يريد اذنا باقامة مخيمات لتدريب الطلائع، ليدرب الشباب على العمل في فلسطين وليرتب أمر هجرتهم بأسرع ما تسمح به الظروف، وهو لا يطلب عونا ماليا من الجستابو ـ لأن معظم من يبحث عنهم من الطلائعيين الذين لا يملكون شيئا ـ وانما كل طلبه هو ان لا يعرقل عمله(٧٧)، ويتابع الاخوان كمشي فيقولان: «لم يأت المبعوثان اليهوديان الى **المانيا النازية لانقاذ اليهود الألمان**، لم يكن ذلك من عملهم، كانت عيونهم مثبتة بصورة كاملة على فلسطين والانتداب البريطاني، وكانوا يبحثون عن **شبان وشابات يريدون الذهاب** الى فلسطين لانهم يريدون وطنا قوميا خاصا بهم وهم مستعدون لان يمهدوا الطريق ويكافحوا ويقاتلوا من أجله اذا اقتضت الضرورة. اذا كان اهتمام المبعوثين بأولئك اليهود الذين يريدون التوجه الى فلسطين كملاذ للالتجاء باعتباره افضل شيء ـ **بعد الولايات المتحدة والمملكة**

(٧٧) Jon and David Kamche , Pages 16 , 17 , 18 .



**المتحدة** ـ لقد وصلا مشغولي البال بحاجات اليهود في فلسطين، وكان اليهود الالمان خزانا طبيعيا يمكن ان يستمد منه المهاجرون لتعزيز الموقف الاساسي للطائفة اليهودية في فلسطين(٧٨).

**ما هو الهدف الذي رمى اليه النازيون**

هل هو التخلص من اليهود؟ ان كان كذلك فلا حاجة بهم لعقد هذه الصفقة وهم الذين يعملون على التخلص من مئات الالوف بالابادة والقتل لن يضايقهم التخلص من بضعة الوف من الشبان والشابات.

اذا يبقى امامنا احد امرين اثنين: اما انهم يريدون ان يحرجوا البريطانيين بارسال دفعات من اليهود ليبرزوا تناقضا بين الطرفين تستفيد منه المانيا، واما ان في نيتهم انشاء كيان يهودي مرتبط بهم بشكل أو بآخر. واما بالنسبة للفرضية الاولى فاننا سنلاحظ ان هذا لن يربك البريطانيين لانهم سيسهلون الطريق امامه. ولذلك تبقى الفرضية الثانية وهي الرغبة الاستعمارية في انشاء كيان يهودي في فلسطين تستطيع التعامل معه باسم جميع اليهود بالاضافة الى انه يستطيع ان يؤدي للامبريالية الالمانية دور الشرطي الذي يؤديه الان للامبريالية الامريكية. ولو عدنا الى مباحثات هيرتزل مع الامبراطور غليوم الثاني لوجدنا الاجابة الشافية على الموقف النازي الحالي من هذه القضية. حيث ان الرغبة المتبادلة في القيام بهذا الدور لم تكن على عهد النازية الهتلرية فحسب بل سبقت ذلك بكثير الى عهد الامبراطورية الالمانية في نهاية القرن الماضي وفي مطلع هذا القرن.

كذلك فان السياسة التي تبنتها اجهزة الجستابو وأل (S.S) لم تكن بمبادرات فردية ونزوات عاطفية، او اجتهادات شخصية وانما كانت حصيلة دراسات متواصلة قامت بها كل الاجهزة والوزارات المعنية في المانيا النازية وتوجها هتلر في النهاية بموقف

(٧٨) Ibid , Page 27

واضح وصريح ، حيث تم ايصال قراره عن طريق مكتب الشؤون الخارجية للحزب النازي الى جميع الوزارات المعنية، وقد قيل لها ان الفوهرر قد قرر من جديد ان يستمر بتشجيع الهجرة اليهودية من المانيا بجميع الوسائل الممكنة وأي سؤال يكون قد اثير حتى ذلك الحين حول ما اذا كانت مثل هذه الهجرة في رأي الفوهرر ستوجه الى فلسطين، أجيب عنه بالايجاب(٧٩) .

ان مبدأ الاختيار لم يعرف فقط اثناء الحرب العالمية الثانية وانما اليه دعا زعماء الحركة الصهيونية منذ بداية حكم هتلر في المانيا واستمر هذا منهجا وبرنامجا اعتمدته الحركة الصهيونية حتى هذه الايام ، ففي عام **١٩٣٣** نشرت صحيفة ( تشير نوفوفيستر الجيماينه تسايتونغ ) مقالا بعنوان : « مصير اليهود الالمان » برر فيها ( مانغريد رايفير ) زعيم الصهاينة البوكوفيين ، عضو الوكالة اليهودية ونائب صهيوني سابق في برلمان رومانيا . سوغ سياسة هتلر المعادية للسامية واعتبرها امرا طبيعيا . ثم وجه تهمة الى اليهود المندمجين عامة بقوله : « لقد ضاعت الروح اليهودية مما جعل المنصهرين يتحولون الى حفّارى قبور اليهودية » . ثم استخلص النتائج التالية كأسس للتعاون بين الصهيونية والنازية : ـ

أ ـ على اليهود ان يتحلوا بالصبر ويعتادوا على فكرة ان الجميع لن يستطيعوا النجاة وان علينا ان نفهم مجرى التاريخ ولو كان هذا الطريق مضرجا بالدم اليهودي .

ب ـ ان المختارين وحدهم سيستطيعون النجاة ، والمختارون هم من يؤمنون بالصهيونية . ان زعماء الصهيونية سيساعدون هؤلاء الناس وهم يتفاوضون الآن مع الفاشيين بشأن مغادرتهم المانيا حتى مع املاكهم » (٨٠) .

ليس ما قاله الزعيم الصهيوني في عام **١٩٣٣** بعيدا عن اقوال ديفيد بن

(٧٩) Ibid , Page 30

(٨٠) الصهيونية في خدمة الرجعية ـ برودسكي . ر . م . وشوليستر . يو . أ . ترجمة هاشم حمادى ، وزارة الثقافة ـ دمشق سنة ١٩٧٧ صفحة ١٠٣ ، ١٠٤ .



غوريون ، بل يعتبر مكملا له لأن أقوال الزعيمين وغيرهما من زعماء الحركة الصهيونية ، ثم افعال هذه الحركة لا تخرج عن مفهوم واحد ونسق واحد ، ففي **١٩٣٨/١٢/٢٧** بعث بن غوريون برسالة الى الهيئة التنفيذية الصهيونية قال فيها : « ان المشكلة اليهودية لم تعد الآن كما كانت عليه ، وان مصير اليهود في المانيا ليس نهاية بل بداية . **وستتعلم دول لا سامية اخرى من هتلر ، ان ملايين اليهود يواجهون الابادة** . وقد اكتسبت مشكلة اللاجئين ابعادا عالمية . **وتحاول بريطانيا** فصل قضية اللاجئين عن قضية فلسطين ، **ويساعدها في ذلك يهود غير صهيونيين** . ان مقاييس مشكلة اللاجئين تتطلب حلا اقليميا فوريا . واذا لم تستوعبهم فلسطين **فان بلدا اخر سيستوعبهم** . ان الصهيونية في خطر ، فجميع الحلول الاقليمية الاخرى ، التي ستتحقق حتما ستتطلب مبالغ طائلة من المال ، واذا كان اليهود سيختارون بين اللاجئين ، انقاذ اليهود من معسكرات الاعتقال ، ومساعدة متحف وطني في فلسطين فان كفة الرحمة سترجح . وستوضع كل طاقات الشعب في انقاذ اليهود من البلدان المختلفة ، وستحذف الصهيونية من جدول الاعمال . ليس عند الرأي العام العالمي في بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية فحسب ، بل عند الرأي العام اليهودي في أمكنة اخرى ايضا ، واذا سمحنا بالفصل بين مشكلة اللاجئين والمشكلة الفلسطينية فاننا نجازف بوجود الصهيونية » .

« **ان انقاذ الارواح اليهودية** من براثن هتلر يعتبر خطرا كامنا للصهيونية ، الا اذا جيء بهم الى فلسطين ، وعندما تضطر الصهيونية الى **الاختيار بين الشعب اليهودي والدولة اليهودية** فانها تفضل الاخيرة دون تردد » .

« **ان الصهيونية تقبل باللاسامية** على انها الموقف الطبيعي العادي للعالم غير اليهودي من اليهودي ، وهي لا تعتبرها ظاهرة مشوهة ومنحرفة ، فهي تستجيب ـ الصهيونية ـ للاسامية ولكنها لا تواجهها ولا تندد بها ولا تقاتل ضدها » (٨١) .

(٨١) Zonist Relations With Nazi Germany By : Faris Yahya ,Palestine Research Center Beirute Page 78

**ما هو موقف بريطانيا من الهجـرة اللاشرعية :**

حينما تلجأ الحركة الصهيونية للهجرة اللاشرعية يفترض ان تعارض الحكومة البريطانية المنتدبة على فلسطين هذا النوع من الهجرة بعد ان التزمت بالكتاب الابيض بتحديد العدد الذي ستسمح له بدخول فلسطين من خلال تراخيص تشرف عليها الوكالة اليهودية . ونظرا لظروف الحرب التي كانت على الابواب وحتى تهدىء من روع العرب اعلنت انها لن تسمح بغير ما تضمنه الكتاب الابيض وانها ستعيد أي يهودي يصل الى فلسطين بطريق غير شرعي مهما كانت الاسباب ومهما كانت الدوافع . وقد ادعت الحركة الصهيونية انها كانت تعاني بشكل لا يحتمل من عنت وصلف السلطات البريطانية التي كانت تعامل المهاجرين اللاشرعيين بمنتهى القسوة دون النظر الى الظروف التي احاطت برحيلهم ودون الأخذ بعين الاعتبار الاخطار المفزعة التي كانت تلاحقهم على ايدي النازيين واعوانهم .

وقد ووجهت سياسة الكتاب الابيض باعنف حملة اعلامية وسياسية شهدتها بريطانيا ، قاد هذه الحملة عدد من الزعماء البريطانيين والصحافة البريطانية ، وشنت زعامة الحركة الصهيونية ايضا هجوما شرسا على الحكومة البريطانية لنفس السبب . ولم تسلم هذه الحركة من نقد لجنة الانتداب الدائم التابعة لعصبة الامم ، اذ ان اعضاءها جميعهم اعربوا عن الرأي القائل بأن الكتاب الابيض لا يتفق والتفسير الذي اخذت به اللجنة دائما بما يعنيه الانتداب (٨٢) . وعندما لجأت الحركة الصهيونية للهجرة اللاشرعية - والتي كانت قد مارستها قبل الكتاب الابيض - حرص بعض المؤرخين على الاشارة بصورة واضحة الى الصعاب التي كانت تفتعلها الحكومة البريطانية في وجه المهاجرين سواء باعتقالهم أو بارسالهم الى حيث أتوا . ولا يخلو الامر احيانا من اطلاق النار على « المتسللين » وكثيرا ما سقط قتلى وجرحى برصاص الانكليز .

---

(٨٢) The history of Zionism , Walter Laqueur , New york ,1975 Page 528 .



لم تكن الحكومة البريطانية - صاحبة وعد بلفور - بحاجة الى ضغوط المعارضة والصحافة البريطانية من اجل ان تقدم التسهيلات اللازمة للهجرة اللاشرعية اليهودية الى فلسطين ، لأن إنشاء وطن قومي يهودي هو من صلب سياسة هذه الحكومة . وانشاء هذا الوطن لا يتم الا اذا وجد هناك « مواطنون » ولذلك فان انكلترا التي اعلنت في الكتاب الابيض انها ستحول فلسطين الى دولة مستقلة (٨٣) « رأت ان هذه الدولة المستقلة ستكون الغلبة السكانية فيها للعرب اذا لم يتزايد عدد السكان بشكل سريع دونما الاعتماد على سياسة الكتاب الابيض فحسب . ولذلك فانها عمدت بالاضافة الى التأشيرات الممنوحة بموجب هذا الكتاب عمدت الى صرف تأشيرات اخرى لكل من يصل الى تركيا . ففي صيف عام **١٩٤٣** وردت رسالة من اللورد غرانبورن وزير المستعمرات البريطانية آنذاك الى السفير البريطاني في تركيا ، وقد شددت هذه الرسالة على حقيقة انه لا ينبغي تشجيع اليهود في أوروبا المحتلة على الهرب ، وانه لا ينبغي ان ينظموا وان تقدم لهم المساعدة ، ولكن اذا نجح بعض اليهود على الرغم من كل هذا في الوصول الى الشواطىء التركية يجب ان يعطوا تأشيرات دخول الى فلسطين ، وهكذا كانت الحالة بالنسبة للكثير من الرسائل السرية والتعليمات الصادرة عن الانكليز في الشرق الاوسط . فقد وصلت هذه **التعليمات الجديدة الى مسامع الهاغاناه** . وهذا ما كانت تنتظره الموساد ، فالتقى في القرن الذهبي كل من أيهودا افريل الذي عمل سابقا في النمسا وليفي سوارتز القائد القديم لكثير من عمليات النقل غير الشرعية وبارجيلاد وقادم جديد الى عمل الموساد هو تيدي كوليك ( رئيس بلدية القدس حاليا ) . وبدأت عملية استانبول . انقسم عملهم الى جزئين : ارسال المبعوثين الى البلدان لتشجيع اليهود الباقين على تنظيم الحركات السرية والعمل على ابقاء حركة الطلائع الصهيونية على قيد الحياة ، وأما الجزء الآخر فكان لتنظيم استئناف الهجرة الى فلسطين (٨٤) .

---

(٨٣) القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها - محمد عزة دروزة - بيروت سنة **١٩٥٩** صفحة ٣٣٣ .

(٨٤) Jon and David Kimxhe , Page 66

لم تكتف الحكومة البريطانية بتقديم التسهيلات القانونية والتشريعية لهجرة اليهود الى فلسطين بل قدمت تسهيلات عملية ومساعدات قيمة من شأنها النهوض بالهجرة الى المستوى المطلوب والذي يجعل عدد اليهود في فلسطين مساويا أو يزيد عن عدد العرب فيها . لذلك فقد نفذ الجزء الاول من مهمة الاربعة من قبل اثنين وثلاثين « يهوديا فلسطينيا » ، كانوا في خريف عام ١٩٤٤ قد انزلوا بالمظلات بمساعدة البريطانيين خلف الخطوط النازية لاقامة الاتصال مع الجاليات اليهودية ، كانت الخطة منذ البداية فيها كثير من المجازفة ، فقد اختير مائتان وخمسون يهوديا فلسطينيا معظمهم اعضاء في المستوطنات للعمل خلف خطوط العدو ، وكان مائة وسبعون منهم قد انهوا برامج التدريب المظلي الخاصة بالجيش البريطاني ، وقد عرف عن مسؤولي المخابرات البريطانية حماسهم للمشروع ، لأن اليهود الفلسطينيين الذين اختيروا جميعا هم من المهاجرين السابقين من البلقان ومن بلدان أوروبية شرقية وسوف يهبطون في مناطق يعرفونها جيدا منذ الطفولة وبامكانهم ان يعتمدوا على مساعدة اليهود هناك ، وفي نفس الوقت ارسلت من قبل الموساد مجموعات يهودية اخرى لتساند المظليين وتحضر لاستئناف الهجرة [٨٥] .

كان هذا هو الجزء الاول من الخطة التي تم الاتفاق عليها بين عملاء الموساد الاربعة الذين اجتمعوا في استانبول ، أما الجزء الثاني فكان تنفيذه بأن اشترى ايهود افريل باخرة كبيرة هي ( توروس ) ذات حمولة الف طن وارسلها على جناح السرعة الى بارجيلاد للاستفادة القصوى من التسهيلات السوفييتية بعد احتلال قواتها لرومانيا ، ( حيث ان القوات السوفييتية لم تقم بأية عملية قمعية ضد اليهود ) . تسلم بارجيلاد الباخرة وكان مستعدا لشحنة تشمل تسعماية يهودي معظمهم من الشبان وهكذا غادرت الباخرة ومرت عبر المضائق دون اي تدخل من جهة الاتراك أو من جهة الانكليز [٨٦] ، وصلت الباخرة الى فلسطين بسلام دون اية مضايقات لانها

---

(٨٥) Ibid , Page 67 .

(٨٦) Ibid , Page 68 .



سفينة تحمل « شحنة شرعية » وان كانت خارج نطاق وحدود ( الكوته ) التي أقرها الكتاب الابيض ولكنها بأمر رسمي وشرعي من الحكومة البريطانية .

**ما هو موقف المانيا النازية من الهجرة اللاشرعية**

لا يستغرب ـ من حيث المبدأ ـ موقف بريطانيا التي ساعدت في تسهيل الهجرة اللاشرعية . ولكن الذي يمكن ان يستغرب هو موقف المانيا التي اعتمدت سياسة ابادة اليهود تلك النظرية القائمة على العنصرية التي تبنتها منذ نشأتها حتى سقوطها ، ان الذي يستغرب هو ان تكون المانيا صاحبة لدور أساسي وهام في تشجيع الهجرة اللاشرعية القائمة على الاختيار في نفس الوقت الذي اهدرت فيه دماء آلاف اليهود .

أشرنا في السابق الى الاتصالات التي تمت بين المبعوثين القادمين من فلسطين وآيخمان واخرين من زعماء الجستابو وال ( S.S ) لتسهيل مهمة ترحيل اليهود الى فلسطين ، وأشرنا الى ان تسهيلات وضعت بتصرف هؤلاء المبعوثين لتحقيق هذا الغرض ، وأزيلت من طريقهم العراقيل التي من شأنها ان تعطل جهودهم في هذا المضمار وعلى الرغم من كل الجهود لم تكن لترضى الجستابو عن هذا النشاط لأنه من وجهة نظرهم بطيء بما فيه الكفاية ، ولا بد من تنشيطه ، ولذلك اعطى بينو ضمانات لهم بأنه سينظم الهجرة الفورية لليهود ومن اجل ذلك منح سلطة التوقيع على اية شهادة من شأنها اطلاق سراح أي يهودي من معسكرات الاعتقال ، كذلك سمح له بتوسيع المزارع التدريبية التي اصبحت فيما بعد مراكز انطلاق للمهاجرين المرتقبين الى فلسطين ، ومع ذلك استدعى بينو الى مقر الجستابو الذين طالبوه بضرورة تهجير اربعمائة يهودي اسبوعيا من المانيا . وقدموا له متعهدا يونانيا ( نصفه الماني ) يملك سفنا على أساس ان يتولى هذه المهمة . وتبين فيما بعد أن آيخمان ومولر قد اسسا مكتبا للسفريات توجه من خلاله جميع نشاطات الهجرة التي يقوم بها المبعوثون اليهود وكان هدفهم من ذلك توسيع نطاق الهجرة وتسريعها ومن ثم الحصول أيضا على مبالغ ضخمة من المال مقابل كل شحنة تغادر المانيا .

وهكذا ، ففي آذار سنة **١٩٣٩** غادرت برلين الشحنة الاولى المكونة من مئتين وثمانين يهوديا المانيا من قبل بينو ، كانت وجهتهم الظاهرية مزارع التدريب في يوغسلافيا . ولتأمين سلامتهم وفرت لهم السلطات النازية قطارا خاصا . ورافق مسؤولون نازيون القطار حتى فيينا حيث انضمت الى هذه المجموعة شحنة أكبر من اليهود النمساويين التي نظمها بارجيلاد والذين رافقهم ايضا نمساويون نازيون (٨٧) .

وفي تموز سنة **١٩٣٩** نجح ( شماريا راميريث ) وهو مستوطن من اصل امريكي من مستوطنة في فلسطين اسمها ( بيت هاشيتا ) والمبعوث من قبل اتحاد المستوطنات والذي انضم فيما بعد الى الموساد ، نجح في ارسال أول شحنة غير شرعية من ساحل الأطلسي ، فقد ابحرت سفينة تابعة لـ ( S.S ) واسمها ( دورا ) من هولندا تقل اكثر من خمسماية يهودي الماني ووصلت بسلام الى فلسطين ، وعادت الى اوروبا في الوقت الذي نجحت مجموعة اخرى في الوصول الى شواطىء فلسطين وتضم مئة وعشرين يهوديا بولونيا ممن كانوا يعيشون في المانيا ، والذين تولى بينو أمر تهجيرهم عبر الحدود الالمانية البلجيكية امام عيون وحدات الفيهر ماخت ( حرس الحدود ) التي كانت تقوم بمناورات في تلك المنطقة (٨٨) .

الا ان الصفقة الكبرى التي تم عقدها بين بينو والسلطات النازية ، كانت تلك الصفقة التي تقضي بأن يسمح للسفن التي تنقل المهاجرين ان تصل الى مينائي ايمدن وهامبورغ ، وهكذا استطاع المبعوثون اليهود التخلص من صعوبة الحصول على التأشيرات من بلدان اخرى ـ كعمليات تمويه ـ ولذلك فقد تم استئجار اربع سفن من اجل اجلاء عشرة الاف يهودي طلائعي مرة واحدة (٨٩) .

(٨٧) Eichcann in Jerusalem , By : Hannah , Published Faber and Faber L . T . d . 1963 , Page 55 .

(٨٨) Jon and David Kimche , Page 39 .

(٨٩) Ibid , Page 43 .



وحينما تتحدث المصادر الصهيونية عن اليهود الطلائعيين يتبادر للذهن ان اولئك قد جندوا انفسهم أو جندوا من قبل المبعوثين للقيام بدور طلائعي صهيوني في فلسطين ، والحقيقة ان كثيرين منهم لم يكن هذا الأمر يعنيهم بقدر ما يعنيهم انقاذ انفسهم من جحيم النازية . وهذا ما يعترف به الصهيوني « أيديلمان » تعقيبا على مقولة ان الزيادة الكبيرة في عدد سكان فلسطين من اليهود تعود الى تأثير افكار الصهيونية بقوله : « ان الوحشية ارغمت اليهود على البحث عن مهرب يلوذون به ، وكانت فلسطين احدى البقاع التي لجأوا اليها . ولم يلتجؤوا اليها من اجل انشاء المركز القومي اليهودي هناك وانما لانقاذ حياتهم فقط » (٩٠) .

ولكن الوحشية التي واجهت اليهود وارغمتهم على ترك أوطانهم ، لم تصادف معارضة أو تذمرا من قبل الحركة الصهيونية بل على العكس من ذلك تماما ، اذ لم ير الصهاينة في توطيد اقدام النازية في المانيا كارثة قومية ، بل رأوا فيها فرصة سانحة لتحقيق نواياهم ، حيث التقى الطرفان ( الصهيوني والاشتراكيون القوميون ) ، عند شعار العرق والأمة فكان من المحتم ان يمتد بينهما جسر مشترك (٩١) .

كانت المنطلقات النظرية المتوافقة والمنسجمة بين النازيين والصهاينة ، وكذلك الاهداف والرغبات المشتركة في تحقيق عمل استعماري استيطاني في فلسطين وراء هذا التعاون الوثيق الذي شمل مختلف الجوانب . ولم تكن مظاهر هذا التعاون في هذه المرحلة ـ مرحلة الحرب العالمية الثانية ـ في أوروبا فقط ، ولم يكن من خلال مبعوثي الموساد وآيخمان ، وانما كان على الساحة الفلسطينية نفسها . فقد شرح هانس هينه (٩٢) في مقالات نشرتها له مجلة دير شبيغل كيف عملت المخابرات الالمانية على مساعدة النشاط الصهيوني في المانيا وكيف عمل الصهاينة على مساعدة النازيين

(٩٠) ايفانوف ، يوري صفحة ١٤٦ .

(٩١) مجلة دير شبيغل عدد ١٩٦٦/١٢/١٩ مقال هانس هينه .

(٩٢) المصدر السابق .

في تنفيذ اغراضهم ، وكان رئيس القسم اليهودي التابع للمخابرات الالمانية ( فون ميلدنشتاين ) يراقب عن كثب نشاط الصهاينة في البلاد ، وقد أمر بوضع خارطة تسجل عليها مواقع هذا النشاط في صفوف الالمان اليهود . وقد ابدت دائرة ميلد نشتاين اهتماما كبيرا بالنشاط الصهيوني في فلسطين ذاتها . وأولت الهاغاناه قدرا خاصا من الاهتمام اذ أقام ( ايهرت ) عميل المخابرات الالمانية الذي كان يعمل في مكتب المعلومات الفلسطينية أقام اتصالات وثيقة مع قادة تلك المنظمة العسكرية ، وكان من بين زعماء هذه المنظمة ( الهاغاناه ) آنذاك شخص يدعى ( فيفل بولكس ) يعمل تحت امرته جهاز أمن كامل . وفي ذات الوقت كان بولكس هذا رئيسا لشعبة المخابرات النازية في الشرق الاوسط . وعلى هذا لم تقتصر مهمة المخابرات الالمانية الهتلرية على المساهمة في اختيار كوادر الهاغاناه من بين افراد معسكرات الاعداء في المانيا بل كانت تمتلك ناصية الامور في تلك المنظمة وتشرف على نشاطها .

واذا اردنا ان نجري مقارنة بين العلاقة الصهيونية الالمانية أيام الامبراطور غليوم في نهاية القرن الماضي ومطلع هذا القرن وبين هذه العلاقة قبيل واثناء الحرب العالمية الثانية لم نجد فوارق تذكر ، بل وجدنا ان العلاقة الثانية انما هي امتداد للاولى ويحكم كلا العلاقتين نفس المنطلقات النظرية والاسس التطبيقية التي اتبعها الطرفان في المرحلتين . اذ نلاحظ ان هيرتزل ارسل مذكرة من نقاط خمس للامبراطور غليوم يوضح فيها حقيقة ما يمكن ان يكون عليه الوضع فيما لو تم تهجير اليهود الى فلسطين والفوائد التي ستجنيها تركيا والمانيا من وراء ذلك ، وهذه النقاط هي [٩٣] : -

١ - يمكن للحركة الصهيونية ان تخفف من خطر الاشتراكية في مختلف الاقطار حيث انها - الاشتراكية - كثيرا ما اثارت سخط واستياء اليهود الذين زودوا الاحزاب الثورية بالقادة والافكار .

٢ - ان تخفيض عدد اليهود في أوروبا قد يخفف العداء للسامية .

---

(٩٣) Germany , Turkey and Zionism , By . Issiah Friedman , University Press oxford , 1977 , Page 65 .



٣ - ستستفيد تركيا من تدفق عنصر نشط وذكي الى فلسطين ، والمبالغ الضخمة من النقود التي ستحقن اقتصادها . والزيادة في الميزان التجاري سيحيي اقتصادها .

٤ - سيجلب اليهود الحضارة والنظام الى ركن مهمل من الشرق .

٥ - ان اقامة خط حديدي من المتوسط الى الخليج الفارسي هو ضرورة أوروبية ، وسيشيد هذا الخط من قبل اليهود .

ان موضوع الاختيار الذي مارسته الصهيونية بلغ ذروته في مأساة الباخرتين ستروما التي انفجرت في مياه الدردنيل ، وباتريا التي انفجرت في مياه حيفا ، ومأساة هاتين الباخرتين بقيت محاطة بكثير من الضبابيات ولم يكشف النقاب عن حقيقة ما جرى لهما . وان تناقضت الروايات الا ان معظم هذه الروايات تعمدت ان تجانب الحقيقة وان تبتعد عنها حتى تنسى الاجيال ما حصل .

**باتريا وستروما**

لم تكن هاتان الباخرتان الوحيدتين اللتين حملتا باللاجئين اليهود ، أو بالمختارين من اليهود وغرقتا في البحر ، ولكن اشتهرت هاتان السفينتان لأن الدعاية الصهيونية استعملتهما مادة للتشهير بالانتداب البريطاني من جهة ولاقناع العالم بوجود مأساة حقيقية يتعرض لها اليهود بسبب سياسة الكتاب الابيض من جهة ، وكذلك للايحاء بأن الركاب اللاجئين فجروا الباخرتين بهما عندما حاولت حكومة الانتداب ان تعطل دخولهم الى فلسطين خارج اطار الكوتة التي منحت للوكالة اليهودية من جهة ثالثة . ولكن وراء مأساة هاتين الباخرتين قصص مثيرة تستحق الاهتمام ، وان لكل منهما جوانب لا زالت خفية سنحاول ان نجليها وان نوضح أسباب اخفائها معتمدين في هذا على مصادر مختلفة الميول والاتجاهات :

**أ . باتريا**

في مطلع شهر نوفمبر من عام ١٩٤٠ وصلت باخرتان هما ابيلوس والباسيفيك

الى ميناء حيفا وعليهما الف وسبعماية وواحد وسبعين مهاجرا شرعيا ، وعلى الرغم من كل الالام التي اصابتهم في رحلتهم القاسية هذه الى ان وصلوا شواطىء فلسطين ، لم يشكوا من كيفية الوصول لأن الخيار الوحيد امامهم كان البقاء في أوروبا حيث المذبحة تلاحقهم في كل مكان . ولكن الحكومة البريطانية نقلتهم الى ( باتريا ) الباخرة الفرنسية التي كانت راسية في حيفا ، تمهيدا لاعادتهم الى جزيرة موريشيوس . وبعد خمسة أيام من اجراء النقل أي في **١٩٤٠/١١/٢٥** وقع انفجار عنيف في السفينة ، وبعد اثنتي عشرة دقيقة غرقت وغرق معها مئتان وخمسون من المهاجرين ، وخمسون من بحارتها وشرطي فلسطيني . لم يتحدد ابدا منشأ الانفجار ولكنه عرف بأنه **من تدبير الهاغاناه لمنع أو على الأقل لتأخير الترحيل الى موريشيوس** . لقد اخطأ مدبرو هذا العمل التخريبي الحساب فيما يتعلق بعواقب الانفجار ولم يقدروا الغرق السريع للسفينة بما يرافقه من خسارة جسيمة في الارواح ، وفي داخل فلسطين وخارجها شاعت اسطورة بأن المهاجرين هم الذين فجروا سفينتهم ، وهذه الاسطورة تلهب خيال وغضب الطائفة اليهودية ضد الانتداب البريطاني . وما أن كان آخر الناجين من باتريا يصل الشاطىء حتى دخل الميناء قارب بخاري آخر من قوارب الدانوب هو اتلانتك وهو يحمل اكثر من الف وثمانماية لاجىء فنقلته السفن البريطانية البحرية الى الميناء (٩٤) .

كانت هذه رواية الاخوين كمشي حول السفينة باتريا ، الا ان هناك روايات اخرى كثيرة كل منها تناول الموضوع من زاوية مختلفة ، بحيث تكاد تضيع الحقيقة التي وقعت بالفعل واسبابها ومسبيبها .

البرت هيامسون (٩٥) سرد القصة مغفلا كشف النقاب عن الجهة التي تسببت في هذه المأساة مكتفيا باستعراض ما حصل .

(٩٤) Jon and David Kimche , Page 53 , 54 .

(٩٥) Palestine Under the Mandate , By : Albert . M Hyamson , U . S . A . 1975 Page 150 .



واذا حاولت بعض المصادر الصهيونية تشويه الحقيقة أو اخفاء جوانب كثيرة منها فان المصادر الرسمية الصهيونية لم تشر من قريب أو بعيد الى قصة هذه الباخرة . اذ نلاحظ ان كتاب المحرقة الذي ألفه عدد من الاكاديميين الاسرائيليين أغفل هذه القصة نهائيا (٩٦) ، كما ان ابا ايبان صاحب كتاب ( شعبي ) (٩٧) أغفل هذه القصة ايضا وتجاهلها بشكل كامل دون مجرد الاشارة الى هذه الباخرة ، بينما أشار الى غيرها مثل الباخرة ستروما التي سنأتي على ذكرها فيما بعد . ولكن ( والترلوكير ) (٩٨) مؤلف كتاب ( تاريخ الصهيونية ) ذكر حادث الباخرة باتريا باقتضاب شديد مشيرا الى ان هذا الحادث كان نتيجة الصدامات القائمة بين الهاغاناه وبين قوات الانتداب البريطاني .

ولكن الرواية الاكثر شمولا وتفصيلا تلك التي رواها الكاتب اليهودي الاسرائيلي شباتاي بيت تسفي في كتابه ( الحركة الصهيونية ) بعد رفض اوغندة (٩٩) ، حيث يقول : « ان التفاصيل الاساسية المتصلة بقضية السفينة باتريا قد عرفت منذ ان نشرت شهادة احد المنفذين لغرق السفينة ، لقد قامت السلطات البريطانية بحشد تسعمائة لاجىء يهودي معظمهم جاء من المانيا وتشيكوسلوفاكيا الذين وصلوا الى الشواطىء الفلسطينية على ظهر سفن هي ( ميلوس وباسيفيك واطلنطيك ) قامت السلطات البريطانية بحشد هؤلاء في حيفا في شهر نوفمبر سنة ١٩٤٠ على ظهر سفينة ركاب كبيرة ( باتريا ) على ان يتم بعد ذلك ارسالهم الى جزيرة موريشيوس الواقعة في المحيط الهندي . ومن اجل تأخير اقلاع السفينة من حيفا فقد تم بقرار من قبل موشيه شرتوك عضو الوكالة اليهودية تعيين شاؤول افيغور

(٩٦) المحرقة ( بالأنكليزية ) تأليف عدد من الأكاديميين الأسرائيليين ـ القدس سنة ١٩٧٤ صفحة ١١٩ ، ١٣١ .

(٩٧) Abba Eban , Page 303 - 321 .

(٩٨) Walter Laqueur , Page 541 .

(٩٩) الصهيونية بعد رفض اوغندة ـ صفحات ٣٠١ ـ ٣١٣ .

رئيس مؤسسة الهجرة منفذا للعملية ، والقى على عاتق طاقم من المهندسين تنفيذها بتحضير لغم يتم وضعه في السفينة من أجل تخريبها وألقيت على عاتق ( يتسحاق ساريه ) بصفته خبيرا بأعمال التخريب مهمة تحديد حجم اللغم ، والقيت على عاتق ( مائير ماردور ) الذي ينتمي الى وحدات الدفاع الخاصة مهمة وضع اللغم في السفينة وتسليمه الى ممثل هؤلاء القادمين الى فلسطين بطريقة غير مشروعة . انفجر اللغم خلال الدقائق الاولى التي تلت الساعة التاسعة من صباح يوم **٢٥** نوفمبر سنة **١٩٤٠** حيث انقلبت باتريا وغرقت في ارض الميناء على عمق (**٣٥**) قدما وبسبب ابعادها الطويلة فقد بقي قسم من جوانبها عائما فوق الماء ولكن القسم الاكبر من السفينة كان قد غرق خلال ١٠ ـ ١٥ دقيقة . نتج عن هذه المأساة خسارة (٢٦٧) شخصا .

وبدراسة البروتوكولات الصادرة عن الجلسة المركزية والهيئة السياسية التابعة لحزب المبام المنعقد بتاريخ **١٢** ديسمبر سنة **١٩٤٠** بحث موضوع اليهود المهاجرين اللاشرعيين ، كما بحث موضوع الأعتداء على محرر جريدة هابوعيل هاتسعير ، فقد تم في نهاية الأجتماع شجب العملية الا ان موضوع الأيدي التي وقفت وراء هذه العملية تباينت فيه الآراء واشير في الأجتماع الى ان الهاغاناه لا علاقة لها بالموضوع اطلاقا . ولكن شهادة يتسحق لوفيان ( محرر الصحيفة المشار اليها ) اكد ان هناك دلالات تشير الى ان للهاغاناه ضلعاً في الحادث المذكور . ولما تباينت الآراء شكلت لجنة تحقيق من كل من ( ي . برتس ) و ( أ . غلوب ) و ( أ . تسينرلنج ) لكي تتولى البحث في ظروف الحادث وتكشف عن هوية الجانب الذي يقف وراء العملية وخلال اجتماع جمعية الهستدروت الذي عقد في كفار سابا حصلت مشادة بين الأطراف المجتمعة وكان موقف الهاغاناه العمل على وقف الطرد بالقوة ، وهاجموا اولئك المعتدلين الذين يرفضون مثل هذا الموقف واتهموهم بالتواطؤ مع السلطة الحاقدة .



وفي **١٥** ديسمبر صدر تقرير عن أحد أعضاء لجنة التحقيق الياهو غولومب ينص على ما يلي : « نعم ان المهاجمين كليهما من الهاغاناه وقد اعترفا بالحادث وأعلنا أنهما تلقيا أمرا بتنفيذ الأوامر وعرف ان المسؤول هو ( دوري ) رئيس اركان الهاغاناه ، ثم قدم عضوان من لجنة التحقيق استقالتيهما وهما غولومب وبرتس . لأن نتائج التحقيق رفعت الى موشي شاريت وطويت الصفحة نهائيا » .

**ب ـ ستروما :**

ان مصير الباخرة باتريا والباخرة ستروما يكاد يكون واحداً . اذ ان كلا الباخرتين تعرضتا للأنفجار والى خسارة المهاجرين عليها . ولذلك وقبل ان نعلق على مصير الباخرة باتريا سنستعرض الأحداث التي وقعت للثانية ، لاننا سنجد في النهاية خيطا يربط بين الاثنتين من حيث البداية والمصير . ففي خريف عام **١٩٤٢** زحف القارب ستروما الى ميناء استانبول وهو يحمل ( **٧٦٩** ) مهاجرا .

رفض السماح للاجئين بالدخول الى فلسطين من قبل سلطات الأنتداب ، على الرغم من وجود الآف من تراخيص الهجرة غير المستعملة بموجب الكتاب الأبيض ، ولم تثمر شيئا شهران من المناشدة والأسترحام ، واخيرا في **١٩٤٢/٢/٢٣** شق ثمانون شرطياً تركياً طريقهم الى القارب ، وربطوها بسلك غليظ وقطروها بدون وقود او طعام او ماء ، عبر البسفور الى البحر الأسود ، ولم ينتبه احد الى ان القارب اصبح معلقا على بضعة الواح من الخشب ، فقد كان على الرغم من كل شيء مجرد قارب للاجئين ولكنه غرق بعد بضع ساعات من ذلك وغرق جميع الركاب الا واحدا فقط[١٠٠] .

لم يشر الأخوة كمشي في الرواية المبينة اعلاه الى اية تفصيلات عن اسباب الغرق ، ولم يشر الى الجهات التي تكمن وراء هذا الحادث ، بينما نلاحظ الكاتب

---

(١٠٠) Jon and David Kimche , Page 56 - 567 .

السوفيتي ( بوندا ريفسكي )[١٠١] . يوجه الأتهام الى المخابرات العسكرية الألمانية بانها السبب وراء اغراق السفينة . ويؤكد هذه الرواية ابا ايبان[١٠٢] مكتفياً بالأشارة الى احتمال ان زورقا المانيا اطلق على الباخرة طوربيدا ادى الى غرقها . ونرى ان المؤرخ ( وولتز لوكير )[١٠٣] لم يشر الى اغراق الباخرة بوساطة صاروخ في البحر الأسود ولم ينج من ركابها سوى اثنين . ولكنه ذكر نقطة هامة سبق ان اشار اليها الأخوان كمشي تتعلق بان تصاريح الهجرة لم يستهلك ثلثها ، اي ان الوكالة اليهودية كانت تمتلك خمسة وعشرين الف تصريح ، كذلك فان ابا ايبان[١٠٤] اثار نقطة جديدة عندما قال ان الأنكليز رفضوا السماح للمهاجرين بدخول فلسطين وبعد مفاوضات طويلة وافقت لندن على قبول الأطفال كحد ادنى ولكن الأتراك اعادوا السفينة الى البحر الأسود . ثم يتابع ايبان قوله انه بتاريخ ٢٤ شباط علم ان الباخرة انسابت في مياه البحر ومن المحتمل ان تكون قد نسفت من قبل غواصة المانية حيث لم ينج من ركابها سوى شخص واحد .

وحول اسباب غرق هذه السفينة وضع ( شبتاي بيت تسفي )[١٠٥] الكاتب الأسرائيلي عدة احتمالات نوردها هنا : ـ

١ ـ ترى بعض الأوساط المتطرفة التي تطرقت الى هذه المشكلة انه يبدو ان احد الزوارق الحربية الألمانية قد اطلق على السفينة طوربيداً فاغرقها . ولكن ، اتضح في الستينات ان هذه الفرضية ليست معقولة وذلك لأنه لم تكن في تلك الفترة اية غواصات او سفن حربية المانية في البحر الأسود .

---

(١٠١) بوندا ريفسكي صفحة ١٧٨ .

(١٠٢) Abba Eban , Page 319 .

(١٠٣) Walter Laqueur , Page 542

(١٠٤) Abba Eban , Page 319

(١٠٥) الصهيونية بعد رفض اوغندة صفحة ٣١٣ ، ٣١٤ .



٢ ـ ساد اعتقاد آخر بان احدى الغواصات الروسية هي التي اغرقت السفينة من غير قصد ويصبح معقولا ان الطوربيد المدمر قد اطلق من الشاطيء التركي .

٣ ـ في مجلس العموم البريطاني صرح اللورد غرينبورن بانه من المحتمل ان يكون الركاب انفسهم هم الذين قاموا بتفجير السفينة نظرا لحالة اليأس التي كانت تسودهم ، ولكن هذه الفرضية تحتاج الى دليل وتفتقر اليه .

٤ ـ ترجح بعض الأوساط قيام عمل تخريبي مقصود كالذي حصل في الباخرة باتريا . ورواية اخرى على لسان ( البرت . م . هيامسون )[١٠٦] في كتابه فلسطين تحت الأنتداب حيث يقول : « لقد اثر الحادث في نفوس غير اليهود ، وكان له نفس الوقع في نفوس اليهود في كل مكان ولا يمكن الجزم فيما اذا كان هذا المركب ( ستروما ) قد ارسل من قبل احدى حكومات العدو ام من قبل احدى المنظمات التي كانت تتفاخر بصراحة آنذاك بمآثرها في تهريب المهاجرين اللاشرعيين الى فلسطين .

اما الرواية الأخيرة فهي على لسان الكاتب الكندي ( روجيه ديلورم ) في كتابه ( اني اتهم )[١٠٧] يقول فيها : « يرى الكاتب الأنكليزي ( كريستوفر سايكس ) في كتابه ( Cross Roods to Israel ) ان الوكالة اليهودية لو فضلت العنصر البشري على عنصر الدعاوة واهدافها السياسية لما اغرقت الباخرة المذكورة . فقد آثر الصهاينة استغلال كارثة نسف السفينة وغرقها ليستدروا العطف العالمي على اليهود العازمين على الهجرة الى فلسطين .

وهكذا عبّر الصهاينة عما يكنوه من استخفاف وازدراء بحياة الأنسان » . ويتابع الكاتب الكندي فيقول : « وعندما علم موشيه شاريت بحقيقة ما جرى لهذه

---

(١٠٦) Albert Hyamson , Page 151 , 154 .

(١٠٧) اني اتهم ، روجيه ديلورم ، ترجمة نخلة كلاس ـ لجنة الدراسات الفلسطينية دمشق ١٩٧٩ ، صفحة ٢٥ وما بعدها .

الباخرة والتي سبقتها ( باتريا ) اكتفى بالقول انه امر لا بد منه ، في بعض الأحيان يضحي بعدد قليل من الأفراد في سبيل انقاذ عدد أكبر .

باتريا ، ستروما ، اسطورتان في تاريخ الهجرة اللاشرعية الصهيونية الى فلسطين ، تنسج عنهما القصص والأساطير تتناقلها الأجيال جيلا بعد جيل للتدليل على حب اليهود لأرض الميعاد ، وتعلقهم بها ، هذا الحب الذي وصل الى حد التضحية بانفسهم في سبيل فسح المجال لدخول الآخرين الى هذه البلاد ، ولكن الحقيقة التي حاولت اجهزة الحركة الصهيونية اخفاءها ، لم تختف الى الأبد وانما بدأت تتسرب ، فتتناقلها الروايات المختلفة التي نلاحظ هنا ان اصحابها ليسوا من اعداء الصهيونية او من اللاصهيونيين وانما من زعماء هذه الحركة وقادتها الأمر الذي يجعلنا نعتمد على دقة المعلومات والأستنتاجات التي نوردها هنا : ـ

١ ـ أكدت معظم المصادر ان الباخرة باتريا قد اغرقت من قبل الهاغاناه وان رئيس اركانها في ذلك الوقت كان متورطا في هذه العملية .

٢ ـ كان المقصود اغراق ركاب الباخرة لولا تدخل القدر الذي عطّل آلة التوقيت، التي وضعت في القنبلة ، اذ لو تم الأنفجار ليلا لما نجا فرد واحد منهم .

٣ ـ ان ايراد اسم عصابة الأرغون كان من قبيل التعمية والتمويه لأنه حينما انفضح أمر الحركة الصهيونية ولم تنطل اكاذيبها التي ادعتها بان المهاجرين فجروا انفسهم لجأت الى الصاق التهمة بحركة غير مسؤولة ولها طابع ارهابي بحيث تبقى صورة الهاغاناه ناصعة امام العالم كحركة مسؤولة متزنة تمثل اليهود كل اليهود في العالم .

يبقى سؤال أخير . وهو لماذا اغرقت هاتان الباخرتان دون غيرهما من عشرات البواخر التي كانت السلطات البريطانية تلقي عليها القبض وتحتجزها او تسفّرها مرة اخرى الى قبرص او موريشيوش ؟ يجيب على هذا السؤال الأخوان كمشي(١٠٨)

(١٠٨) Jon and David Kimche , Page 38 .



فيقولان : « ان آيخمان اختلف مع بارجيلاد ( رسول الموساد للهجرة اللاشرعية في فيينا ) فتولى العملية بنفسه ، ولكي ينفذ خطته الجديدة استخدم يهوديا نمساويا يدعى ستروفر (Strofer) وهو يهودي غير صهيوني وليست له في الواقع اية ارتباطات او مصالح ضيقة يهودية ، وكان نطاق صلاحياته بسيطا . كان على ستروفر ان يستأجر بالأموال التي توفرها الجالية اليهودية سفنا ويرسل الشحنات غير الشرعية الى فلسطين ، وليس عليه ان، يضيع وقته في اختيار الطلائعيين كما فعل بارجيلاد من قبله » .

كانت السفن التي اغرقت هي ثمرة اعمال ستروفر الذي كلفه بهذه المهمة آيخمان نفسه . ومما نلاحظه هنا انه لم يكن صهيونيا وبالتالي فانه لم يعمد الى الأختيار وانما عمد الى الأنقاذ فقط بحيث كان يشعر وبصرف النظر عن اهداف اولئك الذين اولوا اليه هذه المهمة ان واجبه الاساسي هو اخراج اليهود بصرف النظر عن انتماءاتهم او اعمارهم او صلاحياتهم للأهداف الأستعمارية .

ومثل هذا النوع من الأنقاذ لا يروق للحركة الصهيونية التي دأبت منذ البداية على مبدأ الأنتقاء مهملة من لا يقع اختيارها عليه لمصيره الأسود . ولذلك فقد كان تفجير هاتين الباخرتين ذا وقع سهل على نفوس اعضاء الحركة الصهيونية ما دامت ستستفيد اعلاما ودعاوة واثارة للرأي العام العالمي .

نستطيع الأن ان نقول ان هناك فرقا شاسعا وكبيرا بين الأنقاذ وبين الأختيار . . وهذا ما عبّر عنه بشكل واضح وصريح فلاديمير جابوتنسكي في كتابه ( الدولة اليهودية ) الصادر في العام ١٩٣٦ اذ كتب ما يلي : « تمتلك الصهيونية مفهومين اولهما مزيد من القومية وثانيهما مزيد من الأنسانية » . وتتلخص مهمة الصهيونية طبقا للمفهوم الأول بتأسيس الروعة والكمال والحداثة في فلسطين : يجب علينا ان نصدر « الشعب اليهودي في طبعة منقحة » ، « في غلاف براق » واذا ما

تابعنا الحديث بلغة الكتب الكلاسيكية فانه يمكننا القول « في مقتطفات مختارة » ومن اجل هذا الهدف يجب اتباع الحذر في الاصطفاء والأختيار الدقيق .

« فالصفوة » اليهودية المولودة في الخارج فقط هي التي يجب ان تأتي الى البلاد ، اما ما سيكون الأمر بالنسبة لمن بقي من اليهود في الخارج فان المنظرين اصحاب هذا التصور ، لا يحبون التحدث عن ذلك ومن منطق الأشياء فان الأمر واضح تماما ، فمن بقي من غير « الصفوة » يظل في المنفى مع احفاده وآفاقه الحياتية »(١٠٩).

(١٠٩) الصهيونية نظرية وممارسة ، مجموعة من الكتاب السوفييت ، دار الطليعة بيروت سنة ١٩٧٤ صفحة ١٩٤ ـ ١٩٥ .



## القسم الرابع
## اللاجئون اليهود

حتى نفهم حقيقة الموقف الذي اتخذته الحركة الصهيونية من مسألة اللاجئين اليهود قبيل واثناء الحرب العالمية الثانية لابد لنا ان نلقي الضوء على نقطتين اساسيتين تسهمان في توضيح هذا الموقف وتعطيانه ابعاده الصحيحة . تشكل النقطة الاولى لمحة تاريخية عن طبيعة ما سمي في القرون العشرة الماضية بالمسألة اليهودية ، هذه المسألة التي اختلف المؤرخون في اسبابها منطلقين في البحث من منطلقات مختلفة بحيث وصلوا الى نتائج مختلفة . واثارة المسألة اليهودية في مضمار الحديث عن مشكلة اللاجئين اليهود يعود الى ان هذه المسألة كانت اهم اسباب استمرار الشتات كجزء هام من حياة اليهود وذلك بسبب الاضطهاد المستمر الذي لحق بهم وجعلهم منبوذين في مجتمعات اوروبا ، الامر الذي جعل اللجوء أمرا يكاد يكون طبيعيا بالنسبة لهم لكثرة ما اعتادوا مثل هذه الحياة عبر القرون الطويلة .

والنقطة الثانية هي موقف حكومة اسرائيل من قضية اللاجئين اليهود . هذا الموقف الذي اتخذته هذه الحكومة بعد انتهاء المذبحة وانشاء الدولة وحتى هذا التاريخ ، لأن دوافع هذا الموقف واسبابه تشكلان استمرارية دوافع وأسباب موقف الحركة الصهيونية اثناء المذبحة . من هنا كان ضروريا ان نطلع على هاتين النقطتين بايجاز مقبول قبل ان نتعرف على موقف هذه الحركة في الفترة موضوع بحثنا .

### اولا . المسألة اليهودية

يجب ان لا نبحث عن سر اليهودي في دينه بل فلنبحث عن سر الدين في

اليهودي الواقعي[١١٠]، أي علينا ألا ننطلق من الدين لتفسير التاريخ اليهودي، بل على العكس علينا ان نفسر المحافظة على الدين انطلاقا من (اليهودي الواقعي) أي دور اليهودي الاقتصادي والاجتماعي، قبل ان ننطلق في الحديث حول هذه النقطة نشير الى اننا اعتمدنا المنهج المادي في تفسير المسألة اليهودية مهملين المنهج الميتافيزيقي الذي اعتمده كثير من مؤرخي الحركة الصهيونية في تفسير هذه المسألة ليثبتوا من خلالها نظرية التفوق العرقي الذي يتمتع به اليهود باعتبارهم شعبا مختارا ونقيا وان الدين هو الذي حافظ على بقائهم ووجودهم رغم كل أصناف الاضطهاد التي لحقت بهم منذ بابل وحتى الان.

لايمكن القول ان اليهود استمروا برغم تشتتهم بل انهم استمروا بسبب هذا التشتت، اذ لو لم يحصل الشتات قبل سقوط القدس ولو بقي اليهود في فلسطين، فلا داعي للاعتقاد بأن مصيرهم كان سيختلف عن مصير سائر الامم الاخرى القديمة، بل لاختلط اليهود كالرومان والاغريق والمصريين بالامم الاخرى، واعتنقوا دينها وعاداتها.

ان انهيار الامبراطورية الرومانية ادى الى انحلال جميع الشعوب، اما اليهود فقد تمكنوا من البقاء لانهم استمروا في حمل آثار التطور التجاري الذي امتاز به العالم القديم، وخلال القرون الاولى من العصور الوسطى كان اليهود في فرنسا تجارا بشكل رئيسي وفي الفلاندر حيث كانوا يقطنون منذ غزو النورمان حتى الحملة الصليبية الاولى كانت التجارة بين ايديهم، اما في أوروبا الشرقية ( بولونيا، روسيا الصغرى ) فقد كان اليهود يقصدون اوروبا الغربية لبيع الرقيق والفراء والملح وشراء الاقمشة. وفي مملكة الخزر، هذه المملكة التي تهود ملكها وهود الشعب فيما بعد ـ والشعب من المغول الذين يعيشون قرب بحر قزوين ـ فقد كان اليهود لا يمارسون

(١١٠) المفهوم العادي للمسألة اليهودية ـ ابراهام ليون ـ دار الطليعة ـ بيروت سنة ١٩٧٣ صفحة ١٧ ( قول لماركس ).



الا التجارة وكانت عاصمتهم ( ايتيل ) مركزا تجاريا مرموقا. وهكذا نستطيع ان نقول ان اليهود كانوا في هذه الحقبة من التاريخ يحظون بوضع ملائم واعتبروا جزءا من الطبقات العليا في المجتمع وكان وضعهم القانوني لا يختلف كثيرا عن وضع النبلاء والاحرار.

الا ان التاجر اليهودي لم يكن يوظف أمواله في الانتاج حيث انه لا يبتاع مواد أولية ولا يمول صناع الاقمشة مثلا، بل كان رأس ماله التجاري وسيطا بين منتوجات لا يسيطر عليها ولا يخلق ظروف انتاجها.

لقد كان الملوك والسادة الكبار في اوروبا يودعون عادة ايرادات الضرائب والرسومات عند اليهود، وهكذا اصبح اليهود يشغلون مراكز امناء الضرائب أو جباة الرسومات وكان وزراء مالية الملوك في بداية العصور الوسطى من اليهود في غالب الاحيان. ففي اسبانيا وحتى اواخر القرن الرابع عشر كان اليهود صيارفة كبارا وفي الوقت ذاته امناء ضرائب، وفي بولونيا فوّض الملوك الى اليهود الوظائف الهامة في ادارة املاكهم كذلك كانت لهم مهمة في اماكن اخرى من اوروبا وهي ضمان الايرادات التي كانت تفوق في اهميتها الاموال ومناجم الملح الملكية.

نلاحظ ان الاقتصاد الطبيعي كان بحاجة لليهود ما دام قائما ولكن حين انهار ذلك الاقتصاد بدأ اضطهاد اليهود وتعرض وضعهم للاخطار لحقبة طويلة من الزمن[١١١].

ان هذا الاضطهاد الذي يلحق باليهود ينتج عن الوضع الاقتصادي الذي كان عليه اليهود وينتج عنه هجرات ولجوء الى اماكن اخرى أكثر أمنا وفي نفس الوقت أكثر مواءمة مع ظروف اليهود التجارية والاقتصادية.

وعندما تطور الاقتصاد في أوروبا من **اقتصاد طبيعي** الى اقتصاد تبادلي أدى هذا

(١١١) المصدر السابق صفحات ٣٢، ٤٨، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤.

التحول الى سحق مراكز اليهود في التجارة . وحل تجار مسيحيون محترفون محل التجار اليهود الذين كانوا يستوردون التوابل الى اوروبا ويصدرون الرقيق فاصطدمت تلك الطبقة المحلية بعنف باليهود القابضين على مركز اقتصادي بطل زمانه موروث من مرحلة سابقة للتطور الاقتصادي . وقد رافق اقصاء اليهود عن دورهم صراع وحشي قامت به وقادته طبقة التجار المحليين . ومنحت الحروب الصليبية ـ التي كانت تعبر عن ارادة المدن التجارية في شق طريقها نحو الشرق ـ الفرصة لهذه المدن للقيام باضطهادات عنيفة ومذابح ضد اليهود . وابتداء من ذلك العهد تعرض وضع اليهود في مدن اوروبا الغربية للخطر الشديد . لكن هذا التحول لم ينه وضع اليهودي وانما استمر وكيلا لاملاك السادة . الا ان طبيعة عمله تحولت وانتقل من التجارة الى العمل الربوي بعد ان كف عن تقديم البضائع للسيد اكتفى باقراضه المال واذا كانت كلمة يهودي مرادفة لكلمة تاجر في المرحلة السابقة فقد بدأت تقترن بكلمة ( مراب ) في هذه المرحلة (١١٢) .

لقد كانت القرون الثاني والثالث والرابع عشر عهد تطور الربا اليهودي في كل انحاء أوروبا الغربية وفي قسم من اوروبا الوسطى الا ان التطور الاقتصادي أدى الى انهياره السريع الأمر الذي عجل بالطرد النهائي لليهود في نهاية القرن الثالث عشر من انكلترا وفي نهاية القرن الرابع عشر من فرنسا ، وفي نهاية القرن الخامس عشر من اسبانيا . وتعكس هذه التواريخ وتيرة التطور الاقتصادي في تلك البلدان ، اذ ان القرن الثالث عشر هو قرن الازدهار الاقتصادي في انكلترا وفي القرن الخامس عشر اثرت الممالك الاسبانية ونمت تجارتها (١١٣) .

وهكذا طرد اليهود من جميع البلدان الغربية الى البلدان الشرقية ، لقد كانت الهجرة من البلدان المتطورة الى البلدان التي لا زالت تتعاطى الاقتصاد البضاعي ،

(١١٢) الصهيونية والصراع الطبقي ـ د . صادق جلال العظم ـ دار العودة بيروت سنة ١٩٧٥ صفحة ٢١ .

(١١٣) ابراهام ليون صفحة ٦٥ .



فأصبحت مثلا بولونيا الرازحة تحت نير الاقطاعية الملجأ الرئيسي لليهود المطرودين من كل مكان ، ونستطيع القول ان الاقتصاد البضاعي طرد اليهود من مراكزهم الاخيرة واصبح اليهودي ( صيرفي النبلاء ) مجهولا تماما في اوروبا الغربية حوالي اواخر القرون الوسطى وتمكنت بعض المجموعات اليهودية الصغيرة هنا وهناك من التشبث ببعض الوظائف الاقتصادية الملحة واصبحت المصارف اليهودية بيوتا للرهونات يقترض منها البؤساء ، انه الانهيار التام ، فقد اصبح اليهودي مرابيا صغيرا يقرض فقراء المدن والارياف مقابل رهونات منخفضة القيمة ، لكن ماذا يعمل بالاشياء المرهونة التي لا تسترد . لا بد من بيعها . وهكذا اصبح اليهودي جوالا يبيع السلع وبائعا للرثاث ، لقد ولّت مرحلة الازدهار القديمة تماما ومنذ ذلك الوقت بدأت عصور الغيتو والاضطهادات القبيحة والاذلال (١١٤) .

ان الاوضاع الاقتصادية والتجارية التي كان يمارسها اليهود جعلتهم عرضة لاضطهاد كل طبقات الشعب ، وعلى الرغم من انه لم يكن هناك اتفاق مسبق بين هذه الطبقات الا ان مصالحها التي تضررت بشكل أو بآخر من قبل وضع اليهود الاقتصادي جعل هذه الطبقات تقف موقف المعادي لهم بأوقات مختلفة وبأساليب مختلفة .

ان ما أردنا ان نقوله هنا وما قصدنا اليه هو ان الهجرات اليهودية وما سمي بالمسألة اليهودية كانت دوافعها الاساسية اسباب اقتصادية محضة لا علاقة لها بالدين أو القومية . وفي الوقت الذي كانت تتوفر فيه علاقات اقتصادية طبيعية يميل اليهود نحو الاندماج كما يحصل الآن في امريكا الشمالية وامريكا الجنوبية حيث تبلغ نسبة الاندماج في الاخيرة حوالي ٦٠٪ وكما حصل في الماضي عندما كان عدد اليهود في الاسكندرية ايام الامبراطورية الرومانية حوالي مليون يهودي استطاعوا الاندماج تلقائيا مع أهل هذه المدينة حتى ان الكتب الدينية العبرية ترجمت في ذلك الحين الى اللغة الاغريقية التي كانت سائدة .

(١١٤) المصدر السابق صفحة ٦٦ ـ ٦٧ .

ونخلص الى القول ان اليهود لم يستمروا على رغم تشتتهم بل استمروا بسبب التشتت . ونعود الى قول ماركس في المسألة اليهودية « يجب ان لا نبحث عن سر اليهودي في دينه وانما نبحث عن سر الدين في **اليهودي الواقعي** » .

**ثانيا : اللاجئون اليهود بعد الحرب وقيام اسرائيل**

ظن كثيرون من رجال السياسة الصهاينة وغير الصهاينة انه بقيام دولة اسرائيل سينتهي عهد الشتات اليهودي الى الابد . اذ ان اليهود جميعا سيجمعون حوائجهم ويتجهون نحو ( ارض الميعاد ) .

عند قيام دولة اسرائيل كان قد مضى ثلاث سنوات تقريبا على انتهاء الحرب العالمية الثانية بسقوط الرايخ والنظام النازي في المانيا والفاشستي في ايطاليا . في هذا الوقت بالذات لم يكن عدد سكان اسرائيل ليزيد على ستماية وخمسين الف يهودي . كان يفترض ان جميع اليهود الناجين من جحيم الحرب العالمية سيعربون عن رغبتهم الاكيدة في الرحيل الى فلسطين للمشاركة في اقامة دولة اسرائيل بصرف النظر عن الطريقة التي سيدخلون بها سواء أكانت شرعية أم غير شرعية . الا ان أمرا من هذا لم يحصل حيث ان اليهود لم يكونوا معنيين بالصهيونية أو بدولة اسرائيل على الرغم من كل ما اصابهم خلال الحرب الثانية ، وعلى الرغم من المحاولات المستميتة والسعي الحثيث من قبل زعماء الصهيونية لاجراء تطابق بين حركتهم وافكارهم من جهة وبين اليهودية من جهة اخرى بصرف النظر عما كان يراه اتباع الدين اليهودي من تزييف [١١٥] .

ان هذا التجاهل الكامل من قبل لاجئي اليهود لدولة اسرائيل جعل زعماءها يلجأون الى كل وسائل القمع والارهاب لاجبار هؤلاء على الرحيل الى فلسطين ( اسرائيل ) مهما كان الثمن . لذلك نلاحظ ان الحاخام كلاوزنر [١١٦] يقترح - في

(١١٥) ايفانوف . يوري صفحة ٧٩ .

(١١٦) المصدر السابق صفحة ١٦٩ .



معرض البحث لانقاذ يهود اوروبا - في احدى محاضراته بأنه على المجلس اليهودي الامريكي الذي يسيطر فيه الصهاينة لتوجيه سيل ( المعزولين ) من المعتقلات الى فلسطين ، ان توصى الهاغاناه ، ببث **الرعب** ، بين صفوف اليهود بالاضافة الى **وقف عمليات تزويدهم** بالمواد الغذائية .

وفي المنطقة التي احتلتها امريكا في المانيا كان هناك عام **١٩٤٨** حوالي مئة الف يهودي تقدم اكثر من نصفهم بطلبات هجرة الى الولايات المتحدة وحدها بينما طلب اغلبية الباقين الذهاب الى اي مكان في العالم ما عدا اسرائيل . الا ان الصهيونية ضغطت عليهم وحالت دون هجرتهم الى العالم الجديد لكي تضعهم امام الامر الواقع وتجبرهم على الذهاب الى اسرائيل .

وعندما كانت تقوم محاولات في الولايات المتحدة الامريكية يقود هذه المحاولات رجال من الكونغرس أو غيرهم لقبول مهاجرين يهود كانت تعترض ذلك المنظمات الصهيونية ، بل ان الوكالة اليهودية كانت تمارس كل وسائل الضغط حتى تجبر هؤلاء على الرحيل الى اسرائيل . وهذا ما تضمنه تقرير مندوب هذه الوكالة في اوروبا كلاوزنر ( Klavzner ) حيث قال : « اعتقد ان هؤلاء اليهود يجب ان يجبروا بالقوة على الذهاب الى اسرائيل ، واقترح ان تستعمل معهم نفس الطريقة التي استعملت في اجلاء يهود بولندا . وأرى ان لا تقوم الوكالة بتسهيل سفرهم الى اسرائيل الا بعد جعل معيشتهم في المعسكرات التي اقاموا فيها شاقة لا تطاق » [١١٧] .

وحتى تصبح حياتهم لا تطاق يذكر احد زعماء العمال [١١٨] في الولايات المتحدة لويس نلسون ( Louis Nelson ) انه في عام **١٩٤٨** قامت هيئات الاغاثة اليهودية التي كانت مسؤولة عن ادارة معسكرات اللاجئين اليهود بحملة واسعة

(١١٧) الهجرة اليهودية الى فلسطين - وليم فهمي - الهيئة العامة المصرية للكتاب سنة ١٩٧٤ صفحة ١١٧ .

(١١٨) المصدر السابق صفحة ١١٩ .

لارغامهم على اعتناق الصهيونية وقبولها وذلك بالضغط عليهم كحرمانهم مثلا من حصص الطعام اليومية والطرد من العمل وتخريب الالات التي ارسلها الامريكيون لتدريبهم على مهارات نافعة ثم الطرد من المعسكرات في حالة المعارضة السياسية ، يضاف الى كل هذا نشر الاكاذيب والدعايات عن قصص تدور حول المذابح التي يتعرض لها اليهود في الولايات المتحدة الامريكية .

كان بن غوريون اكثر وضوحا في تحديد السياسة الصهيونية تجاه اليهود المقيمين في الشتات والذين رغم كل صنوف الاضطهاد يرفضون المجيء الى صهيون لأنهم على الرغم من كل ما اصابهم يعتبرون انفسهم مواطنين في الدول التي يقيمون على أراضيها أو ولدوا فيها ولسان حالهم هو ما قاله يهودي الماني في نهاية القرن الماضي : « ما من بلد يمكن ان ننذر انفسنا له ، أي وطن آخر يمكن ان يدعونا للدفاع عنه ؟ نحن لم نلجأ الى المانيا بل فيها ولدنا . ولهذا فاما ان نكون المانا واما لا هوية لنا ، ثمة شيء واحد مقدس في القومية ذلكم هو الدم الذي أريق في النضال المشترك من اجل حرية هذا الوطن » (١١٩) . لقد كانت تلك الكلمات تحديا للاساميين البروسيين ولم تعكس في نهاية القرن الماضي نفسية الاغلبية الساحقة من اليهود فحسب وانما كانت جزءاً لا يتجزأ من طريقة تفكيرهم .

نقول ان بن غوريون كان اكثر وضوحا حينما تحدث عن الطريقة التي يؤمن بها لنقل اليهود الى ( اسرائيل ) ، لقد قال بمعرض حديثه عن اليهود الذين يرفضون المجيء الى فلسطين : « لو كانت لدي الامكانات كما لدى الارادة فانني لا أخجل من الاعتراف بأنني سأختار بضعة عشرات من الشباب الاكفاء والاذكياء والذين وهبوا حياتهم وجندوا انفسهم لمبادئهم ، والذين يتحرقون رغبة وشوقا لمساعدة اليهود . ولارسلت هؤلاء الشباب الى الاماكن التي اندمج فيها اليهود وسيكون عمل هؤلاء الشباب هو ان يموهوا انفسهم ويظهروا بمظهر اللايهودية ويرفعون شعارات لا سامية

(١١٩) ايفانوف ، يوري صفحة ٧١ .



مثل « ايها اليهود اذهبوا الى فلسطين » . انني مقتنع انه من حيث النتيجة سيكون ذلك افضل عشرات المرات من الوف البعثات التبشيرية التي تقوم بالقاء المواعظ التي لا فائدة منها . وسيندفع بعد ذلك اليهود الى ( ارض اسرائيل ) (١٢٠) .

نفس الاسلوب الذي دعا اليه هرتزل والذي طبقه اتباعه بالتعاون مع الدول الكبرى . وها هو يقول في خطاب القاه امام الجمعية الملكية البريطانية عام ١٩٠٢ جوابا على سؤال حول كيفية ارغام اليهود على الهجرة من بلدانهم وتأسيس دولة اليهود ، فقال : اللاساميون .

ويعقّب على ذلك بمذكراته : « في باريس اتسعت آفاق نظري الى اللاسامية التي بدأت افهمها الآن وأغفر لها كل شيء . وأكثر من هذا فانني اعترف بتفاهة وعدم جدوى النضال ضدها . وعلاوة على ذلك فان هذه القوة الجبارة المتمثلة فيها لن تجلب الضرر لليهود بل اعتبرها حركة مفيدة لتطور الشخصية اليهودية » (١٢١) .

ولذلك بعد ان انتهت الحرب العالمية الثانية اتسع نشاط الصهاينة تجوالا بين معسكرات اللاجئين اليهود بحثا عن البضاعة المفضلة مستغلين أوضاعهم التعسة التي يعيشونها والرعب الذي أصابهم من النازية والممارسات السيئة التي لحقت بهم ، هذه الاوضاع التي جعلت اليهود يكفرون بالعلاقات الانسانية بين شعوب الارض ، ويفترض انهم وصلوا الى القناعة التي تجعلهم ينادون بدولة يهودية في أي مكان في العالم حتى لا تتكرر مأساتهم مرة اخرى وحتى يكونوا بمأمن من المخاوف والاخطار التي عاشوها قرونا عديدة .

رغم كل هذا فان عملاء الصهيونية الذين جاسوا خلال معسكرات الاعتقال كانوا يجبرون الشباب والاطفال بكل الوسائل لترحيلهم الى فلسطين ، بهذا الصدد يقول لينتال : « منذ البداية كانت الهجرة الى فلسطين تروج بوسائل مصطنعة حتى

(١٢٠) Zionism Is It Racist , By : Faris Globb , PublishingHouse for Political Receazches and Documention , Beirute 1975 , Page 39 .

اليهود المشردين في اوروبا كانوا ( يقنعون ) بالقوة بان اسرائيل هي البلد الوحيد الذي يمكن فيه اعادة بناء حياتهم ، ومع ذلك فان ( ٥٥ ) الفا من مجموع مئة الف مشرد يهودي في القطاع الامريكي من المانيا قدموا طلبات هجرة الى الولايات المتحدة في خريف عام ١٩٤٧ ، واكثرية هؤلاء اعربوا تحديدا بأن اي مكان بالنسبة لهم يأتي من حيث الافضلية قبل فلسطين » . ويؤكد لنتال ايضا : « انه لمن المعروف ان شاحنات الوكالة اليهودية كانت تخطف الاولاد والشباب حينما كانت تمر في معسكرات المشردين وترسلهم الى فرنسا ومنها الى اسرائيل بطريقة غريبة » (١٢٢) .

**ثالثا : اللاجئون اليهود اثناء المذبحة**

قبل حلول النازية وبعدها كانت الاغلبية الساحقة من اليهود ترفض نداء الصهيونية حتى في شرق اوروبا حيث كانوا يشكلون تجمعات كبيرة متماسكة يتحدثون لغتهم الخاصة ويطورون ثقافتهم وأدبهم . كانوا يعتبرون انفسهم مواطنين للبلدان التي يعيشون فيها وليس لذلك الوطن اليهودي في فلسطين ، ان نصف يهود اوروبا الشرقية وخصوصا حركتهم العمالية الضخمة النشطة كانت تنظر الى فكرة هذا الوطن بعداء واع لا ينكر . كانت الصهيونية هناك هي الصوفية الوطنية للطبقة الوسطى اليهودية والتي لم تكن مستعدة ان تتخلى عن اوضاعها المستقرة وتقتلع نفسها من اجل الحلم الصهيوني . ومع ذلك فقد شكل يهود شرق اوروبا الخزان الرئيسي الذي حصلت منه الصهيونية على دعمها .

اما في سائر البقاع الاخرى فقد كانت الاستجابة للصهيونية اضعف . والحقيقة ان عداء يهود اوروبا أو فتورهم نحو فكرة الوطن اليهودي كان ينبع من ثقتهم بالامم التي كانوا يعيشون بينها ومن ثقتهم العميقة بالتقاليد والتطلعات الانسانية للحضارة الاوروبية . وبالمقابل كانت الصهيونية ترى ان لا مستقبل لليهود

(١٢١) ايفانون ، يوري ـ صفحة ٨٥ ، ٨٦ .

(١٢٢) ما ثمن اسرائيل ؟ الفرد لنتال ـ مؤسسة الدراسات الفلسطينية بيروت سن ١٩٦٩ صفحة ١٩٣ ، ١٩٧ .



في اوروبا . لقد كانت التعبير السياسي عن عدم ثقة اليهودي بالعالم غير اليهودي .

لقد جاءت دولة اسرائيل الى الوجود ليس كتحقيق سام لدورة التأريخ وانما كعمل من اعمال اليأس اليهودي وكشاهد على اكثر مراحل التاريخ الاوروبي كآبة « مرحلة من الجنون والتدهور » (١٢٣) .

في هذه المرحلة واجه اليهود عداء النازية وصدود الصهيونية وتجاهل الديمقراطيات الغربية . فلقد كان هم النازية التخلص من اليهود حيثما وطأت اقدامهم مع مراعاة الصهاينة من بين اليهود الذين كان لهم وضع خاص وعناية خاصة . وكان هم الصهاينة البحث عن اترابهم الراغبين بالهجرة الى فلسطين ضمن برنامج اختيار واصطفاء معينين يخضع المصطفى من بين اليهود لمعايير دقيقة يتم على اثرها اختياره . اما الديمقراطيات الغربية فكان موقفها اللامبالاة التامة بمصير اليهود عامة .

ان ما نحن بصدده هنا هو تحديد معالم الموقف الصهيوني من قضية اللاجئين اليهود التي بدأت اخبارها تصل الى اسماع العالم منذ ان صعد هتلر الى سدة الحكم . وفي نفس الوقت بدأت السيول العارمة من هؤلاء اللاجئين تجتاز حدود المانيا النازية وتوابعها في اتجاهات مختلفة من العالم تلمسا للنجاة وبحثا عن الامان والاستقرار في هذا الوقت كانت الصهيونية تتخذ في سياستها تجاه اليهود اللاجئين المنحى التالي : ـ

١ ـ مطالبة بريطانيا بفتح ابواب فلسطين امام اللاجئين ، وبمعنى ادق امام من يرغب من اللاجئين متجاوزة بذلك الارقام التي سمحت بدخولها دولة الانتداب مما جعل المنظمات الصهيونية تلجأ الى اسلوب الهجرة غير المشروعة .

٢ ـ حث الدول الديمقراطية الغربية التي كانت للحركة الصهيونية أوثق العلاقات معها بعدم قبول اللاجئين اليهود على أراضيها بشكل مؤقت أو بشكل

(١٢٣) دراسات في المسألة اليهودية ـ اسحاق دويتشر ـ دار الحقيقة بيروت سنة ١٩٧١ صفحة ١١٧ ، ١١٨ .

دائم . وقد يبدو هذا الامر غير منطقي ولكن الصهيونية كانت منطقية مع نفسها وايديولوجيتها وفكرها حينما اتخذت هذه السياسة وطبقتها بكل قسوة ، وفي ذهن زعمائها الامران التاليان : ـ

أ ـ ان قبول ( الديمقراطيات الغربية ) للاجئين اليهود يفقد الدعوة الصهيونية مضمونها ويفرغها من محتواها باعتبارها حركة تحرر وطني يهودي تمثل جميع اليهود في العالم ( التواقين الى العودة الى أرض الوطن ) أرض الميعاد . وفي نفس الوقت فان هذه السياسة ستجرف معها ايضا جميع اليهود الصهاينة أو الصالحين للهجرة الى فلسطين لتحرفهم عن هدفها الأساسي فينتقلون الى دول اخرى وهذا يعني ان الصهيونية ستخسر الطاقة البشرية التي تبحث عنها وهي بحاجة اليها . وانها ستخسر الموارد المالية التي ستحصل عليها باسم استيطان فلسطين كملجأ لفقراء اليهود .

ب ـ لذلك وحيث ان أبواب فلسطين مغلقة بوجه هذه السيول العارمة ، وفلسطين في نفس الوقت غير قابلة لاستيعابهم ـ لو افترضنا ان الأبواب مفتوحة لهم ـ وحيث أن ابواب الديمقراطيات الغربية مقفلة ايضا بوجه هذه السيول بسبب الموقف الصهيوني وموقف هذه الدول ، اذا فان النتيجة الحتمية هي ابادة هؤلاء جميعا وهذا بحد ذاته مفيد لأنه سيتيح لزعماء الصهيونية ان يجلسوا بعد الحرب على قدم المساواة مع الدول التي قدمت ( التضحيات ) للمطالبة بنصيبهم من غنائمها وسيكون لها الحق بالمطالبة بالتعويضات وبالوطن القومي ثمناً للدماء التي اريقت ابان الحرب .

ويؤكد ناحوم جولدمان عند ما يقول : « ان الصهيونية في هذا العصر الذي هو واحد من اسوأ عصور التاريخ تعتبر أحد المثل العليا النادرة التي قام بها المتطوعون لانشاء حياة جديدة ، ومع ذلك فانني لست متأكدا بأن الدولة اليهودية لولا اوشفتز كانت ستوجد اليوم »(١٢٤) .

(١٢٤) جولدمان ، ناحوم ، صفحة ٧٢ .



ان غولدمان يعترف هنا بأن المذابح اليهودية هي السبب الأساسي لقيام دولة اسرائيل وهي الثمن الذي قدمه الغرب للصهيونية ، وهو ما توقعته الصهيونية وخططت له ونفذته . وهي لم تكتف بهذا بل وقبل بدء الحل النهائي الذي اعلنه هتلر نلاحظ ان الصهيونية كانت تخطط ايضا للمطالبة بالتعويضات من المانيا بعد انتهاء الحرب واقامة دولة اسرائيل ، فها هو غولدمان مرة اخرى يقول : « اذا كان لدولة اسرائيل ان تتشكل ـ وهذا ما كنا نأمله ـ فان الألمان سيدفعون تعويضات لمساعدة الناجين على الاستقرار فيها » . ثم يتابع فيقول : « وأول مرة أعرب فيها عن هذه الفكرة كانت اثناء الحرب ، خلال مؤتمر بلتمور »(١٢٥) .

اقامة الدولة والتعويضات الألمانية امران يخطط لهما اثناء الحرب ثمناً للدماء اليهودية ، ان الأمر كان مدبراً بشكل محكم تضافرت من أجله كل الجهود ، جهود الخصوم والاصدقاء والأعداء . الصهاينة ، والنازيون ، والحلفاء . والسؤال الذي نطرحه على انفسنا هو كيف نثبت دور الصهاينة من خلال مواقفهم وممارساتهم وتصرفاتهم ، وما هي نظرتهم للمحاولات الجادة او غير الجادة التي قام بها الحلفاء او غيرهم لانقاذ اللاجئين اليهود ؟

الاجابة تتطلب منا بالدرجة الأولى استعراض المؤتمرات المختلفة التي عقدت منذ عام **١٩٣٨** وحتى نهاية الحرب والتي كان هدفها المعلن هو البحث عن افضل الوسائل لانقاذ اليهود والجهات التي أعدت لهذه المؤتمرات التي حضرته والتي شاركت فيه .

**١ ـ مؤتمر ايفيان .**

دعا الرئيس روزفلت ، رئيس الولايات المتحدة لعقد مؤتمر يبحث قضية اللاجئين الأوروبيين التي بدأت تتفاقم وتأخذ حيزا واسعا في الرأي العام العالمي . عقد المؤتمر بتاريخ **١٩٣٨/٧/٦** في ( ايفيان ـ ليس ـ بنز ) على الشاطىء الفرنسي

(١٢٥) المصدر السابق صفحة ١٠٧ .

من بحيرة جنيف . حضر المؤتمر بالاضافة الى الولايات المتحدة ممثلو ٣١ دولة من أوروبا وامريكا واستراليا . وشارك فيه المفوض الأعلى لشؤون اللاجئين في عصبة الأمم[١٢٦] . وشاركت في هذا المؤتمر الاتحادات المهنية والكنيسة الكاثوليكية والبروتستانتية والكويكرز وممثلو المنظمة الصهيونية العالمية والمؤتمر اليهودي العالمي[١٢٧] . ولقد حصر المؤتمر جهوده بمد يد العون للاجئين من المانيا والنمسا وأصدر بيانا يحدد اهدافه على النحو التالي : ـ

١ ـ القيام بمفاوضات مع الحكومة الألمانية لتحسين اجراءات الترحيل وتأكيد الهجرة المنظمة .

٢ ـ تقديم طلبات الى حكومات بلدان الهجرة بشأن زيادة الامكانيات للاستيطان الدائم .

أما أهم النتائج التي تم الحصول عليها من خلال المؤتمر فهي : ـ

١ ـ موافقة الولايات المتحدة على ان تسمح لأعداد محدودة بدخول اراضيها من لاجئي المانيا والنمسا وتشيكوسلوفاكيا بعد ان أوقفت العمل بقانون الهجرة لمدة خمس سنوات .

٢ ـ اعلنت حكومة الدومنيكان عن قبول عدد من اللاجئين على أراضيها .

٣ ـ اقترحت الحكومة البريطانية وضع قطعة واسعة من الأرض في غوايانا البريطانية تحت تصرف المهاجرين .

٤ ـ مفاوضة الحكومة الألمانية بشأن السماح للمهاجرين اليهود بالحصول على قسم من أموالهم ولكن هذه المفاوضات لم تنجح[١٢٨] .

(١٢٦) الموسوعة اليهودية ـ مجلد ٦ صفحة ٩٧٨ .

(١٢٧) جولدمان ، ناحوم ، صفحة ١٢٠ .

(١٢٨) الموسوعة اليهودية ـ مجلد ٦ صفحة ٩٨٧ .



على أرض الواقع فان الدولة الوحيدة التي اعلنت بصدق عن قبولها للاجئين اليهود هي جمهورية الدومنيكان .

جاءت فكرة عقد هذا المؤتمر عند احتلال النمسا من قبل المانيا بتاريخ ١٢ آذار سنة ١٩٣٨ وتنفيذ قوانين نورينبرغ على يهود النمسا بقسوة وصرامة . الأمر الذي جعل الضغط يتزايد على الادارة الامريكية للقيام بعمل عاجل . وكان واضحاً ان هذا الضغط قوي وطويل الأمد ولذلك قرر العاملون بوزارة الخارجية الامريكية أنه من غير المجدي محاولة مقاومة الضغط ، وانما لا بد من الخروج الى الحلبة لتوجيه هذا الضغط نحو تحرير قوانين الهجرة وتعديلها ، وهكذا صادق الرئيس روزفلت بتاريخ ١٩٣٨/٣/٢٢ على عقد المؤتمر ووجهت دعوة برقياً الى بريطانيا العظمى بتاريخ ١٩٣٨/٣/٢٤ ، وكذلك جميع دول الكومنولث وفرنسا وبلجيكا وهولنده والدانمارك والسويد والنرويج وسويسرا وايطاليا وكل الجمهوريات الامريكية الاخرى . وقد قبلت الدعوة جميع الدول المدعوة ما عدا ايطاليا وجنوب افريقيا والسلفادور . والجدير بالذكر ان عدد اليهود الذين ستشملهم اعمال المؤتمر لا يقل عن نصف مليون يهودي الماني[١٢٩] .

حضر المؤتمر بناء على دعوة من امريكا عشرة من زعماء الصهيونية والمؤتمر اليهودي العالمي من بينهم جولدا مائير ، ناحوم جولدمان ، حاييم وايزمان . وقبل ان يبدأ المؤتمر اعماله عمدت الحركة الصهيونية الى تصعيد مطاليبها لكي تصبح فلسطين كهدف للهجرة الموضوع الرئيسي في النقاش . الأمر الذي ازعج البريطانيين وذلك بسبب التزاماتهم المحددة بالكتاب الأبيض وعدم رغبتهم باستعداء العرب في ذلك الوقت ، لذلك أرسلت بريطانيا سلسلة مذكرات الى روزفلت تهدد بمقاطعة الاجتماع ما لم تتركز المناقشات حول موضوع اللاجئين بشكل عام دون ذكر فلسطين . ويبدو انه كان في نية روزفلت ان تبرهن فلسطين على كونها مفتاح مشكلة

(١٢٩) الموسوعة اليهودية ، مجلد رقم ٦ صفحة ٩٨٩ .

اللاجئين ، ولكنه نتيجة للضغط استجاب للطلب البريطاني . وعندما اقترح الزعماء اليهود الامريكيون أن يدلي وايزمان بشهادته امام المؤتمر ردت الخارجية البريطانية بالرفض وانصاع مندوب امريكا للموقف البريطاني وتم ابعاد وايزمان عن الظهور في المؤتمر . هذا الموقف جعل الصهاينة يتأكدون أن موضوع اللاجئين سيتم حله خارج اطار فلسطين وهذا ما لا يوافقهم وبالتالي فان العمل ضمن هذا المؤتمر سيكون نوعاً من العبث ولا بد من مناهضته بشتى الوسائل(١٣٠) .

بمقدار ما كانت الصهيونية غير راغبة في نجاح مؤتمر ايفيان لأنه استبعد فلسطين لتكون المكان الوحيد المؤهل لاستقبال اللاجئين اليهود ، كذلك لم تكن معظم الدول المشتركة فيه راغبة في استيعاب او انقاذ مئات الألوف من اليهود الهاربين من النازية ، ويعلق على هذا ناحوم جولدمان(١٣١) فيقول : «خلال الأربعة او الخمسة أيام التي قضيتها في ايفيان حيث كانت تعقد جلسات المؤتمر ، لم أتعلم شيئا آخر غير الجغرافيا ، حيث كانوا يعلنون عن البلد ( س ) ليأتي ممثلها ويتكلم عن المناخ الحار جدا او البارد جدا وعن الصعوبات التي يلقاها انتاج المواد الأولية وغير ذلك من الأسباب التي تجعله يؤكد انه لا مكان في بلده لليهود اللاجئين ، كان ذلك نوعا من اللاوعي الرهيب » .

ان جولدمان يحاول أن يلقي اللوم على الدول التي ترفض اليهود ولكن الحقيقة ان رغبة هذه الدول التقت مع رغبة زعماء الصهيونية . ولو كان جولدمان مهتما بنتائج المؤتمر لاستمر في الحضور حتى النهاية ، حيث ان انعقاد المؤتمر استمر حوالي ثلاثة أسابيع وجولدمان لم يمكث الا خمسة أيام . لقد نسي جولدمان أن التصعيد الصهيوني بالاصرار على فلسطين . وفلسطين وحدها لتكون المكان الذي سيتوجه اليه اليهود ، ان هذا التصعيد هو الذي جعل المؤتمر يفشل ـ ولا ننكر عدم الرغبة في قبول الدول ـ

---

(١٣٠) Jrofsky . M .I. Page 280 .

(١٣١) جولدمان ، ناحوم صفحة ١٢٠ .



ولكن لو اتخذ الصهاينة موقفاً اخلاقياً تجاه اليهود وسمعوا الى نداء هذا اليهودي الذي طلب تأشيره من أية دولة من الدول الثلاثين لأمكن ايجاد حل مقبول لمشكلته ومشكلة غيره . ولكن السؤال الذي يبقى مطروحاً هو هل تريد الصهيونية ان تحل المشكلة بهذا الشكل ؟

ونختتم الحديث عن مؤتمر ايفيان بما اوردته جولدا مائير في مذكراتها(١٣٢) اذ قالت : « جلست عضواً مراقباً ولست عضواً رسمياً رغم ان الموضوع الذي سيدرس هو موضوع عائلتي وقومي . بالطبع كنت أعرف أن ما ينتظر اولئك اللاجئين المنبوذين لم يكن فقط خياماً ثابتة بل خيام موت . ولكنني للأسف لم أدرك تلك الحقيقة ، لذلك بقيت في مكاني صامتة الساعة تلو الاخرى بانتظام وأدب ، لم ينجز شيء في ايفيان سوى بعض العبارات والشعارات الجوفاء ولكني قبل ان اترك المؤتمر عقدت مؤتمراً صحفياً لاسماع العالم بأسره شيئا عن قضيتنا » .

حينما يتحدث أي زعيم صهيوني عن فترة المذبحة ويصل نقطة لا بد ان يتهم فيها بالتقصير أو التواطؤ نراه يلجأ الى أحد اسلوبين اثنين أو الى الاسلوبين معاً فهو :ـ

١ ـ اما أن يبدأ بالنقد الذاتي مع التأكيد على أنه حاول أن يوصل الحقيقة الى الآخرين ولكنه فشل ثم يعمم المسؤولية لتقع على الجميع وبالتالي تضيع بين الجميع .

٢ ـ او أن يلجأ الى اسلوب الجهل بالواقع كما فعلت جولدا مائير هنا حينما قالت ولكنني للأسف لم ادرك تلك الحقيقة . وهي بهذا تريد ان تتهرب من المسؤولية كونها لم تتوقع ما حصل او انها كانت تجهل اسبابه ومسبباته .

أثر وصول المؤتمر الى طريق مسدود بنتائجه الهزيلة التي تم التوصل اليها بفضل العراقيل التي وضعتها الصهيونية في طريقه أعرب الرئيس روزفلت في حديث له مع موريس أرنيست الشخصية الاجتماعية الامريكية البارزة أعرب له عن أسفه

---

(١٣٢) جولدامائير صفحة ١٣٩ .

لاستحالة انقاذ اللاجئين اليهود بقوله : « يؤسفني ان يكون هذا المشروع غير قابل للتنفيذ ، فهذا لن يسمح به زعماء الطوائف اليهودية في الولايات المتحدة الاميركية . . ان الصهاينة يدركون أن الفرصة مواتية الآن لاستعمار فلسطين »(١٣٣) .

كذلك كتب سلمون شينفلد عن دور الصهاينة الانكليز يقول : « لقد وافقت حكومتنا على تقديم المأوى والمعونة لليهود الذين هددتهم الفاشية ولكن ذلك اصطدم بالرفض من قبل الصهاينة الذين لم يعترفوا الا بشكل واحد من أشكال المعونة وهو ارسال جميع اليهود الى فلسطين »(١٣٤) .

**٢ - مؤتمر برمودا .**

تحت ضغط من البرلمان والكنائس والمنظمات الانسانية اقترح مكتب وزير الخارجية البريطانية بتاريخ ١٩٤٣/١/٢٠ اجراء تشاور مشترك بين بريطانيا والولايات المتحدة الاميركية لبحث مشكلة اللاجئين ضحايا النازية وايجاد الحلول الممكنة لها . وبعد تبادل المذكرات الديبلوماسية عقد المؤتمر الانجلو - اميركي لشؤون اللاجئين في برمودا من ١٩ نيسان الى ٣٠ منه عام ١٩٤٣ . وترأس الوفد البريطاني ريتشارد لو وكيل وزارة الشؤون الخارجية اما الوفد الامريكي فقد ترأسه هارولد ويلز دودز رئيس جامعة برنستيوم ولم يسمح لأي منظمات خاصة أو للمراقبين بالحضور . الا ان المنظمات الصهيونية في امريكا وانكلترا أعدت مذكرة تقترح تدابير للانقاذ ، وعرض حاييم وايزمان وثيقة باسم الوكالة اليهودية في فلسطين . توضح أهمية فلسطين في حل مشكلة اللاجئين اليهود وتطالب، باهمال سياسة الكتاب الأبيض البريطاني الذي صدر في أيار عام ١٩٣٩ . ولقد كان الخلاف بين الحكومتين حول استمرار اللجنة المشتركة لشؤون اللاجئين والتي اقرت في مؤتمر ايفيان ( تموز سنة

(١٣٣) برودسكي ، شوليستر ، صفحة ١١١ وايضاً الفرد لينتال صفحة ٣٣ .

(١٣٤) Faris Yahya , Page 52 , 53 .



١٩٣٨ ) واستغرق بحث هذا الخلاف معظم وقت المؤتمر ، وتم الاتفاق على استمرار اللجنة خلال فترة الحرب ، الا ان اعمال هذه اللجنة لم تنقذ يهوديا واحدا(١٣٥) . وان خطط بريطانيا بفتح مخيمات في شمال افريقيا لتكون ملاذ اللاجئين خلال الحرب لم تكن مجدية وفشلت فشلا ذريعا .

لقد كانت نتائج هذا المؤتمر كسابقه والذي دعا اليه روزفلت لانقاذ اللاجئين من حيث الواقع العملي وهذا يدل على مدى جدية هذه الدول في العمل الحاسم لانقاذ اللاجئين ونلاحظ ان كل المؤتمرات لم تكن للاستهلاك المحلي . وكانت عمليات تخدير للجماهير الناقمة الغاضبة . ومن مراجعة ما جاء في الموسوعة اليهودية عن هذا المؤتمر نثبت هنا النقاط التالية : -

١ - لم يكن هذا المؤتمر مبادرة ذاتية من حكومتي بريطانيا والولايات المتحدة احساسا منها بأهمية وخطورة مشكلة اللاجئين الذين يشكل اليهود النسبة العظمى منهم ، وانما كان عقد هذا المؤتمر تحت ضغط والحاح الجمعيات الانسانية والكنائس والبرلمان البريطاني والرأي العام اليهودي في امريكا .

٢ - لم يكن للمنظمات الصهيونية اي دور للمطالبة بعقد هذا المؤتمر وانما استغلت انعقاده لتقدم المذكرات المستفيضة حول أهمية فلسطين وفلسطين فقط لتكون الملجأ الوحيد لهجرة اليهود اليها وذلك بالغاء القيود التي فرضتها بنود الكتاب الأبيض الذي اصدرته بريطانيا .

٣ - تصر الدولتان العظميان ( بريطانيا وامريكا ) على ان تكون أبواب بلديهما مقفلة امام المهاجرين اليهود حيث اقترحت بريطانيا ان تكون شمال افريقيا مكانا ملائما لاستقبال اليهود ولكن هذا الاقتراح اثبت فشله .

٤ - عادت الدولتان الى مقررات ايفيان بالموافقة على استمرار عمل اللجنة

(١٣٥) الموسوعة اليهودية - مجلد رقم ٤ صفحة ٦٦٨ .

الحكومية التي تم الاتفاق عليها في ذلك المؤتمر ، وكانت النتيجة ان هذه اللجنة لم تستطع انقاذ يهودي واحد من المحرقة النازية .

**٣ ـ مؤتمـر بلتمـور .**

من ٦ الى ١١ أيار سنة **١٩٤٢** عقد في فندق بلتمور بنيويورك مؤتمر صهيوني طارىء اطلق عليه اسم « مؤتمر بلتمور » وقد حضرت هذا المؤتمر وفود من كل منظمة صهيونية في امريكا وكندا كما حضره كل القادة المهمين من فلسطين وأوربا وكان أبرز الحضور حاييم وايزمان ، ديفيد بن غوريون ، ناحوم جولدمان ، ابا هيلل سيلفر ( امريكا ) ، الحاخام ستيفين وايز ( امريكي ) واسرائيل جولد شتاين .

وحيث انه تعذر اثناء الحرب انعقاد أية هيئة تشريعية صهيونية ، فقد انيط بهذا المؤتمر عمليا سلطة الهيئة التشريعية ( الكونغرس ) . كان المتكلم الرئيسي في هذا المؤتمر هو ديفيد بن غوريون المدير التنفيذي للوكالة اليهودية الذي ذهب الى نيويورك خصيصا لحضوره ، وقد وضح ان اليهود لم يعد باستطاعتهم الاعتماد على الادارة البريطانية في تسهيل انشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين وأشار الى الحاجة الماسة للهجرة والاستيطان مؤكدا على انه لا يمكن لأي نظام حكم آخر في هذه الظروف ان ينجز ما يمكن ان يقوم به اليهود اذا اعطوا السلطة المطلوبة .

لقد كان مؤتمر بلتمور نقطة تحول واضحة في السياسة الصهيونية فيما يتعلق بأمرين اثنين ، اولهما التأكيد ولأول مرة على اقامة كومنولث يهودي في فلسطين ، وهذا يعتبر تطويرا للموقف الصهيوني السابق الذي كان يتحدث عن مجرد وطن قومي لليهود . وثانيهما التركيز على ان امريكا هي الحليف الأكبر الذي يمكن ان تعتمد عليه الصهيونية في اقامة الدولة اليهودية ، وان بريطانيا لم يعد ممكنا الاعتماد عليها بعد الآن ، خصوصا بعد ان خذلت الموقف الصهيوني فيما يتعلق بالكتاب الأبيض وفتح ابواب فلسطين للهجرة غير المشروعة(١٣٦) .

---

(١٣٦) الموسوعة اليهودية ـ مجلد رقم ٤ صفحة ٩٩٧ .



ان هذا المؤتمر الذي عقده الصهاينة لم يشر الى أي حل آخر لمشكلة اللاجئين وانه لم يطالب امريكا بأن تخفف من قيود الهجرة اليها وأنه لم يتوجه الى ( دول العالم الحر ) بقبول اللاجئين اليهود ، وانما اكتفى بالتركيز على فلسطين ، مع ارسال اطيب التمنيات والعواطف الجياشة لليهود المحاصرين في الغيتوات ومعسكرات الاعتقال والابادة النازية .

لقد انهى المؤتمر اعماله بتاريخ **١٩٤٢/٥/١١** وأصدر بيانا من ثماني فقرات نثبت هنا بعضه :

١ ـ لقد اجتمع الصهيونيون الامريكيون في هذا المؤتمر الاستثنائي لتأكيد تفانيهم من أجل الحرية والديمقراطية والعدالة الدولية ، والتي التزم بها الحلفاء والولايات المتحدة والمعبرة عن ايمانهم بالانتصار النهائي للانسانية والعدالة ضد القوة الوحشية المناهضة للقوانين .

٢ ـ يبعث اعضاء هذا المؤتمر **رسالة أمل وتشجيع لاخوانهم اليهود في ( غيتواتهم ) ومعسكرات الاعتقال** في اوروبا المحتلة من قبل هتلر ويصلي الاعضاء لكي تقترب ساعة تحريرهم .

٣ ـ في جيلنا هذا وبشكل خاص خلال السنوات العشرين الاخيرة فقد استيقظ الشعب اليهودي وازداد عددهم في وطنهم القديم من ( ٥٠ ) ألف في نهاية الحرب الاخيرة الى اكثر من ( ٥٠٠ ) ألف الآن وزرعوا الاراضي المقفرة بالفواكه وجعلوا الصحراء تزهر ، ان انجازاتهم الطليعية في الزراعة والصناعة تجسد بأنماط جديدة من التعاون في تاريخ الاستيطان .

٤ ـ ويدعو المؤتمر الى تحقيق الاهداف الأصلية لوعد بلفور والانتداب البريطاني ( الذي يعترف ) بالعلاقة التاريخية بين الشعب اليهودي وفلسطين ، والمتضمنة اتاحة الفرصة للشعب اليهودي لايجاد كومنولث يهودي في فلسطين حسب ما بين الرئيس ولسون .

ويؤكد المؤتمر رفضه المطلق للكتاب الأبيض الصادر في باريس سنة **١٩٣٩** حيث يحاول الكتاب أن يحدد وفي الواقع أن يلغي حق اليهود بالهجرة والاستقرار في فلسطين ، كما بين المستر تشرشل في مجلس العموم البريطاني في أيار سنة **١٩٣٩** فان هذا الكتاب ( يشكل نقضا والغاء لوعد بلفور ) ان سياسة الكتاب الأبيض قاسية لا يمكن الدفاع عنها في انكارها الحق المقدس لليهود الهاربين من النازية **في وقت اصبحت فيه فلسطين نقطة رئيسية** في جبهة حرب الأمم المتحالفة حيث يتوجب فيه على يهود فلسطين توفير الطاقة البشرية للمزارع والمصانع وهذا يتعارض ايضا مع مصالح جهود الحلفاء الحربية .

٥ ـ في النضال ضد قوى العدوان والطغيان التي كان اليهود من اوائل ضحاياها والتي تهدد الآن الوطن اليهودي ، ينبغي الاعتراف بحق يهود فلسطين في لعب دورهم كاملا في المجهود الحربي والدفاع عن بلادهم من خلال قوة عسكرية يهودية تقاتل تحت علمها وتحت امرة القيادة العليا للأمم المتحالفة .

٦ ـ يعلن المؤتمر بأن النظام العالمي الجديد الذي سيعقب النصر لا يمكن ترسيخه على اسس العدالة والسلام والمساواة ما لم تحل مسألة الوطن اليهودي .

ويدعو المؤتمر الى فتح ابواب فلسطين وان تتحكم الوكالة اليهودية بالهجرة الى فلسطين وتتمتع بالصلاحيات التي تمكنها من بناء البلاد وتطوير الأراضي غير المزروعة والسائبة وأن تصبح فلسطين كومنولث يهودي مندمج في مبنى العالم الديمقراطي الجديد . **عندها فقط** فان الخطأ القديم بحق الشعب اليهودي سيتم تصحيحه(١٣٧) .

ان الذي يلفت النظر في البيان هو المقايضة الواضحة التي جاءت في الفقرة الاخيرة والتي تطالب باقامة كومنولث يهودي في فلسطين مندمج في مبنى العالم

(١٣٧) From Haven to Conquest , By : Walid Khaldi , The Institute or Palestine Studies , Beirute 1972 , Page 495 , 496 .



الديمقراطي الجديد وتعتبر اقامته من قبل المؤتمر الصهيوني بمثابة ثمن لكل الاخطاء التاريخية التي ارتكبت بحق اليهود في العالم ، وليس هذا فحسب بل وثمن ايضا لما يستجد من مذابح بحقهم خلال الحرب والى نهايتها .

واذا خرجنا من اطار المؤتمرات الى المساعي الخاصة التي كان يقوم بها زعماء الصهيونية لدى الادارة الامريكية ، نرى انها كلها تسير في خط واحد ، فقد اشار الى هذه القضية ميلفين اورونسكي (١٣٨) ، اكثر من مرة في كتابه ( الصهيونية الامريكية من هيرتزل الى الكارثة ) حيث قال : « لقد حاصر روزفلت اليهود المقربون اليه ليساعد على تخفيف محنة اليهود ، وناشده ستيفن وايز وفيليكس فرانكفورتر وآخرون للتأثير في البريطانيين لفتح ابواب فلسطين ، وقام بنفس الدور لويس براندیس مع آخرين من زعماء الصهيونية الامريكية لدى كورديل هال للفت نظره الى ان بريطانيا العظمى وافقت في المؤتمر الانكليزي الامريكي عام **١٩٢٤** على عدم ادخال تعديلات على صك الانتداب دون موافقة امريكا ، ومع الاعتراف بأن الغاية الاساسية من هذا الاتفاق كانت ضمان المصالح التجارية الا ان الناطقين اليهود رأوا ان بالامكان تفسيرها لاعطاء الولايات المتحدة صوتا في قضايا الهجرة .

وأخيراً كيف نفسر سكوت الجاليات اليهودية الامريكية تجاه مشكلة اللاجئين وبمعنى أدق كيف نعلل عدم اثارة الجاليات هذه المشكلة بشكل اكثر جدية وصراحة . فهل كانت خاضعة للنفوذ الصهيوني الذي تعرفنا عليه من خلال هذا العرض ؟ أم أن اسبابا اخرى تقف وراء سكوتها هذا ؟

منذ فترة طويلة والبورجوازية اليهودية المندمجة في اوساط الطبقة الحاكمة في اوروبا الغربية وامريكا تبدي تذمرها الشديد من الهجرات اليهودية القادمة من اوروبا الشرقية خشية انبعاث الحركة المعادية للسامية وانتشار هذه الحركات خوفا على مواقعها الاقتصادية ومركزها التجاري ، وشمل هذا التذمر والخوف بصورة خاصة

(١٣٨) Jrofsky , Page 281 .

امراء الرأسمال اليهودي والشرائح الوسطى من البورجوازية اليهودية المتمركزة في الاعمال التجارية وميدان المهن الحرة الواسع ، بالاضافة الى المجالات العلمية والادبية ، لذلك اخذت بالبحث عن طريق الحد من الهجرة اليهودية الى مواقعها ، بالعمل على تحويل تدفق الجماهير المعدمة من اليهود الى مناطق اخرى من العالم خارج اوروبا وامريكا اي بشكل خاص تحويلها الى فلسطين . ولذلك فهي - اي هذه العناصر البورجوازية - التي دعمت منذ اوائل القرن الحالي قوانين الحد من الهجرة التي سنتها حكومات اوروبا والولايات المتحدة والتي استهدفت بصورة رئيسية يهود اوروبا الشرقية المشردين . ولذلك نراها تجاوبت بقوة ولهفة مع المشاريع الاستعمارية الاستيطانية للتخلص من المسألة اليهودية وبذلت جهودا حثيثة لانجاحها (١٣٩) .

وهناك تفسير اخر لا يخرج في جوهره ونتيجته عن التفسير الاول أورده الكاتبان الامريكيان ( جوستورك وشارون روز ) ، اذ رأى هذان الكاتبان ان معظم اليهود الامريكيين كانوا منشغلين في انتشال انفسهم من الازمات الشخصية التي خلّفها الهبوط الاقتصادي الكبير . فكانوا يتعاطفون مع الهموم التي كانت قيادة الحركة العمالية تعبر عنها بخصوص النتائج السلبية الممكنة الناتجة عن هجرة اعداد كبيرة تزاحمهم على اعمالهم القليلة ، وهكذا ففي حين ان الكثيرين من الافراد اليهود كانوا مستعدين لتوقيع الوثائق التي تتعهد بالمساعدة المالية لاقاربهم الالمان والنمساويين ، فانهم لم يكونوا مستعدين للانضمام الى حملة عامة تدعو الى الهجرة الجماعية تلك الحملة التي لم تكن تروق لزملائهم الامريكيين .

ان الاحساس بالمزاحمة ، والخوف من تزايد اللاسامية ، والتعبير عن عدم الاستقرار الامني الذي احس به يهود امريكا بسبب تزايد المهاجرين اليهود سواء أيام الكارثة النازية أو قبلها ، طغى على لهفتهم لانقاذ ابناء جلدتهم بالعمل على كسر كل قيود الهجرة التي وضعتها حكومتهم . فكان لا بد من ايجاد ملجأ أمين وبما ان فلسطين

(١٣٩) صادق جلال العظم صفحة ٤٧ ، ٤٨ .



وحدها هي التي كانت مستعدة لقبول اعداد كبيرة من اليهود ، ولذلك فقد كانت الصهيونية بالنسبة للامريكيين اليهود بديلا مريحا للاثارة السياسية الداخلية التي لم يجرؤوا على التعاطي بها(١٤٠) .

لذلك لم يعد هناك مكان للتفسير الساذج الذي أتى به كثيرون من المناهضين للصهيونية بأن قسوة المنظمات الصهيونية هي سبب صمتها وسكوتها على المذابح التي اقترفها هتلر من جهة ، وبالتالي عدم ممارستها اي ضغط على الحكومة الامريكية لتمكين المهاجرين اليهود من ايجاد ملجأ لديها من جهة اخرى .

لقد استفادت الحركة الصهيونية من الاوضاع التي أشرنا اليها والخاصة بالجاليات اليهودية لتقود رغبات هذه الجالية الى المنحى الذي سارت اليه مستفيدة بذلك من كل الظروف المواتية التي ساعدتها على تحقيق ما تريد .

(١٤٠) المختار من مجلة الدراسات الفلسطينية - جامعة الكويت سنة ١٩٧٤ صفحة ٨٨ .

# القسم الخامس

## التحريض

انسجاماً مع المبادىء الصهيونية المبنية على أن اليهود يشكلون امة ( تامة ) وانه لابد من تهجيرهم الى ( وطنهم ) بكل الوسائل ، مع الاستفادة الكاملة من موجات اللاسامية التي تجتاح اوروبا واستثارة هذه الموجات وتحريكها ان احتاجت لذلك . انسجاماً مع هذه المبادىء جاءت التصرفات التي مارسها قادة هذه الحركة ضد اليهود مستعينين بذلك مع كل عتاة اللاسامية والعنصرية في دول اوروبا . لذلك فان الاتفاقات التي عقدت والصفقات التي تمت كانت جميعها مستندة الى ايديولوجية واضحة ، بل كانت تطبيقا لهذه الأيديولوجية وتعميدا لها . وبالتالي لم تكن وليدة الصدفة او بسبب الظروف التي املتها المرحلة الحرجة التي مرت بها الطائفة اليهودية ابان الحرب العالمية او قبلها او بعدها . ولم يسمح للقادة اليهود الذين استشرفوا الخطر الناجم عن هذه العقيدة ابداء رأيهم أو الاحتجاج عليها ، بل اخمدت اصواتهم وصمّت كل الآذان عن سماع تحذيراتهم التي ذهبت بالنتيجة ادراج الرياح . ولقد كان ( ادوين مونتاغو ) الوزير اليهودي في وزارة لويد جورج التي اصدرت وعد بلفور ، الوحيد بين كل الوزراء الذي ادرك بوضوح الدوافع اللاسامية وراء سياسة هذه الحكومة فكتب لها يقول :(١٤١) « لا توجد امة

(١٤١) مذكرة ادوين مونتاغو الى الحكومة البريطانية في ١٩١٨/٨/٢٣ رقم ٢٤/٢٤ ـ الوثائق العامة البريطانية ـ صدرت عن مركز التخطيط ـ منظمة التحرير الفلسطينية في ١٩٧٥/١٢/٢٦ .



يهودية . . . واذا قيل لليهود ان فلسطين هي وطنهم القومي فان كل دولة اخرى سوف تتوجه فورا الى التخلص من مواطنيها اليهود . . . وان فلسطين اليوم غير مرتبطة باليهودوليست المكان الملائم كي يعيشوا فيه . . . » .

وفي الوقت الذي نسف فيه مونتاغو افكار الحركة الصهيونية التي يعتبرها لا تمثّل وجهة نظر البريطانيين اليهود ، لأن الصهاينة اقلية بينهم غرباء عنهم ، في الوقت نفسه وضع يده على النقطة الحساسة الخاصة بفكرة تخلص الدول من مواطنيها اليهود عندما يصبح لهؤلاء وطن في فلسطين ، لأن هؤلاء اما ان يرحلوا الى فلسطين او يصبحوا غرباء في اوطانهم بعد ان كانوا مواطنين يتمتعون عبر اجيال طويلة بكل حقوق المواطنية .

لم يكن مونتاغو يتكلم من الفراغ كما انه لم يكن يتنبأ باحداث من باطن الغيب ، لأنه يعرف وبشكل جيد افكار هيرتزل وخلفائه التي بدأت تنتشر بين اوساط الصهاينة . هذه الافكار لم تكن بعيدة عما ذكره في رسالته للحكومة البريطانية ، واذا اتهم هذه الحكومة صراحة بانها حكومة لا سامية لأنها ( سايرت ) الآراء والمطالب الصهيونية فهو يؤكد بصراحة على ان الصهاينة انفسهم هم دعاة اللاسامية واربابها ومحركوها . اذ ليس من مصلحتهم اخمادها ولا بد من اثارتها باستمرار لتكون القوة الدافعة لتهجير اليهود الى (ارض الميعاد) وتحقيق احلام الحركة الصهيونية .

واذا مرت على اليهود عهود من الأضطهاد والقمع في العصور الوسطى والقرون التي تلت ، فان عهدا من الأزدهار والرخاء قد جاءهم مع الثورة الفرنسية ، هذا العهد قد قوّى الاحساس والشعور لديهم بضرورة الأندماج الكامل في المجتمعات والتمثل ضمن صفوفها ، وكان هذا هو الحل الأمثل الذي لاقى ترحيبا كبيرا في صفوف جماهير اليهود في مختلف الدول الأوروبية وخاصة في الدول الغربية ، الأمر الذي دعا ليوبنسكر الى القول بان العامل الأقوى الذي يؤثر في منع اليهود من

السعي لأجل تحقيق وجود قومي مستقل هو عدم شعورهم بالحاجة لمثل هذا الوجود ، وهم لا يكتفون بعدم تحسس الحاجة اليه ، بل يذهبون الى حد انكار أن تكون مثل هذه الحاجة امرا معقولا[١٤٢] ، هذا الجو المخيّم على الطائفة اليهودية في اوروبا بالذات لم يكن ليرضي فلاسفة الحركة الصهيونية لأنه يتناقض مع الفكرة الأساسية لدعاواهم ، ولذلك كان لا بد من مواجهة هذا الوضع بحيث تكون مواجهة غياب الرغبة في الاستقلال القومي لدى هذه الجماهير وبالعمل على اثارتها والبرهنة على انه ينبغي عليهم ( اي اليهود ) ان يصبحوا امة[١٤٣] ، ولا يتم ذلك الا بجملة ممارسات سواء من قبل الصهاينة او من ابناء الأديان الأخرى ، بحيث تجعل اليهودي الذي يعيش الأندماج بكل اشكاله وصفاته يعود الى الشعور مرة أخرى بالغربة والضياع والأضطهاد وعدم الأستقرار ومن ثم يعيد النظر بعلاقاته الأنسانية والأجتماعية والثقافية مع ابناء بلده ، وسيوصله بالتأكيد هذا التفكير الى الهجرة الى مكان آخر اكثر امنا واستقرارا ، بعيدا عن الاضطهاد الديني والأقتصادي والأجتماعي ، ويثبت في ذهنه مقولات هيرتزل التي تعيد العداء للسامية الى اصل وجود الأنسان اي ان العداء انما هو عداء ابدي وهو مولود اصلا مع الأنسان ، وهذا يستتبع بالضرورة النتيجتين التاليتين : -

١ - ان الأمة اليهودية كانت موجودة دائما بسبب قدم العداء للسامية واستمراره .

٢ - لا حل للمسألة اليهودية الا بتجميع اليهود في وطنهم القومي في فلسطين لأن استئصال معاداة السامية من الطبيعة البشرية ( غير اليهودية ) امر مستحيل ، لذلك يرى هيرتزل ان معاداة السامية هي ( القوة الدافعة ) الأساسية التي ستمكن الحركة الصهيونية من تحقيق اهدافها وهو بهذا الصدد يقول : « اعتقد انني افهم

(١٤٢) د. العظم صفحة ٨٢ .

(١٤٣) المصدر السابق صفحة ١٢٦ .



معاداة السامية التي تشكل في الواقع حركة على مستوى عال من التعقيد ، أنا انظر اليها من وجهة نظر يهودية ولكن دون اي خوف او كراهية »[١٤٤] .

ان هيرتزل لا ينظر الى معاداة السامية نظرة خوف او كراهية وانما يعتبرها قوة دافعة لتحقيق نظريته لذلك فهي بالنسبة له منحة سماوية تستحق الأبتهاج ، وهي اذا لم تكن موجودة فان من واجبه خلقها او ايجادها . هذه القوة ستعمل كما يراها على صعيدين اثنين ، الصعيد الأول هو دفع الجماهير اليهودية نحو الهجرة ، او كما يقول في معرض كلامه عن حركة الهجرة الى فلسطين : « لن تحتاج الحركة الى بذل جهود ضخمة من اجل دفعها الى الأمام . اذ سيقدم المعادون للسامية القوة الدافعة اللازمة لذلك . ما عليهم الا ان يقوموا بما كانوا يقومون به في الماضي كي يولّدوا الرغبة في الهجرة حيث لم تكن موجودة في السابق ويعززها حيث كانت موجودة اصلا » .

هذا هو الصعيد الأول ، اما الصعيد الثاني فهو رغبة الحكومات الشوفينية في البلدان الأوروبية في التخلص من فقراء اليهود في دولهم وسد ابواب الهجرة امام القادمين منهم بوحي من قناعاتهم الرجعية والعنصرية المعادية للسامية الأمر الذي لا يترك لهؤلاء اليهود خياراً آخر ، غير الهجرة الى فلسطين ، لذلك فهو يتوقع ( هيرتزل ) النجاح لدعوته في البلدان الأكثر عراقة وشراسة في معاداة طبقاتها السائدة لليهود[١٤٥] .

ان هذا لا يفسر لنا الدعوة الصريحة الواضحة من ( منشيء الحركة الصهيونية ) للدول الأوروبية لاستعدائها وتحريضها ضد اليهود ، فقراء اليهود فحسب ، وانما يفسر لنا ايضا موقف البرجوازية اليهودية الغارقة حتى اذنيها بالدعوة الصهيونية حول هجرة اليهود الأوروبيين ابان الحرب ورفضهم القاطع سماح بعض هذه الدول باستقبال بعض اليهود لأسباب انسانية بحتة بحيث نستطيع ان نقول ان

(١٤٤) Theodor Herzl , Page 15 .

(١٤٥) Ibid , Page 57 .

مثل هذه المواقف ( الصهيونية ) لم تكن ردة فعل ولم تكن خطأ في التقدير والحسابات او تقصيرا وضعف رؤيا ، وانما كانت بناء على عقيدة واضحة راسخة . ولذلك جاءت عن سابق اصرار وتصميم .

ان هذه الأسس النظرية للحركة الصهيونية هي التي جعلت هذه الحركة تدخل منذ انطلاقتها في سلسلة طويلة من المعاملات والمبادلات والتحالفات المصلحية المشتركة مع اعتى القوى الرجعية المعادية لليهودية ، واكثر السلطات تشددا في عدائها للثورات ، وفي اضطهادها للجماهير اليهودية . كل ذلك يهدف وضع ( القوة الدافعة ) لمعاداة السامية في خدمة المخطط الصهيوني على كافة المستويات . لقد مارس هيرتزل واتباعه ما بشروا به ، فانسجمت الوسائل التي استخدموها في جهودهم الدبلوماسية الطويلة من اجل القضية الصهيونية مع المبادىء التي اعلنوها . ويتضح هذا بشكل جلي من الأتصالات التي قام بها مع روسيا القيصيرية تلك الدولة التي كانت في بداية القرن قد طبقت السياسة الأكثر تعصبا ووحشية من مجازر وطرد وتمييز . ان هذا هو ما يفسر بالضبط قول هيرتزل « ان اللاساميين سيكونون افضل اصدقاء اليهود والحكومات اللاسامية افضل حليفاتهم » .

كان هيرتزل يحلم دائما بلقاء القيصر الروسي ، ولكنه لم يتمكن من تحقيق حلمه هذا ، الا انه اجرى محادثات مع وزير الداخلية القيصري ( فون بليفيه ) الذي كان مسؤولا عن تنفيذ اجراءات معادية لليهود والذي نظم مجازر مثل مذبحة ( كيشينيف ) التي قتل فيها خمسة واربعون يهوديا . وكان بليفيه من الوحشية بحيث اعترف بانه لم تكن لديه اعتراضات على التخلّص من اكبر عدد ممكن من اليهود ، وهو في هذه الحالة سيصبح مؤيدا متعاطفا مع الصهيونية . وفي هذا اللقاء اقترح هيرتزل ان يكتب بليفيه له رسالة يقدمها امام المؤتمر الصهيوني ، تفيد انه بامكان الحركة الصهيونية ان تعتمد على ( المساعدة المعنوية والمادية ) للحكومة الروسية . وصارت رسالة بليفيه اثمن ما يملكه هيرتزل . وكان يحملها معه في كل مكان ،



وجعل البابا يطلع عليها . اما ما قدمه هيرتزل من وعود الى الحكومة الروسية مقابل هذه الجهود فهو « ان الصهيونية ستنهي جميع العناصر الثورية الأشتراكية بين اليهود »(١٤٦) .

وفي سنة ١٩٠٣ قابل مؤسس الحركة الصهيونية في سانت بترسبورغ زعيما لا ساميا آخر هو وزير المالية القيصري الكونت ( فيته ) ، الذي كان هو الآخر يفضل الخطة الصهيونية لأخراج اليهود من اوروبا . لقد قال فيته لهيرتزل « لو كان من الممكن اغراق ستة او سبعة ملايين يهودي في البحر الأسود لأسعدني تماما ان افعل ذلك . ولكنه غير ممكن ، ولذا يتوجب علينا ان ندعهم يعيشون ولكننا نشجع اليهود على الهجرة . . . اننا نطردهم »(١٤٧) .

ونتيجة لمذابح القيصر ضد اليهود حاولت اعداد منهم دخول بريطانيا ـ بدلا من فلسطين ـ كملجأ لهم مخيبين بذلك آمال الصهيونية . وعندما اثيرت هذه القضية امام الرأي العام البريطاني قدم هيرتزل شهادته امام ( اللجنة الملكية حول هجرة الأجانب ) ، داعيا الى تأييد موقف بعض اللاساميين البريطانيين الى تحويل نهر الهجرة عن بريطانيا ، وهكذا اتفق في الرأي مع العنصري ارنولد وايت احد ابرز منظري الحملة من اجل منع اليهود من دخول بريطانيا . وفي ذلك الوقت كان جوزيف شامبرلين وزير المستعمرات البريطاني من اشد اللاساميين اذ هاجم سياسة السماح للهجرة اليهودية الى بريطانيا مؤيدا في الوقت ذاته الفكرة الصهيونية لدولة يهودية وممتدحا هيرتزل بحرارة .

اما ارثور بلفور صاحب الوعد المشهور فقد كان ايضا من دعاة اللاسامية الأكثر حماسا ، وقد القى خطابا حول مسألة هجرة اليهود الى بريطانيا فقال : « لن يكون لمصلحة مدنية البلد ان تكون هناك مجموعة ضخمة من الأشخاص الذين بافعالهم

(١٤٦) Faris Yahya , Page 10 .

(١٤٧) Ibid , Page 11 .

الخاصة يبقون شعبا منفصلا ولا يعتنقون دينا مختلفا عن الأكثرية الساحقة من مواطنيهم فحسب ، ولكنهم ايضا لا يتزاوجون الا فيما بينهم .

لم تكن الصهيونية في البداية تكتفي بالصداقة والتعاون مع اللاساميين ـ بل وصلت الى مرحلة تحريض هؤلاء ضد اليهود ليزدادوا امعانا في سياستهم ، وليبرهنوا بالنتيجة على انها اكثر قربا من الفكر الصهيوني لأن تحقيق هذا الفكر ستكون نتائجه خدمة لمصالحهم ( اللاسامية ) ، بحيث تتخلص هذه الدول من رعاياها اليهود من جهة ، وهذا ما يرضي اللاسامية ، وهي في نفس الوقت ستكون فلسطين اليهودية ـ كما قال وايز مان ـ دولة واقية لأنكلترا خصوصا فيما يتعلق بقناة السويس(١٤٨) من جهة اخرى .

ان كل اللاساميين في العالم وخاصة اولئك الذين حكموا أوروبا كانوا يلتقون مع الحركة الصهيونية في جوهر افكارها وآرائها ، لذلك فقد كانت الحركة الصهيونية اكثر التصاقا بهم وتعاونا معهم واستمر هذا التعاون في احلك الظروف التي مر بها اليهود ايام الحرب العالمية الثانية وهذا ما يؤكده قول لينين بانه من غير الممكن ان نلجأ الى الصدفة لنفسر ان القوى الرجعية في اوروبا باسرها وفي روسيا على الأخص ، هي على وجه التحديد التي ترفض ان تمثل اليهود وتبذل قصارى جهدها لتأمين خصوصيتهم(١٤٩) .

لم يكن صعود هتلر الى الحكم ليزعج الصهاينة بمقدارما اسعدهم وابهجهم لأنهم وجدوا فيه ضالتهم المنشودة التي تلتقي معهم في كل رأي وبالتالي فانه الوحيد القادر على مساعدتهم من خلال تدبيره مذابح اليهود واضطهادهم وطردهم خارج بلاده .

(١٤٨) Trialand Ernor , Chaum Weizman , Neww York 1949 Page 342 ¾

(١٤٩) لينين ـ المختارات الجديدة ـ نصوص حول المسألة اليهودية ـ دار الطليعة ـ بيروت ـ ترجمة جورج طرابيشي سنة ١٩٧٢ صفحة ١٧٤ .



لقد تبنى هتلر نقطتين اساسيتين تعتبران جوهر الفكر الصهيوني ، وهما ان اليهود يشكلون شعبا وعرقا متميزا وانه ستكون لهم دولة . وهو هنا يقتبس اقوال شوبنهور « بان الشعب المختار هو الأستاذ الأعظم في فن الكذب » ، لأن اليهود حاولوا ـ على حد زعمه ـ ايهام الشعوب التي يعيشون بينها انهم مجرد طائفة دينية ، كما اوهموا الألمان انفسهم بانهم ( المان ) لحما ودما . وقد نجحوا في هذا ليس في المانيا فحسب بل في فرنسا وانكلترا وايطاليا ، حيث اعتبروا هناك رعايا مخلصين . وهو يعلن بكل اسف أن وزيراً في حكومة بافاريا اكتشف ـ بشكل متأخر ـ ان اليهود يؤلفون شعبا له طابعه المميز . ثم يتوصل فيما بعد ( هتلر ) الى تأكيد النتائج التي توصل اليها وهي ان اليهود لم يكونوا في وقت من الأوقات مجرد طائفة دينية لها تقاليدها وطقوسها الخاصة بل كانوا دائما وابدا شعبا له خصائصه . ولكنهم بحثوا بعد تشردهم عن وسيلة يضللون بها الشعوب حتى لا تتبرم من ( ضيوفها ) المزعجين فما وجدوا افضل من تقديم انفسهم على انهم جماعة دينية لا اكثر ولا اقل(١٥٠) .

وتعتبر سياسة هتلر العرقية سواء ما يتعلق بالجنس الآري او ( بالجنس العبري ) امتدادا لفلسفة هوستون ستيوارت شامبرلين الذي يعتبر الألمان حماة التاريخ العالمي وحملة الثقافة الغربية ، وروحهم هي التي تحرك وتصنع كل مكتسبات العصور الحديثة ، وهي روح تصلبت من خلال الصراع الذي لا يتوقف ، والعرق الآري يوجد في وسط « فوقي من الأجناس » ولكن هناك عرق واحد غير العرق الآري ظل نقيا ، واليهود هم الذين يجسدون هذا النقيض العرقي النقي ومن ثم فهم الخصم الدائم في هذا الصراع من اجل البقاء(١٥١) وهكذا نستطيع ان نرى كيف تدعم العرقية بعضها البعض رغم الخصومة القائمة في الظاهر . وهذا يفسر العلاقة الحميمة التي قامت بين النظريتين وان ذهب ضحيتها اليهود .

(١٥٠) هتلر ـ كفاحي صفحة ١٧٤ .

(١٥١) مجلة شؤون فلسطينية عدد ٩١ سنة ١٩٧٩ صفحة ٥٣ .

لم تكن المنطلقات النظرية المتطابقة للفكر الصهيوني والفكر النازي ، وكذلك التعاون الوثيق الذي لاحظناه بين اصحاب هاتين النظريتين كافيا لتحقيق مطامع الصهيونية واجتذاب جماهير اليهود لأعتناق افكارها وتطبيقها ، ولذلك كان لا بد من مزيد من استثارة اللاسامية ومـزيد من تحـريض الفاشيـين والنازيـين ضد اليهـود المندمجين ( الآثمين ) الرافضين التخلي عن ايمانهم بعدم جدوى مثل هـذه الأفكار والأنجرار خلفها .

ان ابرز التصرفات التحريضية التي قامت بها الحركة الصهيونية ضد اليهود الواقعين تحت الأحتلال الألماني كانت قرارات مؤتمر بلتمور الذي عقد في امريكا ، والتي اعتبرها هتلر عملية استفزازية حيث اعلن زعماء الصهاينة بـاسم ( الشعب اليهودي ) الحرب على المانيا . ولما نقلت وقائع المؤتمر كاملة لهتلر من قبل سفيره في الولايات المتحدة جن جنونه وقال « الآن سوف ادمرهم » ثم عقد اجتماعا فوريا لجميع القيادات الألمانية في مدينة دانسي حيث صاغوا هناك الخطط التفصيلية للحل النهائي(١٥٢) ، وبالرجوع الى الفقرة السابعة من مقررات المؤتمر المذكور التي اعلنها الحاخام ستيفن وايز نرى الأصرار على انشاء القوة اليهودية لمحاربة هتلر والوقوف الكامل الى جانب الحلفاء ، يضاف الى ذلك ان المؤتمر كان يتحدث باسم جميع اليهود في كل انحاء العالم بمن فيهم اولئك الواقعين تحت احتلال المانيا والذين يقضون اسوأ ايام حياتهم في معسكرات الأعتقال(١٥٣) .

ولكن يجب ان لا نغالي كثيرا في اعطاء الأهمية لمؤتمر بلتمور ليكـون السبب الوحيد الذي دفع هتلر الى اقرار الحل النهائي ، الا انه من المؤكد ان قرارات هذا المؤتمر كانت ذريعة اساسية تذرع بها هتلر ليسرع في تطبيق حله على اليهود ، ومن هنا نستطيع ان نعتبر هذا المؤتمر سببا من الأسباب الهامة التي ادت الى النهاية ، خصوصا

---

(١٥٢) Shonfield , R . M . Page 4 .

(١٥٣) Don Haven to Conquest , Page 496 .



وان اكثر المؤرخين أكدوا أن الحل النهائي جاء مباشرة بعد اعلان نتائج وقرارات مؤتمر بلتمور . واذا كان بعض هؤلاء الكتاب من اعداء الصهيونية فان البعض الآخر هو من انصارها او من اولئك الذين لا يضمرون لها العداء وبالتالي يمكن الأعتماد على موضوعيتهم ونزاهتهم(١٥٤) .

ماذا كانت تقصد الحركة الصهيونية من وراء تحريض هتلر على اليهود ؟ وهل كانت تقصد فعلا استفزازه وحضه على قتلهم ليكونوا ثمنا للدولة اليهودية المقبلة ؟ ام انها كانت بذلك تؤكد لليهود استحالة الحياة في المنفى وان دعوة الأندماج ما هي الا ضرب من الأوهام ؟ لقد كانت الصهيونية في الواقع تقصد الأمرين معا .

ففي سنوات الحرب العالمية الثانية اعتمد كثير من الزعماء الصهاينة من اجل تسريع فكرة الهجرة اليهودية الجماعية الى فلسطين ، على استغلال كراهية اليهود لألمانيا الفاشية التي كشفت عن جوهرها الوحشي الذي تمثل في ابادة ملايين الناس بسبب انتمائهم القومي ، وعندما وضع التاريخ الزعماء الصهاينة امام خيارين ، اما اخضاع كل شيء لقضية الكفاح ضد الفاشية الداعية الى ( عداء حيواني للسامية ) ومن خلال هذا الكفاح انقاذ مئات الالآف من اليهود ، أو استغلال ابادة السكان اليهود من قبل الفاشية كدافع الى تحقيق الأفكـار الصهيونيـة . . . فضّل الـزعماء الصهاينة الأختيار الأخير(١٥٥) واهملوا فكرة الكفاح اهمالا كليا .

والتاريخ لم يثبت ان القادة الصهاينة حاولوا حث اليهود على مقاومة النازية ابان الحرب العالمية الثانية بل على العكس من ذلك كانوا باستمرار عامل تخدير لمشاعر اليهود بل شاركوا في قمع حركات المقاومة التي قامت بها الجماهير اليهودية في مختلف بلدان اوروبا(١٥٦) .

---

(١٥٤) Malvin I . Urofsly , Page 187 .

(١٥٥) تشريح نزاع الشرق الأوسط ـ بريما كوف ـ وزارة الثقافة السورية ـ دمشق سنة ١٩٧٩ صفحة ١٠٠ .

(١٥٦) المصدر السابق صفحة ١٠١ .

مع انطلاق المدافع الألمانية باتجاه بولونيا وفي ظل هذا الوضع لم يكن بمقدور المنظمة الصهيونية العالمية ورئيسها حاييم وايزمان والوكالة اليهودية برئاسة بن غوريون ، الا الأعلان عن الوقوف الى جانب انكلترا في حربها ضد النازية . واعلن قادة الصهاينة رسميا انهم سيوقفون الحرب التي شنوها على الكتاب الأبيض الأنكليزي ويقفون الى جانب الحلفاء ضد المحور الهتلري الفاشي ، وقد جرى تشكيل لواء من الجنود اليهود يدخل في اعداد الجيش الأنكليزي ، واخذت الوكالة اليهودية في فلسطين تجند المقاتلين لأستكمال تشكيل اللواء . وكان على الشبيبة اليهود اما الأنخراط في صفوف ذلك اللواء او الأنضمام الى وحدات الجيش الأستعماري الأنكليزي في فلسطين وفي المناطق الأخرى في الشرق الأوسط[١٥٧] .

لقد عملت الحركة الصهيونية على محورين اثنين ، فهي من جهة مارست عملية تخدير واسعة النطاق لجماهير اليهود حتى لا تثور هذه الجماهير على العدوان النازي الذي استهدف اجتثاثها من جذورها ، وفي نفس الوقت اعلنت الحرب من الخارج على النازية باسم يهود العالم .

---

(١٥٧) دونيف ـ ايفان صفحة ٥١ .



# القسم السادس

## التحريفيون

انصب حديثنا السابق على موقف الصهاينة ( الأشتراكيين ) من المذابح اليهودية ، صهاينة المباي الممثلين في المؤسسات الدولية الصهيونية التي تبدأ بالوكالة اليهودية وتمر عبر المؤتمر اليهودي العالمي ولجان الأنقاذ والتوزيع وتنتهي بالمؤتمر الصهيوني العالمي والى الآن لم نشر من قريب او بعيد الى دور التحريفيين في هذه المذابح وعلاقة هؤلاء بالنازيين وبغيرهم من المؤسسات والحكومات التي تبنت وطبقت ( اللاسامية ) ضد اليهود . واذا كان تاريخ صهاينة ( الأشتراكية ) حافلا بالتعاون الآثم والأتفاقات الأجرامية فان تاريخ صهاينة ( التحريف ) اكثر ( عراقة ) وابعد امتدادا في التاريخ ، حيث امتدت جذور هذا التعاون الى عام **١٩١٩** بعد الثورة الأشتراكية السوفياتية واستمرت بشكل منظم ومدروس ، تمارس بمنتهى الدقة دون ان تثير انتباه كثير من المؤرخين .

واذا كانت فضيحة رود ولف كاستنر ومحاكمات آيخمان هي التي اشارت باصابع الأتهام الى زعماء الصهيونية ( الأشتراكية ) وسلطت الأضواء على دورها التآمري مع النازيين الفاشيين ، فان جرائم التحريفيين لم تخرج الى النور ، ولم تسلط عليها الأضواء بشكل يجعلها معروفة للرأي العام ولذلك فقد حرص هؤلاء على ان يطوي الزمن جرائمهم كما طوى ضحاياهم دون ضجة .

كان اهم نشاطات فلاديمير جابوتنسكي زعيم التحريفيين التحالف غير المقدس

مع بيتلورا ، احد زعماء القوميين البورجوازيين الأوكرانيين واحد قادة الثورة المضادة في اوكرانيا في عام ١٩٢٠ . بالاضافة الى صفاته هذه كان الد اعداء اليهود . فقد اقترفت عصابته جريمة قتل ما يزيد على (١٨٠) الف يهودي في فترة الحرب الأهلية ، وفي الوقت الذي كانت الثورة قائمة في جميع اراضي الأمبراطورية الروسية السابقة وكان النضال ضد الأقطاعيين واصحاب الأطيان الكبيرة والرأسماليين في ذروته وكانت المجازر الجماعية بالنسبة لبيتلورا وسيلة مناسبة لخداع الفئات الكادحة المتخلفة وذلك بتحويل سخطها ضد اهداف كاذبة ، على اساس ان اليهود هم سبب كل شيء . اما اصحاب الأطيان فليسوا هم الاعداء بل هم « اقرباء » . ويمكن الأتفاق معهم .

وعلى الرغم من المجازر التي ارتكبت ، فقد كان جابوتنسكي راضيا كل الرضا ومستمرا في تحالفه مع بيتلورا وعمد هذا التحالف بمباركة كاملة من قبل اجتماع الرابطيين اليهود الذي عقد في نيويورك في ١٥ كانون اول سنة ١٩٢١ وتحدث فيه جابوتنسكي عن المحادثات والأتفاقات مع ممثل حكومة بيتلورا السيد سلافينسكي وبعد مناقشات طويلة اصدر الأجتماع قرارا يرحب بخطوة جابوتنسكي[١٥٨] ، والترحيب بهذه الخطوة من قبل المؤتمرين كان تأكيدا على استحالة الحياة بين ( الأعداء ) ومقتل يهود اوكرانيا دليل على ذلك . وهذا في الواقع هو تطبيق للافكار الصهيونية الداعية الى استثارة اللاسامية بكل الوسائل والتعاون مع اللاساميين المعادين لليهود واليهودية .

والذي كان يستغربه اليهود هناك ـ قبل ان يفهموا الحقيقة ـ هو انه من غير المعقول ان يدعم البيتلوريون ، وهم من اللاساميين المتعصبين ، اليهود الصهيونيين بينما يتحالف هؤلاء مع ألد اعداء اليهود . الا ان استغرابهم هذا زال وانتهى حينما شاهدوا الزعيم الصهيوني ( بينخوس كراسنر ) يجلس على منصة احتفال للقوات البيتلورية ويحيي هذه القوات بصفته وزيرا للشؤون اليهودية في حكومتهم .

(١٥٨) برودسكي ، شوليستر صفحة ٧٥ .



ونقتطف هنا بعض العبارات التي اوردها ( س . سولودار ) صاحب كتاب العشب الضار[١٥٩] في رسالة خطها مجموعة كبيرة من العاملين في الأقتصاد الوطني والثقافة والعلم في اوكرانيا السوفياتية عام ١٩٧٠ : « اننا نعرف حق المعرفة الدور المخجل الذي قام به زعماء العصابات الصهيونيين في سنوات الحرب الأهلية بتآمرهم مع دينيكن وبيتلورا وبيلسودسكي وقرانفل الذين نظموا المجازر الدموية لليهود » .

ونقتبس اقوالا للكاتب الأوكراني الشهير ناتان ريباك المتمرس بتاريخ النضال من اجل اوكرانيا السوفياتية حيث قال : « لقد تعاون الصهيونيون مع المجلس المركزي البرجوازي للحكومة البيتلورية وكان عندهم في هذه الحكومة وزراء وهذا طبيعي اذ ان مصالح البرجوازية كانت اقرب اليهم من مصالح الشعب العامل . ان جابوتنسكي قام بنشاط جدّي لتشكيل وحدات عسكرية صهيونية لمساندة القوات البيتلورية وكان ذلك في نفس الوقت الذي نظّم فيه جماعته المجازر الدموية في العديد من المدن والقرى وليس هذا مما يثير الدهشة ، فالذئاب لها نفس العادة ونفس القابليات » .

وعندما رفرفت الأعلام السوفياتية فوق جميع اوكرانيا فهم جابوتنسكي انه لم يبق له مكان على الأرض الأوكرانية . الا ان اوكرانيا ومواطنيها من اليهود لم ينسوا الثمار الدموية لتحالف النفاق بين الأيدولوجي المتحمس للقومية اليهودية البورجوزاية جابوتنسكي وصنيعه القومية الأوكرانية البورجوازية بيتلورا صاحب التنكيل الشنيع باليهود . ولم يصب احد بالدهشة عندما ذرف الزعيم الصهيوني الدموع الساخنة عام ١٩٢٦ على حليفه الذي قتل في باريس »[١٦٠] .

تلك كانت الحلقة الأولى من مسلسل تحالفات التحريفيين مع اعداء اليهود ولكنها لم تكن الحلقة الوحيدة ،ففي عام ١٩٢٣ استقال من اللجنة الصهيونية التي

(١٥٩) العشب الضار ـ س . سولودار صفحة ١ ـ ١٩ .

(١٦٠) المصدر السابق صفحة ٢٠ .

سبقت قيام الوكالة اليهودية[١٦١] وانشأ حركته التصحيحية او التحريفية واصبحت معروفة بهذا الأسم وقد عقدت اول مؤتمر لها عام **١٩٢٣** في مدينة ميلانو الأيطالية وكان شعار هذا المؤتمر ـ لنقم نظاماً ايطالياً في الشرق ـ[١٦٢] .

واقتفاء لأثر تيودور هيرتزل المسمى مؤسس الحركة الصهيونية كان جابوتنسكي يجري اتصالات مع رؤساء الدول وكان اكثر ميلا الى اشرس المعادين للسامية امثال المارشال ( بيلسودسكي ) زعيم بولونيا وموسوليني زعيم الفاشية الأيطالية الذي كان يعتبره جابوتنسكي مثله الأعلى ، فبعد ان تسلّم السلطة عام **١٩٢٢** كتب له رسالة وارسل له مبعوثا خاصا . وفي عام **١٩٢٤** قام مانسيني الممثل الرسمي للحزب الفاشي الأيطالي بزيارة الى فلسطين لأقامة علاقات مع الحزب الفاشي اليهودي[١٦٣] .

ورحّبت وكالة انباء اوبانتي مودرنو الايطالية الفاشية بحرارة وحماس بمؤتمر التحريفيين الذي انعقد عام **١٩٣٥** وذلك بسبب المساندة التي قدمتها هذه الحركة لايطاليا خلال حملة الحبشة . ولعل سبب هذا الحماس الأيطالي للحركة الصهيونية هو اهتمام الفاشست الطليان باضعاف النفوذ البريطاني في فلسطين . لقد صرح موسوليني لحاخام روما براتو عام **١٩٣٥** بما يلي : « ان مقومات نجاح الحركة الصهيونية هو ان تكون لها دولة يهودية ذات راية يهودية ولغة يهودية وثمة شخص يدرك هذا جيدا هو مواطنكم الفاشي جابوتنسكي » وبعد هذا التصريح كان ديفيد بن غوريون يفضل ان يطلق على فلاديمير جابوتنسكي اسم فلاديمير هتلر[١٦٤] .

---

(١٦١) دولة اسرائيل والصهيونية ـ جورج مكاي ـ عن اللغة المجرية ـ لجنة الدراسات لفلسطينية سنة **١٩٧٩** ـ صفحة **٢٥٦** .

(١٦٢) اسس جابوتنسكي منظمة ( بيتسار ) حيث كان لها فروع في بولونيا ولها نشيد يقول : المانيا لهتلر . . ايطاليا لموسوليني . . فلسطين لنا . . عاش جابوتنسكي .

(١٦٣) جورج مكاوي . . صفحة **١٠٢** .

(١٦٤) دونيف . . ايفان صفحة **٣٣** .



وعلى الرغم من أن التحريفيين كانوا مضطرين في تلك الأيام الأبتعاد قليلا ـ ولو بشكل ظاهري ـ عن الايطاليين بسبب موقف المانيا المعلن من اليهود ، الا ان التعاطف ظل قائما حتى النهاية اذ ان عصابة شتيرن التي انبثقت عن التحريفيين في مطلع الأربعينات كانت ترسل التقارير والمعلومات للمخابرات الفاشية الأيطالية خلال سنوات الحرب العالمية الثانية[١٦٥] .

وتأكيداً لأستمرار الصلة بين الطرفين ( التحريفيين والفاشيين ) فقد اسس موسوليني مدرسة بحرية فاشية في مدينة سفيتا فيشي عام **١٩٣٤** يلتحق بها الصهاينة المعجبون بالفاشية ويلتحق بها ايضا شبان التحريفيين المنضمين الى مدارس التدريب السياسي التابعة للحركة[١٦٦] .

هذه العلاقات الوثيقة جعلت ولفغانغ فون فيزل المدير المالي للحركة يعلن قائلا : « مع ان الآراء بين اعضاء الحركة تختلف ، الا انهم بوجه عام يتعاطفون مع الفاشية وهو ( جابوتنسكي ) شخصيا كان مؤيدا للفاشية وقد ابتهج كثيرا من انتصار ايطاليا الفاشية في الحبشة ( اثيوبيا ) واعتبر ذلك نصراً للعرق الأبيض على العرق الأسود[١٦٧] .

ومن شدة اعجاب جابوتنسكي بالفاشية كان يطمح الى تطبيق النموذج الفاشي في فلسطين اذ اعلن مرة قائلا : « ماذا نريد نحن ؟ اننا نريد امبراطورية يهودية ، وتماما حسب ما تقع ايطاليا او فرنسا على البحر الأبيض المتوسط فاننا نريد امبراطورية يهودية تقع عليه ايضا » .

قبل ان تتحول حركة التحريفيين بقيادة جابوتنسكي الى اتحاد صهيوني عالمي

---

(١٦٥) جورج مكاوي صفحة **١٣٤** .

(١٦٦) مجلة نظرة الشرق الأوسط . . عدد تموز ، آب سنة **١٩٧٩** نيويورك مقال بقلم لين برامبير .

(١٦٧) المصدر السابق .

ذي طابع فاشي ، كانت هذه الحركة تقتصر على نشاطها في بولونيا وأوكرانيا الغربية . وعندما طرح جابوتنسكي برنامج حزبه الصهيوني الجديد ذي النقاط الأربع[١٦٨] ، وذلك في عام ١٩٢٥ ، وكانت النقطة الرابعة تؤكد على التعاون بين جميع يهود بولونيا بغض النظر عن انتمائهم الطبقي بهدف انتشار الصهيونية ، واذا كان جابوتنسكي يلتقي في افكاره هذه مع الأحزاب الصهيونية المختلفة فيما يتعلق برفض الصراع الطبقي ، الا انه يفهم العالم الطبقي على انه خضوع العمال للرأسماليين خضوعا يرفض اي شكل من اشكال الصراع من اجل الحقوق المهضومة ، بما فيها الشكل التقليدي المنتشر على نطاق واسع في العديد من البلدان الرأسمالية . وهو مثلا يرى انه اذا قام العمال باضراب فلا بد من مقاطعة المضربين اقتصاديا . وفي عام ١٩٣٢ وحين بدأت في فلسطين موجة اضراب الكادحين اليهود ضد الأستغلال المطلق الذي يمارسه ضدهم الرأسماليون في ذلك الحين طبّق الجابوتنسكيون افكارهم على ارض الواقع فوقفوا ضد المضربين وهاجموهم وقدموا لأرباب العمل الكوادر اللازمة لتعويضهم[١٦٩] .

ومن مظاهر هذا التعامل ان اللاساميين البولونيين الذين يريدون التخلص من اليهود كانوا قد درّبوا جماعة الأرغون في جبال الكربات ، وفي هذه الأثناء طالب اعضاء هذه الحركة بولونيا ان تلح على بريطانيا لألغاء انتدابها على فلسطين لتتسلم هي ( اي بولونيا ) هذه المهمة . وهكذا يستطيع البولونيون التخلّص من جميع اليهود غير المرغوب فيهم بنقلهم الى فلسطين . وتمهيدا لهذا النقل فلا بد من زعزعة وجود اليهود في بولونيا وتشكيكهم في انتمائهم الى الوطن البولوني وبهذا الصدد كتب بن فورمر : « انها لوقاحة من جانب اليهودي ان يطالب بان يعامل بمحبة كما يعامل الألماني او البولوني في بولونيا ، نعم يجب عليه ان يحرس بحذر وحيطة حياته وحريته ،

(١٦٨) برودسكي ، شوليستر صفحة ٧٦ ، ٧٧ .

(١٦٩) المصدر السابق صفحة ٧٦ ، ٧٧ .



ولكن يجب عليه ان يعترف بنزاهة انه لا يتبع لأي بلد ، انه ضرب من الخيال الحديث عن وجود مساواة تامة لأن هذا امر غير واقعي »[١٧٠] .

ولم يكتف التحريفيون بهذه الممارسات الواضحة ضد اليهود بل سار ( آبا اشيمير ) شوطا ابعد في طريق الجنون والأنجراف وهو اكثر المعجبين بين اعضاء حركة التصحيح بهتلر وموسوليني اذ كتب في مفكرته يقول : « اتمنى لو يذبح مليون من اليهود البولونيين ، فعندئذ ربما يشعرون انهم يعيشون في غيتو ( حي الأقليات ) . ورغم هذا التحريض السافر ضد اليهود من قبل اليهود ) فانه لم يؤثر في البداية على اوضاعهم وارتباطهم بترابهم الوطني ، ولقد شنّت الصحف اليهودية حملات مركزة على برنامج الهجرة الذي اعلنته الحركة التحريفية واتهمتها بوضوح وصراحة انها تقوم بتحريض اللاساميين وان هذا البرنامج هو ضرب من الخيال الجامح . ولم يكن اليهود وحدهم وما يشاع اليوم من ان اليهود كانوا محاطين من كل صوب ببولونيين معادين للسامية ما هو الا كذبة صهيونية ليبرر الصهاينة افعالهم وممارساتهم .

ان اللاسامية البولونية كانت حركة من الطبقات الوسطى والعليا في البلاد الذين ارادوا التخلص من المنافسة اليهودية ، اما العمال البولونيون فقد كانوا اشتراكيين منذ عدة عقود وقد ادركوا انه اذا انتصرت اللاسامية البولونية فان مصيرهم سيكون مصير اقرانهم من المفكرين الألمان الموت او معسكرات الأعتقال . ولذلك نراهم يلتحمون مع اليهود امثالهم ويدافعون عنهم . هذا ما يعززه تقرير اوردته جريدة البالستاين بوست ( Palestine Post ) وجاء فيه : « كلما كان يخرج الطلبة المعادون للسامية في احدى تظاهراتهم العديدة كان الطلاب والعمال البولونيون من غير اليهود يهرعون الى مساعدة اليهود »[١٧١] .

لم يكن التحالف الصهيوني مع الرجعية البولونية مؤقتاً ولا مرحلياً . فقد كانت

(١٧٠) مجلة نظرة الشرق الأوسط ـ عدد تموز ، آب سنة ١٩٧٩ .

(١٧١) Palestine Post - 29 - 1 - 1939 .

سياسة الصهاينة الموجهة نحو فصل العمال عن الصراع الطبقي تناسب حكام بولونيا الفاشيين وليس من باب المصادفة ان يسود بين الجانبين تفاهم متبادل ، ناجم عن الدعم المتبادل وعن النشاطات المشتركة وقد اتخذت هذه العلاقات المتبادلة طابع الرسمية فعقب الأنقلاب الفاشي في ايار سنة ١٩٣٦ وافقت الحكومة الجديدة على ما يسمى الأتفاقية البولونية ـ اليهودية لعام ١٩٢٥ . وقد جاءت هذه الأتفاقية حسب ما اشار المؤتمر الثاني للحزب الشيوعي الأوكراني لتشد البرجوازية اليهودية الى عربة الأمبريالية البولونية .

ولفضح طبيعة اتفاقية البورجوازية اليهودية البولونية اكدت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي لغرب اوكرانيا في منشور صدر باللغتين البولونية والعبرية ان هذه الأتفاقية موجهة ضد الأقليات القومية في بولونيا . ودعت اللجنة المركزية الى الكشف عن خيانة الصهاينة الذين يتطلعون نحو تحويل الجماهير اليهودية الى جلادي الحركة التحريرية التي يخوضها الشعب الأوكراني .

وتعبيراً عن سعادة القادة الصهاينة بهذه العلاقة ، فقد اعلن ناحوم سوكولوف احد زعماء الحركة الصهيونية العالمية انه سعيد لأن الحكومة البولونية تتعاون مع حركتهم الشعبية . الا ان هذا التحالف لم يتأثر ابدا بالنشاط المعادي للسامية الذي كان يمارسه زعماء بولونيا الفاشيون وانصارهم . وان تأثر هذا التعاون لهذا السبب فسيكون نحو تمتينه وليس نحو اضعافه لأن هذا ما تريده الصهيونية فعلا »[١٧٢] .

وجاء العهد النازي ليحتل بولونيا ويتفرّق اعضاء حركة التحريف بين مهاجر الى فلسطين ومتعاون مع النازيين تاركين جماهير اليهود دون قيادة او مساعدة او توجيه ، يواجهون مصيرهم وحدهم . وكان على رأس الهاربين مناحيم بيغن الذي علل اسباب هروبه بانه اول من سيعدم لو ان الألمان اعتقلوه . ولكن لا يوجد ادنى دليل على هذا القول والدلائل المنطقية لم تظهر ابدا ان ذلك يمكن ان يحدث .

(١٧٢) برودسكي ، شوليستر صفحة ٨٦ ، ٨٧ .



فالنازيون لا يرون ان الصهيونية تشكل خطرا عليهم . لم يكن بيغن وحده من القادة الهاربين بل كان ايضا ناتان بلين مور الذي اصبح قائد عصابة شتيرن بعد وفاة ابراهام شتيرن زعيمها . وكذلك موشيه شينه رئيس الأتحاد الصهيوني البولوني ورئيس الهاغاناه من ١٩٤١ ـ ١٩٤٦ .

اما ابرز المتعاونين مع النازيين بعد الأحتلال فقد كان جوزف غلازيان رئيس جماعة الشباب في حركة التحريف الذي عيّن مفتشاً للبوليس اليهودي في مدينة فيلنا . وتبوأ غيره مراكز اخرى ذات اهمية في كل من وارسو ولودر[١٧٣] .

بدأت سيول النازية والحملات اللاسامية التي اشعلتها الصهيونية متعاونة مع كل الأنظمة ذات الطبيعة العنصرية . وأشارت مجلة دير شبيغل[١٧٤] في سلسلة مقالات كتبها هانس هينه في كانون اول سنة ١٩٦٦ الى أن هذه الظروف التي تعرّض لها اليهود جعلت من غير العسير العثور على المرشحين للهجرة الى فلسطين ، فمئات الألوف من اليهود المذعورين كانوا يرون في فلسطين الملاذ الوحيد لهم ـ بعد ان اقفلت كل الأبواب في وجوههم ـ بيد ان دعاة الصهيونية الذين كانوا حتى وقت قريب يحاولون باصرار اقناع كل من هب ودب على الهجرة الى ( ارض الميعاد ) في فلسطين غيّروا الآن لهجتهم ولم يعودوا يرضون قبول الا اولئك القادرين على تحمل المصاعب والمؤهلين للأشتراك في المعارك ضد المقاومة العربية ، وهكذا انتقلت الصهيونية الى مبدأ الأختيار والاصطفاء في عملية الهجرة .

ويشير هينه ايضا الى العلاقات الوثيقة التي ربطت التحريفيين مع النازيين ، حيث قامت علاقات وثيقة مع المنظمة العسكرية الصهيونية ( الأرغون ) . ولم يكن اعضاء الأرغون يكتمون اعجابهم بالنازيين بل كانوا يقفون علنا الى جانب المانيا الهتلرية ، وكان ابراهام شتيرن احد الذين اقاموا اتصالات مع هتلر عام ١٩٤١

(١٧٣) مجلة نظرة الشرق الأوسط عدد تموز ، آب سنة ١٩٧٩

(١٧٤) دونيف ايفان صفحة ٤٠ .

مؤملا ان يبادر هذا الى ارسال اسطول كبير يحمل عشرات الألـوف من اليهود الى البحر المتوسط ليحاربوا قوات الحلفاء . ولذلك فان انصاره هم اول من شهر السلاح بوجه البريطانيين في فلسطين وحتى يحقق هذا التعاون بشكل مثمر وجيد ارسل احد اعوانه وهو ( ليونيتشك ) الى ( سورية ) ليعاون الهتلريين في نشاطهم ضد الحلفاء ، ولكنه ما لبث ان اعتقل . ولنفس الغرض ارسل شتيرن مساعداً آخر له هو ( ناتان فريمان ـ الين ) وهو نفسه ( ناتان يلين مور ) الذي ورد اسمه قبل قليل . ارسله الى دول البلقان ولكن كان نصيب هذه المهمة ايضاً الفشل . وفي عام ١٩٤٢ اعتقل الأنكليز ابراهام شتيرن في تل ابيب ونفذوا فيه حكم الأعدام بعد ان اتضح انه جاء الى فلسطين كي يحقق الأغراض المشتركة التي تربطه بالفاشية الهتلرية .

ان امر العلاقة التحريفية النازية ، لم يقف عند حـدود المهام الفـاشلة وانما تعدى ذلك الى تقديم اقتراحات ومشاريع اتفاقات بين الطرفين ، ولقد حاولت هذه الحركة بكل الوسائل ان تطمس معالم هذه الأتفاقات ولكن التاريـخ يبقى الحكم الفصل .

تحت اشارة ( سر قيادي ) وبتوقيع هايدرش وبتاريخ ـ برلين ١٩٣٧/٦/١٧ وتحت رقم ٣٧/٩٨٤ نعرض هنا وثيقة تتضممن المضامين الأساسية لأقتراح المنظمة العسكرية القومية في فلسطين بخصوص حل المسألة اليهودية في اوروبا والمساهمة الفعالة للمنظمة العسكريةالقومية في فلسطين في الحرب الى جانب المانيا . وهذا نص الوثيقة : ـ

( « لقد ابرز من قبل رجال الدولة قادة المانيا القومية الأشتراكية في اقوالهم وخطاباتهم ان اعادة تنظيم اوروبا يتطلب حل المسألة اليهودية عن طريق ترحيلهم بحيث تصبح اوروبا خالية من اليهود » .

« ان ترحيل الجماهير اليهودية من اوروبا هو شرط لحل المسألة اليهـودية ، ولكن هذا الحل ممكن بشكل نهائي فقط عبر ترحيل هذه الجماهير الى وطن الشعب



اليهودي في فلسطين واقامة دولة اليهود ضمن حدودها التاريخية » .

« ان حل المسألة اليهودية بهذه الطريقة وتحرير الشعب اليهودي بشكل نهائي ودائم هو هدف النشاط السياسي ونضال حركة التحرر الأسرائيلية ( المنظمة القومية العسكرية في فلسطين ) ـ ارغون زفاي ليؤمي ، وذلك منذ عشرات السنين » .

« ترى المنظمة القومية العسكرية في فلسطين والتي تعلم جيدا موقف الحكومة الألمانية الأمبراطورية ومؤسساتها تجاه النشاط الصهيوني داخل المانيا وخطط الهجرة الصهيونية انه : ـ

١ ـ يوجد لقاء مصلحي بين إعادة تنظيم اوروبـا حسب المخطط الألمـاني والطموحات القوميـة الحقيقية للشعب اليهـودي التي تتجسد في المنـظمة القـومية العسكرية في فلسطين .

٢ ـ ان التعاون بين المانيا الجديدة والشعوب القومية العبرية ممكن .

٣ ـ ان تأسيس دولة اليهود التاريخية على اسس قومية ومطلقة والتي تكون في علاقة تعاقد مع الأمبراطورية الألمانية هي في مصلحة حماية وتقويـة مراكـز القوى الألمانية في الشرق الأوسط مستقبلاً .

« وانطلاقاً من هذه التصورات تتقدم المنظمة القومية العسكرية في فلسطين لحكومة الأمبراطورية الألمانية ـ بشرط اعترافها بالطموحات القومية لحركة التحرر الأسرائيلية ـ بعرض المشاركة الفعالة في الحرب الى جانب المانيا » .

« ان هذا العرض للمنظمة القومية العسكرية في فلسطين والذي يمتد نشاطها الى المجالات العسكرية والسياسية والأعلامية لا يقتصر على حدود فلسطين بل يمتد بعد فترة معينة من التحضير التنظيمي الى خارجهـا . ان ذلك مـرتبط بالتـدريب العسكري والتنظيمي للقوة اليهودية في اوروبا تحت اشراف وقيادة ( المنظمة ) في وحـدات ومشاركـة هذه الـوحدات في العمليـات العسكريـة الهادفـة الى احتلال

فلسطين . وفي حالة تأسيس جبهة هناك فان المساهمة المباشرة لحركة التحرير الأسرائيلية في اعادة تنظيم اوروبا في مرحلتها التحضيرية مرتبطة بحل المشكلة اليهودية في اوروبا حلاً ايجابياً وجذرياً بما يتطابق مع الطموحات القومية المذكورة للشعب اليهودي . ان هذه المساهمة ستدعم الأسس الأخلاقية لعملية إعادة تنظيم أوروبا امام اعين البشرية بشكل منقطع النظير » .

ان تعاون حركة التحرر الأسرائيلية تقع ضمن الخط الذي رسمه المستشار الأمبراطوري في خطاباته الأخيرة والتي اكد فيها ان سيستخدم أي حلف من اجل عزل وهزيمة بريطانيا » ) .

الى هنا ينتهي نص هذه الوثيقة التي نستقي من قراءتها مجموعة نتائج هي في الحقيقة افكار الصهيونية بشكل عام وأفكار التحريفيين بشكل خاص فيما يتعلق بالتعاون مع النازيين ومن ثم مدى الأهتمام بمستقبل اليهود باعتبار هذا المستقبل سيكون الثمن الذي تقدمه الصهيونية للوصول الى الدولة التي تنشدها : ـ

١ ـ هناك موافقة تامة على ان تنظيم اوروبا لا يتم الا بعملية ترحيل لليهود منها ، ولم ترد بهذا الصدد كلمة رحيل التي تجعل الهجرة طوعية اختيارية وليس فيها اجبار او ضغط ولكن المقصود من قبل المنظمة العسكرية القومية هو الأجبار .

٢ ـ تقر الوثيقة ان السلطات الألمانية ترعى النشاط الصهيوني في المانيا القائم على استثارة اللاسامية وتنظيم خطط التهجير اللازمة .

٣ ـ تعرض المنظمة خدماتها المستقبلية على المصالح الألمانية في منطقة الشرق الأوسط فيما اذا قامت الدولة لتكون الحارس الأمين لمصالح المانيا . وهي ستكون مستعدة لتطيل ذراعها خارج فلسطين بالكيفية التي يتطلبها تحقيق هذه المصالح .

٤ ـ واضح ان الميكافيلية تسيطر على عقول التحريفيين كبقية الصهاينة عندما تسوغ الغاية الوسيلة والأستعداد للتعاون مع الأعداء في سبيل الوصول الى



الهدف . هذا اذا نظرنا للعلاقة من زاوية يهودية محضة وليس من زاوية الفكر الصهيوني .

٥ ـ ان السؤال الذي يطرح هنا هو ان فلسطين لا يمكن ولم يكن ممكناً لها ان تستوعب كل اليهود المقيمين في اوروبا والبالغ عددهم اكثر من ستة ملايين ، اذا كيف يتم الأتفاق على اخلائهم او بمعنى ادق التخلص منهم مقابل المساعدة في التدريب وتقديم العون العسكري . اليس في هذا دعوة صريحة وواضحة لألمانيا لتقتل من تريد وتترك للصهاينة من تحتاج من الشبان .

كثيرون في العالم انتبهوا الى هذه المواقف وكثيرون عرفوها وقاسوا منها ولكن نظراً لأن التخلص من اليهود لم يكن موقفاً المانيا فحسب بل ايضاً موقف امريكي بريطاني صهيوني ، لذلك كان لا بد من اخماد وسحق كل الأصوات التي تتحدث عنه حتى تطوي صفحات التاريخ هذه . الا ان هذا لم يمنع كثيرين من مفكري اليهود وغير اليهود ان يرفعوا اصواتهم ويوجهوا اصابع الأتهام الى بيغن وشركاءه وسلفه وكل ما كان له يد او ضلع في هذه المؤامرة القذرة ، وهذا ما دفع ليني بارنر ليكتب مقالا في مجلة ( نظرة الشرق الأوسط ) عن دور بيغن وشركاءه خلال مرحلة الأبادة . وهذا ما دفع ايضا مجموعة من المفكرين امثال : حنا آرندت وألبرت آينشتاين وسيدني هوك ليبعثوا برسالة مشتركة الى جريدة نيويورك تايمز يقولون فيها(١٧٥) : ـ

« ان من اكثر الظواهر السياسية ازعاجا في عصرنا قيام ( حزب حيروت ) في ارض اسرائيل هذا الحزب المنسجم جداً مع الحزبين النازي والفاشي ، وانه لأمر لا يمكن تصوره ان اولئك الذين عارضوا الفاشية في العالم يمكن ان يضموا اصواتهم ودعمهم لهذا الحزب الذي يمثّله بيغن اوأنه لأمر حتمي ان الحقيقة بشأن السيد بيغن وحركته ، يجب ان تعلن وتعرف في هذا البلد » .

---

(١٧٥) جريدة نيويورك تايمز ٤ كانون اول سنة ١٩٤٨ .

لكن الحقيقة التي تمنى اصحاب هذه الرسالة ان تعرف في ( بلد الحرية ) امريكا خنقت وحرّفت وطويت صفحتها لتحل محلها صفحة جديدة اراد لها اصحابها ان تكون مشرقة مضيئة . وأمعن هؤلاء بتزوير حقائق التاريخ ، ويبلغ امعانهم ذروته عندما يعلن الرئيس جيمي كارتر رئيس الولايات المتحدة انه يخطط لبناء نصب تذكاري لضحايا المذبحة النازية من اليهود . وجاء هذا الاعلان في الوقت الذي كان كارتر يجتمع فيه مع بيغن حول مفاوضات معاهدة السلام المصرية الاسرائيلية .

قلما يقوم السياسيون بعمل دون قصد ، ولذلك فان الربط بين بيغن وإشادة النصب التذكاري ليس استثناء لهذه القاعدة . ان كارتر يحاول ان يقدم سببا منطقياً لاستمرار الدعم الأمريكي لاسرائيل على الرغم من ازدياد الشكوك حول تصرف بيغن . ولما كان عامة الناس يعرفون المصير الذي حل بالضحايا ـ ولكنهم لم يعرفوا القتلة ـ فإن عليهم حسب منطق كارتر ان يروا في الصهيونية حلاً لتلك القرون من العداء للسامية الذي توجته فظائع هتلر ، ونهاية سعيدة لكل تلك القصة الحزينة .

ولكن اذا كان البعض يجهل دور بيغن وسجله الحافل في هذه القصة فإن البعض الآخر يعرف ذلك معرفة جيدة . وهذا ما سيجعل كارتر يقع في مأزق جماهيري حينما يقول للملأ بعد اجتماعه ببيغن انه قد تأثر كثيراً بذكرى عملية الابادة ، اذ ان هذا الأعلان يفترض ان بيغن هو الناطق المثالي والمناسب للتحدث باسم الملايين من اليهود المبادين . فاذا كان كارتر ومن ورائه الشعب الأمريكي لا يعرفون شيئاً عن سجل بيغن ، فان يهود بولندا الذين أبيدوا يعرفون بيغن . لذلك فان وجود اية صلة له مهما كان نوعها بموضوع اقامة نصب تذكاري ستذهلهم وتجعلهم يظنون انها تمثل سخرية بحق مصيرهم .

عندما زار كارتر اسرائيل في ١ آذار سنة **١٩٧٩** أخذه بيغن لزيارة قبر فلاديمير جابوتنسكي زعيمه ومؤسس حركته . والذي يصفه بيغن بأنه ( نبوي ) الأعمال خلال عملية الأبادة ولا ندري اي صنف من الأنبياء كان جابوتنسكي هذا . واي نبي هذا الذي قتل اتباعه وتآمر على رعيته ووضع يده بيد اعدائهم ؟



# الإتصـــالات السرّيـــة

# بين قيادة الحركة الصهيونية وألمانيا النازية

# ١٩٣٣ ـ ١٩٤٥

## الفصـــل الثالـــث

## المتواطئـــون

ان ما نستخلصه من المعلومات التي وردت في الفصل الثاني والتي حاولنا قدر المستطاع معرفتها ، تعطينا فكرة واضحة عن موقف قيادة الحركة الصهيونية « في المنفى » والمقصود هنا تلك القيادات التي كانت بعيدة عن ارض المعركة وموقع الخطر ، سواء أكانت في فلسطين ام في أوروبا الغربية ام في امريكا اذ انها لم تر ما حصل لليهود على ايدي النازية . ولكنها استطاعت لفترة طويلة ان تدعي انها لم تعرف ولم تسمع . وتمكنت من تحويل الأنظار عن دورها من اجل توجيه الأتهام بشكل مطلق لألمانيا النازية . لذلك فقد اعتبرت ان كل عمليات التعاون مع النازيين انما هي من اجل انقاذ اليهود وتخليصهم من براثن الأعداء ونظرا لما وصم به النظام النازي من السمعة السيئة ، ولما ارتكبه من جرائم بحق معظم شعوب الأرض ، ونظرا لتبنيه السياسة التوسعية القائمة على نظرية المجال الحيوي للشعوب « الراقية » . نظرا لكل ذلك فانه من المنطقي والمعقول ان يصدق العالم ما قاله قادة الحركة الصهيونية وما جنحوا اليه من تزوير الحقائق وتغيير لمعالم التاريخ ، لذلك فانه يصعب على اي باحث ان يزيل من اذهان الناس ركام المعلومات المزيّفة التي « حشت » بها الحركة الصهيونية تلك الأذهان . يصعب عليه ايضا ان يحاول تغيير

المفاهيم الراسخة والمترسبة على مدى ثلث قرن أو أكثر ، مهما كانت البراهين قوية ومهما كانت دقة الوثائق ومصداقيتها ، يبقى المنطق الذي يحاكم بموجبه الأنسان العادي الأمور العامة ، هذا المنطق يقف بكل تأكيد الى جانب تبرئة قيادة الحركة الصهيونية ، لانه من غير المعقول ان يدعي انسان انه ينتمي الى « شعب » وانه صاحب الحق في تمثيل هذا الشعب وان هذا « الشعب » يتعرض لحرب ابادة ثم يكون هذا الأنسان ابرز المتواطئين والمتعاونين على ابادة « شعبه »[1] .

تلك هي المعضلة التي تواجه اي باحث يريد ان يغوص في مثل هذا الموضوع ، والذي يزيد الأمر غموضا هو ان الشعب الألماني لا يرغب في اثارة هذه القضية مرة اخرى ـ وهو الذي يملك الوثائق والمستندات ـ لأنه يعيش عقدة الذنب ويشعر انه يحمل دور الرايخ الثالث الذي تلاحقه لعنته الى يومنا هذا ، بالأضافة الى هذا وذاك فان الدول الغربية وعلى وجه الخصوص امريكا وانكلترا وفرنسا تملك هي الأخرى الأدلة والبراهين على صحة ما اتجهنا اليه ، ولكنها ولسببين اثنين لا ترغب في الكشف عما لديها : ـ

اولهما : ان هذه الدول هي التي لعبت الدور الأساسي في قيام ونمو الحركة الصهيونية وهي التي ساعدتها على اقامة « الوطن القومي » في فلسطين . ولذلك فليس من مصلحتها الكشف عن الحقيقة لأن ذلك من شأنه ان يدينها ويضعها في قفص الأتهام كشريك ـ متواطىء او ساكت ـ على المذابح التي حصلت لليهود . لذلك عمدت هذه الدول الى اخماد كل الأصوات . واخفاء الأدلة والبراهين التي تشير بوضوح الى المجرمين الحقيقيين والى شركاء النازيين الذين ساهموا مساهمة فعالة في المذابح .

اما السبب الثاني : فانه يتعلق بالدور الذي لعبته هذه الدول في اقفال ابوابها بوجه المهاجرين اليهود والهاربين من الجحيم النازي ، بحيث تركتهم يواجهون

(١) تفاصيل هذا الموضوع وردت في الفصل الثاني من هذا البحث .



مصيرهم وحدهم دون اية مساعدة او عون . ولذلك نرى ان هذه الدول حاولت ان تخفي هذا الجانب من النشاط الأجرامي حتى لا تدينها الأجيال اليهودية وغير اليهودية ، وكثيرا ما لاحظنا مؤخرا ان هذه الدول حينما تضطر للدفاع عن نفسها في هذا المجال تلقي باللائمة على الزعامات الصهيونية التي كانت ترفض فتح ابوابها امام جحافل المهاجرين اليهود . بينما ترد الزعامات الصهيونية التحية الى هذه الدول . والحقيقة ان الطرفين كانا متفقين فيما بينهما على كل شيء .

اذا كانت الوثائق الخاصة بهذه القضية قد اخفيت معالمها واسدل عليها ستار كثيف ، فكيف يمكن الحصول على وثائق عن تعاون القيادات الصهيونية ـ التي كانت تحت الأحتلال ـ مع السلطات النازية ؟ فاذا كان الأمر في القضية الأولى يبدو صعبا فانه في القضية الثانية يكاد يكون مستحيلا . وسبب ذلك هو ان آثار الضحايا قد اختفت ، كما اختفت معالم القتلة ، الأمر الذي زاد الموضوع غموضاً وابهاماً .

وكادت تضيع كل خيوط الأحداث ، لولا قلة من الناس ـ يهود او غير يهود ـ بقوا على قيد الحياة وعاشوا تلك الأحداث وقاسوا منها . هؤلاء بدأوا يتحدثون ويشيرون باصابع الأتهام الى زعامات كانت ولا تزال في نظر الكثيرين مقدسة . وتدين مواقف دول لم يكن يخطر بالبال ان ترتكب مثل هذه الجرائم . ولكن الأمر الذي لم يعد يستغربه احد هو انه كلما ظهر شاهد او مدّع في قضية تتعلق بتلك المأساة ، لاقى حتفه في ظروف غامضة لا تعرف اسبابها . وكل رجال الفكر والاعلام والصحافة والكتاب الذين تعرضوا من قريب او بعيد لكشف زوايا الموضوع تعرضوا الى اسوأ انواع القمع والأضطهاد والملاحقة . ورغم ذلك ظهرت من هذا الظلام بعض اشعة الحقيقة التي تبلورت في مؤلفات مختلفة وكتابات متفرقة يستطيع الباحث من خلالها ان يكون صورة تقترب كثيرا من الحقيقة وتشكل اطارا يمكن الأعتماد عليه كوثيقة تاريخية لتلك الحقبة من الزمن تحدد من خلالها الأدوار التي قامت بها كل جهة والأعمال التي مارستها .

وهكذا اصبح من الممكن ان نلقي الضوء على دور القيادات الصهيونية التي كانت تحت الأحتلال الألماني ، وكذلك ان نعرف ابعاد التعاون الذي تم بين الطرفين ، هذا التعاون الذي كانت ثمرته الأساسية التضحية بألآف اليهود مقابل « انقاذ » افراد قلائل ينتمون الى الحركة الصهيونية او يمتون بصلات القربى او الصداقة الى هذه القيادات .

الا ان نقطة الضعف الوحيدة التي تملي امانة الحديث الأشارة اليها . تلك التي كثيرا ما تذرع بها قادة الصهيونية وهي انهم كانوا تحت الأحتلال وكانوا مغلوبين على امرهم لا حول لهم ولا قوة ، ولا يملكون من امرهم شيئاً ، وانهم كانوا ـ القيادة ـ كبقية اليهود رهائن لدى عدو قوي جبار قادر على اهلاكهم جميعا . لذلك فقد كان تعاونهم نابعا من منطلق الأنقاذ والحرص على ما يمكن انقاذه . وما دام الجميع مكتوبا عليهم الفناء ( وهذه ذريعتهم ) فلماذا لا يراوغون هذا العدو ويناورونه حتى ينقذوا اخوانهم ؟ وهم ان تعاونوا فانما فعلوا ذلك رغم انوفهم لأنهم كانوا مضطرين حتى ينفذوا بجلودهم وجلود ما امكن ان ينقذوهم معهم .

والحقيقة ان هذا منطق سليم اذا جرد من كل الملابسات التي احاطت به . وصحيح لو كان ضمن الحدود التي يذكرها المدافعون عنهم والمحامون لهم . ولكن المنطق شيء والواقع شيء آخر . لأن المتعاونين استمرأوا اللعبة وساروا فيها حتى النهاية منطلقين في تعاونهم من القواسم المشتركة التي تربط بين الأيديولوجية الصهيونية والأيديولوجية النازية .

نقول ان تواجد هؤلاء القادة تحت الأحتلال كان يمكن ان يشكل نقطة ضعف هامة في لائحة الأتهام ضدهم ، لولا الحيثيات الكثيرة والبراهين المتراكمة التي لا تسوغ تصرفاتهم ولا تعطيها الشرعية المطلوبة لمن هم في مثل حالتهم وظروفهم . لقد تعاون عبر التاريخ قادة كثيرون مع محتلين لبلادهم وكان هدف هؤلاء القادة انقاذ شعوبهم وتجنيبها الويلات والمآسي والمحافظة على بلادهم من الدمار والخراب ،



ورغم ذلك ، ما ان انتهى الأحتلال حتى واجه هؤلاء القادة العدالة التي كثيرا ما ادت بهم الى المقاصل . ورغم ان الفارق شاسع بين هؤلاء وهؤلاء . . . نرى حكومة « اسرائيل » قد عاملت قادتها القادمين من ارض الأحتلال معاملة الأبطال وكرمتهم تكريم الرجال الخالدين ، ومنحتهم ارفع المناصب السياسية والادارية والأقتصادية واغدقت عليهم الألقاب والأوسمة مكافأة لهم على ما « اقترفت ايديهم » .

ولولا بعض فقراء الناجين من اليهود الذين شهدوا على ما قام به هؤلاء من ادوار قذرة . ولولا شجاعة بعض المحامين والكتاب والصحافيين الذين تجرأوا ورفعوا اصواتهم عالية ، لأنتهت هذه المأساة واسدل الستار على فصولها دون ان يعرف الجيل الجديد جزءا بسيطاً من الحقيقة . ولذلك نستطيع القول انه حتى يومنا هذا فان الرأي العام العالمي واليهودي لا يكاد يعرف شيئا . لأن كل من يتحدث عنها يتهم « باللاسامية » حتى لو كان يهودياً .

اذا اردنا ان نتحدث عن وضع اليهود بشكل عام تحت الأحتلال وجدناهم ينقسمون الى ثلاث فئات . . . فئة تآمرت وتواطأت مع النازيين ، جميع افرادها او معظمهم كانوا من الملتزمين بالحركة الصهيونية بمختلف اتجاهاتها واحزابها ، وفئة التزمت الصمت فكتب عليها الضياع وكانت هي السلعة التي تباع وتشترى بين النازيين والصهاينة . والفئة الثالثة مجموعة من الشباب الوطنيين والشيوعيين الذين تجاوزوا عقدة ما يسمى « بالمسألة اليهودية » واندمجوا في المجتمعات التي نشأوا وترعرعوا فيها ، لذلك قرروا حمل السلاح دفاعا عن انفسهم وعن اوطانهم بعد ان عرفوا ابعاد اللعبة واطلعوا على اهداف المؤامرة ، فالتحقوا بقوات الأنصار او شكلوا من انفسهم مجمعات وفصائل وبؤرا ثورية هدفها مقاومة الأحتلال النازي . وكما اشرنا فان معظم هؤلاء كانوا ينتمون الى الأحزاب الشيوعية وبعضهم انسلخ عن الأحزاب الصهيونية بعد ان تأكد من خيانة هذه الأحزاب وتواطئها مع النازية ضاربة بعرض الحائط مصير اليهود مستغلة هؤلاء لتحقيق اهدافها .

ولذلك فان كل ادعاء لقادة اسرائيل اليوم بدور رجالاتهم واحزابهم في تلك المقاومة هو ادعاء باطل ولا يقوم على اساس . وهذا ما اشار اليه اليعازر لفنه في لقاء نظمته جريدة معاريف الأسرائيلية عام ١٩٦٦[٢] ولفنه كان احد زعماء الهاغاناه البارزين حيث اعلن قائلاً : انني اريد ان اقول ماذا كان علينا ان نفعل لو اننا كنا نعتبر ان مهمتنا الأساسية تكمن في انقاذ اليهود في اماكن تواجدهم ، اذا كان علينا ان نتعاون مع الفدائيين حيث كانوا موجودين في بولونيا وفي المناطق الروسية التي يحتلها النازيون ، وكذلك في يوغسلافيا وفيما بعد في سلوفاكيا ، لو تعاونا مع هذه المراكز . . اذا لأنقذنا الكثيرين .

لذلك فاننا نرى من الواجب ان نفرد للمقاومة اليهودية ، بحثا خاصا ضمن هذا الفصل نوضح فيه ابعادها واماكن تواجدها وفعاليتها وانتماءات اعضائها .

ان هذا الفصل يشمل الأقسام التالية : -

- القسم الأول : المقاومة اليهودية .
- القسم الثاني : مجالس الكبار .
- القسم الثالث : المتواطئون .

---

( ٢ ) برودسكي ، شوليستر صفحة ١٦٣ .



# القسم الأول

## المقاومة اليهودية

لم تكن المقاومة اليهودية للأحتلال النازي في مختلف دول اوروبا معزولة عن مقاومة شعوب هذه الدول للأحتلال . فقد تبلورت تلك المقاومة في المشاركة اليهودية بحروب الأنصار وفي الدور الفعال الذي مارسته الشبيبة اليهودية في انتفاضات الجيتوات وعلى رأسها واهمها انتفاضة جيتو « وارسو » وعلى الرغم من أن الحياة اليهودية ابان الحرب لم تطبع بطابع المقاومة لأسباب سنشرحها فيما بعد الا ان هذه المقاومة تركت بصماتها على مجرى الحياة النضالية في اوروبا ، الأمر الذي جعل الحركة الصهيونية تفتخر بها وتتبناها وتقيم لمناسبتها الأعياد والأحتفالات الرسمية .

تشكلت المجموعات اليهودية التي التحقت بالأنصار من اليهود الهاربين من النازية والجنود الذين وجدوا انفسهم في مناطق يسيطر عليها النازيون ، ومن اسرى الحرب الذين تمكنوا من الهروب من معسكرات الأعتقال ، وكانت قواعدهم الطبيعية تقع في غابات ومستنقعات بولونيا الشرقية وليتوانيا وبيلوروسيا وأوكرانيا والمناطق الجبلية في الألب ويوغسلافيا وسلوفاكيا واليونان ، وساهم اليهود في حروب الأنصار في ايطاليا وفرنسا وعلى الرغم من ان اعداد اليهود الذين شاركوا في هذه الحروب لا تشكل الا نسبة ضئيلة من مجموعهم ، الا ان تقدير عددهم يصل الى عشرات الألوف . وتعزو المصادر الصهيونية ضآلة هذه النسبة الى العقبات التي كانت توضع امام مشاركة اليهود مشاركة فعالة وكذلك الى موقف البيئة غير اليهودية

المحيطة بهم[٣] . ويمكن تفصيل هذه العقبات التي اوردتها تلك المصادر كما يلي : -

١ - اعتاد اليهود العيش في مراكز المدن، وكانت الحياة في الغابات الكثيفة وفي مجاهل الطبيعة غريبة عنهم وتخيفهم ويضاف الى ذلك ان الروابط العائلية لدى الأسرة اليهودية لعبت دورا اثر بهم ومنعهم من الأبتعاد عن منازلهم . كذلك فان الشباب الذين يفترض ان يكونوا المرشحين الأوائل للأنضمام لحركة الأنصار هم في الواقع المصدر الوحيد لأعالة اسرهم[٤] .

٢ - ان تمركز الأنصار في الغابات كان يخضع لجملة شروط ، والشرط المركزي منها هو قدراتهم على اقامة صلات مع السكان في المناطق المحيطة بتلك الغابات ، اذ ان الأنصار كانوا بحاجة الى اماكن آمنة يلجأون اليها في اوقات الخطر ، ويحتاجون الى مصادر معلومات مخلصة بالأضافة الى التموين بالطعام والخيول وغيرها . وكان هذا يتم من خلال القرويين الذين كانوا يعيشون بجانب معسكرات الأنصار . وترى الأوساط الصهيونية ان هؤلاء القرويين كانوا - إلا قلة منهم - معادين لليهود[٥] .

٣ - لقد كانت شروط الأنضمام لوحدات الأنصار تعتمد على القوة البدنية والخبرة العسكرية وحيازة السلاح ، ومصادر التسليح هي الأسلحة التي تركتها الجيوش المتقهقرة والتي كانت تصل الى ايدي الأنصار من خلال المنظمات السرية او من الممتلكات الخاصة . وهذه الأسلحة لم تكن تعطى لليهود الذين وجدوا انفسهم مجبرين على انتزاعها من العدو ، او من خلال الصفقات الشرعية او من السرقة . وبهذه الوسائل لم يكن ممكناً الحصول الا على كميات ضئيلة من السلاح[٦] .

( ٣ ) المحرقة ، كتاب الفه مجموعة من الأكاديميين الأسرائيليين صفحة ١٠٨ .

( ٤ ) المصدر السابق صفحة ١٠٩

( ٥ ) المصدر السابق صفحة ١٠٩ .

( ٦ ) المصدر السابق صفحة ١١٠ .



٤ - لم تكن حركة الأنصار نفسها بريئة من النزعات المناهضة للسامية ، اذ ان الأجنحة اليمينية من منظمات المقاومة البولونية كانت تنظر الى اليهود كقطاع طرق يتجولون في الغابات وكثيرا ما عمدوا الى نزع اسلحتهم وحتى قتلهم . بينما كانت المجموعات اليسارية من الأنصار تتخذ مواقف « اقل » عدائية منهم ، ففي اوكرانيا وليتوانيا وبيلوروسيا خفت هذه النزعات المعادية للسامية بعد اقامة اتصالات بين الأنصار والقيادة السوفيتية العليا . ولكن تلك القيادات اعترضت على قيام منظمات انصار يهودية مستقلة ، واجبرت اليهود على الأندماج في وحدات الأنصار ذات الجنسيات المتعددة[٧] .

٥ - وبالنسبة لمسألة انتقال المقاتلين اليهود من الجيتوات الى الغابات ، فقد واجهت صعوبات عديدة ، ذلك ان السكان اليهود في اواسط بولونيا بعيدون عن الغابات الكثيفة . وقد انتهت محاولات نقل المقاتلين في وارسو وسلوفاكيا من قبل المنظمات اليهودية الى الغابات ، انتهت الى فشل ذريع فقد القي القبض على عدد كبير منهم وقتل عدد آخر قبل وصولهم الى الغابات[٨] .

٦ - كان العائق الرئيسي - من وجهة نظر الصهيونية - الذي منع الهروب الكبير الى الغابات هو المسألة الزمنية ، اذ ان توسع حركة المقاومة وازدياد قوتها بدأ فقط عام ١٩٤٣ ، اي في الوقت الذي كان فيه اغلب اليهود قد نقلوا الى معسكرات الموت النازية ، ومع ان وحدات الأنصار اليهود لعبت دورا طليعيا في التمهيد لحركات الأنصار الا انها لم تستطع استيعاب اعداد كبيرة من اليهود والمحافظة عليها[٩] .

تلك هي الأسباب التي رأت الحركة الصهيونية انها منعت اليهود من تكثيف

( ٧ ) المصدر السابق صفحة ١١٠ .

( ٨ ) المصدر السابق صفحة ١٠٩ .

( ٩ ) المصدر السابق صفحة ١١٠ .

جهودهم في محاربة النازية . ولكن التمعن فيها يجعلنا نشعر بان اسبابا اخرى خفية هي التي لعبت الدور الأساسي بل الدور الرئيسي في عرقلة المشاركة اليهودية في المقاومة ، كذلك فان هذه الأسباب تنفي بعضها البعض من خلال الوقائع التي اشرنا اليها عندما عددنا اماكن تواجد المقاومة اليهودية ولا بد من التأكيد هنا على اننا اعتمدنا في ذكر الوقائع والأسباب على احد المصادر الصهيونية المخصصة للدعاية والتي اشرفت على اعدادها مجموعة من الأكاديميين الصهاينة لتتناسب مع الأهداف التي تسعى الحركة الصهيونية لتحقيقها في ابراز المقاومة كعمل صهيوني وفي تسويغ ضعف هذه المقاومة بالقاء التهم على الآخرين تحت شعار « مناهضة الصهيونية » وفي نفس الوقت القاء الظلال على الاسباب الرئيسية التي تعود الى موقف قيادة هذه الحركة ، تلك القيادة التي كانت تقبض على زمام الأمور طيلة فترة الأحتلال النازي .

**المقاومة في الجيتوات :**

تميزت المقاومة في جيتوات اليهود بانها مقاومة يهودية بحتة ، ولكنها تلقت مساعدات من غير اليهود بشكل او بآخر . وابرز مظاهر هذه المقاومة كانت في كل من جيتوفيلنو ولودز ووارسو . واعتبر الأخير نموذج المقاومة البطولية اليهودية رغم انها انتهت بتدميره والقضاء بشكل نهائي عليه ويؤكد المؤرخون ـ اليهود خاصة ـ[10] ان الحلفاء الوحيدين لمقاتلي الجيتو من خارج جدرانه كانوا من الجماعات المحلية اليسارية مناهضي النازية امثال حراس الشعب ( الذين اطلق عليهم فيما بعد « جيش الشعب » التابعين لحزب العمال الشيوعي ) .

وبالمقابل فان التاريخ لم يسجل اعلاناً للثورة من قبل الحركة الصهيونية ضد النازية اذ انه على الرغم من وجود عشرات الألوف من الجنود اليهود في جيش

(١٠) Jewish Resistance in Nazi - Ocoupied Easten Europe , By Reuben Ainsztein London - 1974 Page 408 .



الجمهورية البولونية ، فلم يكن هناك من يوجههم لكي يحملوا معهم اسلحتهم الى بيوتهم او ان يخفوها في مخبأ ما حيث تكون لهم فيما بعد ـ عند قيام منظمات قتال يهودية ـ بعض الادوات على الأقل لمواجهة النازيين . ولكن مثل هذه المنظمات لم توجد على الرغم من وجود مختلف اشكال التنظيمات الصهيونية في ذلك الوقت الذي كانت تبحث فيه فقط عن مهاجرين الى فلسطين . ولذلك فقد كانت المقاومة اليهودية في الجيتوات وغيرها تلقائية وعفوية كرد فعل جماهيري لأحساسها باقتراب موعد تطبيق قرار الأبادة النازي ضدها ، هذا ولم تبدأ الثورات في جميع الجيتوات في وقت واحد وانما بدأت حسب اسبقية احساس سكان الجيتو بقرب ساعة الخطر . وهكذا فان سكان جيتو وارسو لم يشعروا بالخطر ـ او بالأحرى لم يشعرهم احد باقتراب الخطر ـ الا في صيف عام ١٩٤٢ ، بينما شعر سكان جيتو فيلنو بهذا الخطر في نهاية عام ١٩٤١[11] ، اذ انهم كانوا اول من عرف بمخططات النازية ، بعد ان وصل الى علمهم اعدام اعداد كبيرة منهم ـ اليهود ـ في موقع مجاور . ولذلك نستطيع ان نقول ان جيتو فيلنو كان اول مكان ابتدأت فيه محاولة لتنظيم حركة مقاومة يهودية وأصدرت هذه الحركة نداءها الأول « لنمتنع عن الذهاب كالخراف الى المذبحة . . صحيح اننا ضعفاء وليس لدينا احد يساعدنا . . ولكن جوابنا الوحيد على العدو يجب ان يكون المقاومة » .

وبعد ذلك بدأت اعمال التخريب ضد النازيين ، ولكن هذه الأعمال لم تصل الى مستوى الأنتفاضة الجماهيرية[12] ، ولكن الأمر يختلف في جيتو وارسو حيث انه منذ بداية اعمال المقاومة لم يمر يوم واحد دون اشتباك مسلح او اكتشاف جديد لغرفة محصنة تحت الأرض ، وذلك حسب رأي الجنرال بورجين ستروب قائد فرقة الصاعقة الألمانية الذي تولى عملية تصفية جيتو وارسو[13] .

(١١) Ibid , Page 486 .

(١٢) Faris Yahya , Page 39 , 40 .

(١٣) مجلة اكسبرس بتاريخ ١٠/١٠/١٩٧٩ .

وفي مجال انعدام الأستعداد للمواجهة لدى اليهود ، وعدم وجود منظمات توجههم وتقود خطاهم للمقاومة كتب النازي « فون دم باخ » رئيس قسم ( الـلا أنصار ) في فرقة الصاعقة وقائد المركز الروسي في قوة الشرطة الذي قام بمراقبة اليهود وقتلهم من عام **١٩٤١** وحتى نهاية الحرب ، كتب باخ يقول(١٤) : « انني الشاهد الوحيد الحي ، ولكن يجب ان اقول الحقيقة وهي ان اليهود لم يكن لديهم تنظيم من اي نوع كان وقد اخذت المفاجأة بجماهيرهم . اذ لم يعرفوا اطلاقاً مايجب ان يفعلوا ولم يكن لديهم اية معلومات او توجيهات ترشدهم كيف يجب ان يتصرفوا . وتلك هي الكذبة الكبرى للاسامية لأنها تضفي الكذب على الشعار القديم بـان اليهود يتآمرون للسيطرة على العالم ، وانهم على مستوى رفيع من التنظيم . . والحقيقة انهم لم يكن لهم تنظيم خاص بهم اطلاقاً ولا مصدر للمعلومات . او لو كان لهؤلاء الناس اي نوع من التنظيم لكان بالأمكان انقاذ الملايين منهم ولكن عوضا عن ذلك اخذتهم المفاجأة تمـاماً . ولم يحـدث ابدا في السـابق ان سار شعب بـدون اي ارتياب الى هلاكه » .

من هنا نفهم سبب ضعف المقاومة اليهودية وتشرذمها وعفويتها لأن القيادات الصهيونية التي كانت تتبوأ مركز القيادة اليهودية لم تبد اي نشاط او استعداد لتنظيم اليهود واعدادهم وتهيئتهم لمواجهة النازية(١٥) . ولولا المعونة الكبيرة التي قـدمها كادحوا بولونيا وشيوعيوها للمعتقلين اليهود ، لما امكن لهذه المقاومة ان تكون شيئا . ويذكر التاريخ اسماء كثيرة من الشيوعيين البولونيين الذين كانوا يخاطرون بحياتهم بشكل دائم ليقابلوا عناصر في الجيتوات ويدربوهم على المقاومة . ولما بدأت مرحلة التمرد في ايار ونيسان من عام **١٩٤٣** قدموا لهم السلاح والذخائر واشتركوا معهم في المعارك . ولم يكن البولونيون وحدهم الذين قدموا المعونة لمناضلي الجيتوات وانما يذكر

(١٤) The Destruction of the European by Raul Helberg, London 1976 , Page 663 , 664 .

(١٥) برودسكي ، شوليستر صفحة ١٤٦ .



المؤرخون ايضا ما قدمه الشعب السوفييتي من معونة « للمتمردين » ويتحدثون عن دور الطيران السوفييتي الذي قام باختراق الحصار الفاشي وتمكن من ايصال السلاح والمواد الغذائيـة الى المعتقلين المتمردين . وعنـدما وصلت اخبـار اندحـار القوات الفاشية في ضواحي موسكو ارتفعت معنويات سكان الجيتوات الأمر الذي ادى الى تصعيد المقاومة وتعميقها(١٦) .

نعـود مرة اخـرى الى استعراض الأسبـاب التي اوردتها مصـادر الحركـات الصهيونية الرسمية التي ترى انها منعت اليهود من المشاركة في المقاومة وانها كانت عقبات اساسية في طريق هذه المشاركة . ترى هل كانت هذه الاسباب حقيقية ام انها اسباب وهمية لتغطي اسبابا اخرى ؟

ان وجود الآف اليهود في الغابات ينقض السبب القائل ان اليهود كانوا يخافون مجاهل الطبيعة وينفي فكرة تأثير الروابط العائلية لدى الأسر اليهودية تلك الروابط التي تمنعهم من الابتعاد عن منازلهم . وان انصهار اليهود وارتباطهم بمختلف الحركات الشيوعية والأشتراكية ازال كل الفوارق الدينية بينهم وبين باقي اقرانهم من الشعوب التي ينتمون اليها ، الأمر الذي جعل امكانية اقامة صلات مع سكان المناطق المحيطة بالغابات امرا يسيرا وهذا ما يفسر وجود قادة من اليهود في حروب الأنصار في مختلف البلدان .

بالأضافة الى ذلك وباعتبارهم مواطنين في الـدول الأوروبية المختلفـة التي احتلها الألمان فقد دخلوا سلك الجندية تبعا لمواطنيتهم ووصلوا الى اعلى المـراتب العسكرية القيادية ، وهذا هيأ لهم ارضية الحصول عـلى التدريب الكـافي والخبرة اللازمة للقيام باعمال المقاومة . ويتبلور هذا الأمر بشكل واضح في الأتحاد السوفييتي مبنيا على الأفكار اللينينية . اذ كان لينين يدعوا دائما الى مساواة اليهود الفعلية بغيرهم في روسيا . وكان يرى ان الفكرة الصهيونية بشأن وجود امة يهودية من نوع خاص

(١٦) المصدر السابق صفحة ١٤٥ ، ١٤٧ .

هي فكرة كاذبة رجعية في جوهرها وانها لن تجلب للكادحين سوى الضرر ، ولذلك فقد كتب يقول[١٧] : « ان فكرة الشعب اليهودي الخاص فكرة رجعية من حيث مغزاها السياسي فالمسألة اليهودية هي كالتالي : الانصهار او العزلة وفكرة القومية اليهودية ذات طابع رجعي واضح ليس فقط عند انصارها الدائمين ( الصهاينة ) بل وحتى عند اولئك الذين يحاولون اقرانها بالأفكار الأشتراكية ( البونديين ) ان فكرة القومية اليهودية تتناقض مع مصالح الكادحين اليهود وذلك بتغذيتها للأفكار المعادية للأنصهار وتشجيعها لأمزجة الجيتو » .

لذلك فان تطبيق أفكار لينين بعد نجاح الثورة الأشتراكية جعل اليهود مواطنين متساويين في الحقوق والواجبات ، وانهى كل النزاعات المناهضة للسامية والتي كانت منتشرة ايام الحكم القيصري ، وبالتالي فان قادة حرب الأنصار السوفييت وغيرهم من الشيوعيين في اوروبا لم يكونوا اسرى عقدة اللاسامية بل رحبوا بالأنصار اليهود وضموهم الى صفوفهم واستوعبوا كل من تقدم منهم للمشاركة في مقاومة النازية ، هذا مع التأكيد على ان النزعات المناهضة للسامية لم تكن بالشكل الذي تطرحه الصهيونية ولا بالمضمون .

ومن الأسباب الهامة التي اشارت اليها المصادر الصهيونية وعزت اليها ضعف المقاومة اليهودية موقف الشعوب الأوروبية المسيحية اذ انها تتهمهم بالتقصير وبالتواطؤمع النازيين ضد اليهود ، مغفلة تماما الدور الانساني والوطني الذي لعبته هذه الشعوب نحو اليهود ـ بصفتهم جزءاً منها ـ والجهود التي بذلت لأنقاذهم وتخليصهم من ايدي النازيين ورداً على ادعاءات القيادة الصهيونية تستشهد صحيفة « جندي الراية » البولونية بالكاتب الكاثوليكي المعروف ( بان دوبرتشينكي ) الذي لعب ـ شخصياً ـ دوراً فعالاً في انقاذ مئات اليهود من جيتو وارسو فيقول : لقد تم

(١٧) الصهيونية في روسيا القيصرية ـ يفيسيف ، فوستكوف ـ وزارة الثقافة السورية سنة ١٩٧٦ ترجمة هاشم صادق صفحة ٨٧ .



نقل العديد من الأطفال من جيتو وارسو حيث وضعوا تحت الرعاية والعناية الكاملة في الأحياء البولونية ، في الوقت الذي نعرف تماماً ان القيام بمثل هذا العمل يعتبر مخاطرة كبيرة لأن اية مساعدة مهما كانت بسيطة تقدم لليهود كان عقابها الأعدام .

ان اسباب ضعف المقاومة اليهودية لم تكن تلك التي اشارت اليها مصادر الصهيونية ، لأنها اسباب امكن دحضها والرد عليها ، وسنجد اسبابا اخرى ، وهي في اعتقادنا الأسباب الحقيقية التي جعلت هذه المقاومة ضعيفة واهية . ولربما استطعنا ان نجدها في الدور الكبير الذي قامت به الحركة الصهيونية متمثلة بالقيادات اليهودية الصهيونية التي كانت تتربع على عرش الحياة اليهودية ابان الأحتلال النازي .

# القســم الثانــي

## مجالــس الكبــار

### ( Judenrate Councils of Elders )

لعبت هذه المؤسسة دوراً هاماً وأساسياً في حياة اليهود ، فقد ترك النازيون لها حرية كاملة لتتصرف بالشؤون اليهودية ضمن آفاق السياسة العليا الألمانية التي انسجمت مع آفاق السياسة الصهيونية العليا . ولذلك لم يكن مسؤولو هذه المؤسسة مجبرين على القيام بمهامهم بل كانوا متطوعين للقيام بهذه المهام . وقد عبر عن هذا الأنسجام « هانس لام » عندما قال : « انه من غير المشكوك فيه ان القوميين الأشتراكيين في المراحل الأولى وجدوا انه من الأفضل تبني سياسة موالية للصهيونية في موقفهم اتجاه اليهود »(١٨) .

مجالس الكبار كانت تضم أقساماً كثيرة ومتعددة لكن أهم هذه الأقسام كان قسم البوليس اليهودي ، اليد الضاربة لقادة المجالس والنازيين في آن معاً . وهو الذي لعب دور البوليس القمعي والأستخبارات الأمنية والتجسسية لصالح النازيين .

لقد كانت اولى المهام الموكلة لهذه المجالس القيام بعمليات ترحيل اليهود ، وقبل ان تبدأ هذه العمليات اعطيت التعليمات للمجالس لأتخاذ الأجراءات التالية : ـ

(١٨) Eichmann In Jerusalem . By Hannah , London 1965 Page 53 .



١ ـ تنظيم كشوف مفصّلة عن كل ممتلكات المرحلين ، وذلك بتوزيع نماذج مطبوعة على كل اليهود في اماكن تواجدهم ، ثم تعاد هذه الكشوفات للجستابو .

٢ ـ وبعد تثبيت موعد الترحيل كانت توزع الأستدعاءات على جميع المنوي ترحيلهم لكي يكونوا جاهزين في الزمان والمكان المحددين .

٣ ـ وفي حالة تخلف أحد اليهود عن قبول دعوى الترحيل يتولى المجلس من خلال رجاله احضار المتخلفين بالقوة بعد البحث عنهم في مخابئهم .

وحتى تسير امور الترحيل بهدوء وبدون أية ضجة كان أعضاء مجالس الكبار يروجون بين جماهير اليهود بان لا فائدة من الأختباء والتخفي لأن ذلك لن يعرض حياة المتخفين للخطر فحسب بل يعرض حياة اسرهم وحياة التجمع باكمله للخطر . من هنا ـ وحسب رأي « لوسيان شينبرغ » ـ فان عمل المجالس كان يخدم الهدف النازي ويجعل عملية الترحيل تسير بهدوء . ويعود لها ـ المجالس ـ الفضل في ان الجستابو لم يحتج لطلب المساعدة من الخارج . على الرغم من علم المسؤولين اليهود بالمصير الذي كان ينتظر المرحلّين والمكان الذي سيرحلون اليه ، الا انهم ابقوا الموضوع طي الكتمان واخفوه عن اليهود الذين بقوا في الجيتو(٢٠) .

في مدينة لفوف وعقب احتلالها من قبل النازيين تأسس يودنيرات ( مجلس كبار ) وبدأ يتسع نفوذ هذا المجلس وسلطته حتى بلغ عدد موظفيه اكثر من ثلاثة آلاف . وكان ( يوسف بارناس ) أحد الأعضاء البارزين في المنظمة الصهيونية المحلية في غرب اوكرانيا أول رئيس ليودنيرات لفوف ، أما نائبه فكان الدكتور ادولف وتفيلد . احد مؤسسي الحركة الصهيونية في غرب اوكرانيا ونائب رئيس المنظمة الصهيونية المحلية والأمين العام للكيرن هايسود ، الصندوق التأسيسي الفلسطيني

(١٩) Not as a Lamb ( The Jews Against Hitler )
By Lucian Steinberg , England , 1974 , Page 11 .

(٢٠) Ibid Page 11 .

المكلف باستعمار فلسطين . وقد شاركت في النشاط القيادي لمجلس لفوف اعضاء اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية المحلية ومنهم : المهندس نافتولا لاندو والدكتور غينريخ لاندسبيرغ والدكتور سيمسون اولام والدكتور اوسفالد كيميلمان . . وغيرهم .

ومع ظهور اليودنيرات في الغيتو اتخذ التعاون بين الصهاينة والفاشيين طابعاً أكثر وضوحاً ، اذ وصل الى درجة ان يودنيرات لفوف بدأ بموافقة السلطات الفاشية اصدار صحيفة خاصة بالسكان اليهود تحمل اسم « اخبار يودنيرات ليمبيرغ للطائفة اليهودية » . وفي كراكوف اصدر اليودنيرات الصهيوني « الصحيفة اليهودية » اليومية .

ومن خلال هذه الصحف عمل اليودنيرات على غرس الأفكار في عقول نزلاء الجيتو والمعتقلات وعلى تمجيد الزعماء الصهاينة والتغني بتيودور هيرتزل أب الصهيونية . ولكن لماذا سمح الفاشيون للصهاينة بممارسة دعايتهم ؟ لقد سمحوا بها في هذه المرحلة لهدف واحد وهو انها ـ الدعاية ـ تجعل امكانية تدميرهم لليهود أكثر سهولة وبساطة ، وفي ظروف الغيتو ومعسكرات الأعتقال كانت أفكار هيرتزل مناسبة جداً ، الأعداء حولنا ولا يمكن الأعتماد على احد . . المخرج الوحيد هو الدولة اليهودية . . واستطاعت الدعاية الصهيونية في عامي **١٩٤١** ، **١٩٤٢** والقائلة ان الفاشيين يجمعون اليهود لكي يرسلوهم ـ بعد النصر ـ الى الدولة اليهودية المنشودة ، استطاعت هذه الدعاية خداع معظم جماهير اليهود .

ودعماً لهذا الخداع لم تدع « الصحيفة اليهودية » في افتتاحيتها في الأول من نيسان سنة **١٩٤٢** للنضال ضد الفاشيين ، بل دعت الى الأستكانة ، والى العمل الدؤوب من أجل الكمال الذاتي ووعدت بان العدالة هي التي ستحل في النهاية ، واشارت الصحيفة الى ان الأمة اليهودية ستبعث بفضل التربية العمالية في معسكرات الأعتقال الفاشية ، فاليهود ـ على حد زعم الصحيفة ـ لا يحبون العمل ، ولذلك فان



الفاشيين يدربونهم على ذلك وهم يستحقون الشكر على ذلك[٢١] .

وفي ١٦ كانون الثاني سنة **١٩٤٢** أكدت الصحيفة آنفة الذكر ( الصحيفة اليهودية ) في افتتاحيتها اعادة تقييم القيم وان اوروبا الجديدة ستكون اوروبا العمل . والسؤال الملح يكمن في ماهية علاقتنا بالحقيقة الجديدة . والنتيجة التي توصل اليها دعاة الصهيونية هي ما يلي : « لقد حدث انعطاف هائل في الشارع اليهودي ، حدث في ظروف قاسية ولكنه كان مثيراً للفرح . . لقد حدثت فينا الثورة . . الثورة البيضاء الهائلة » .

وكانت الجريدة تصور معسكرات الأعتقال ، التي اقيمت من اجل تدمير اليهود ، على انها من افضل اماكن « اعادة تربية الشبيبة » .

وفي **٢٣** حزيران سنة **١٩٤٢** كتبت « الصحيفة اليهودية » في مقالها الأفتتاحي تقول : « ان القسم الأكبر من السكان اليهود الذين يقطنون في الولاية الأساسية قد استدعي الى معسكرات العمل ، هؤلاء العمال معظمهم من الشبيبة المدعوة لأعادة تربيتها ، يدربون على الأشكال الجديدة للحياة والعمل .

في الوقت الذي كانت فيه هذه الصحيفة لا تكتفي بتأييد الفاشية بكل اعمالها ، كانت تخفي حقيقة معسكرات الموت وتتستر على قتل اليهود ، وتخلق وتغذي الآمال الكاذبة حول « حق الحياة » لأولئك الذين يمرون عبر جميع زوايا الجحيم الفاشي ، بالأضافة الى كل هذا كانت تتغنى بعملاء الفاشيين ، زعماء اليودنيرات . تمجدهم وتصورهم شخصيات صهيونية بارزة وان هذه الشخصيات عندما تنفذ اوامر النازيين انما تفعل ذلك خدمة لمصالح اليهود . فعندما توفي ادولف روتفيلد رئيس يودنيرات لفوف كتبت الصحيفة اليهودية في **٢٧** آذار سنة **١٩٤٢** تقول : « كان روتفيلد طوال عدة سنوات يتبوأ مركزاً قيادياً في المنظمة الصهيونية ، اذ

---

(٢١) برودسكي وشلويستر صفحة ١٢٩ .

كان نائب رئيسها وأميناً عاماً للكيرن هايسود وتزعم الطائفة اليهودية في لفوف وكرس طاقته لخدمة المجتمع اليهودي(٢٢) .

توقع اليهود من اليودنيرات ان يكون وسيطاً بين السكان والنازيين ، وانه سيمثل المصالح اليهودية ويدافع عنها . الا ان توقعاتهم لم تكن في مكانها ، فقد كان تعاون اليودنيرات باستمرار لصالح الألمان وعلى حساب جماهير اليهود . لقد كان جاهزاً دائماً للقيام بكل الأعمال التي يطلبها النازيون ، فاذا قرر النازيون القيام بحملات القتل ضد اليهود يبلغون اليودنيرات والبوليس اليهودي بقرارهم ، بما في ذلك « كمية » الضحايا المطلوبين ، وما على اليودنيرات الا التقيد الفوري . ولمزيد من التعاون بين الطرفين أسس اليودنيرات ما اصطلح على تسميته « صندوقاً للتبادل » يحتوي هذا الصندوق قوائم باسماء الكادحين المحكوم عليهم بالموت وبرأس هذه القوائم كانت اسماء العاطلين عن العمل ويليهم عمال المؤسسات ، ثم الحرفيون ، وقد سميت هذه القوائم بصندوق التبادل لأنه كان يستخدم في مثل هذه الحالة التالية : عندما كان يلقى القبض على التجار او ارباب العمل او الأثرياء الكبار كان يستبدلهم اليودنيرات بالكادحين من صندوق التبادل .

في شهر فبراير ( شباط ) عام ١٩٦٧ ، اكتشفت مذكرات ايغون ردليغ احد الصهاينة الذين تعاونوا مع النازيين في سلوفاكيا . سجّل فيها انطباعاته يوما بيوم ، وقد سجّل فيها يوم ٢٠ كانون الثاني ( يناير ) سنة ١٩٤٣ ، يقول : « ينقلون كأنما ينقلون ماشية صغيرة ، ينقلون القطعان ويسوقونها وسواقوا هذه القطعان هم ايضاً غنم . . انهم هم ايضاً يهود ويضطهدون يهوداً .

كان ايغون ردليغ في عداد افراد القمة القائدة في غيتو تريزين ، بوصفه رئيس مصلحة شؤون الشباب ، كان يشرف على خمسة موظفين وعلى عدد كبير جدا من المربين ( رؤساء البلوكات ) في بعض الثكنات . في الوقت الذي شكل فيه مجلس

(٢٢) المصدر السابق صفحة ١٣١ .



كبار تيريزين من جاكوب ايرلتشتين رئيساً وأفوا تسوكر نائباً ، وايغون بوير مسؤول الأدارة الداخلية ، وايريخ مونك مسؤول الصحة ، وكارل شلبسر رئيساً للتموين والمهندس البرت رئيساً لقسم النقل ، وهؤلاء جميعاً يختارون رؤساء مصالح وأقسام الأدارة الذاتية من الأشخاص الموالين لهم . وقد منح النازيون هذه القيادة وأتباعها امتيازات خاصة اذ وفروا لهم امكانية العيش مع عائلاتهم وضمنوا لهم عدم ترحيلهم من تيريزين .

تمتعت هذه المنظمة الصهيونية في جيتو تيريزين بتأييد السلطات النازية المحلية وبتأييد اصحاب الرتب الرفيعة من الجستابو ، بمن فيهم ادولف آيخمان . وبعد تطبيق الأدارة الذاتية في الجيتو اشرف النازيون على النظام الأقتصادي والأداري وترك امر الأمن الداخلي للصهاينة وبوليسهم الخاص ( رئيسة كارل لوفنشتين ) الذي كان يتولى اعداد القوائم باسماء الأفراد الذين يتعين ترحيلهم الى الشرق ، وبذلك كانوا يفصلون في مسألة حياة الناس او موتهم ، وقد استطاع البوليس اليهودي بمساعدة ( ١٥ ) رجلاً من الـ ( S S ) فقط ، ان يرحلوا بين سنة ١٩٤١ - ١٩٤٥ الى الجيتوات الشرقية والمعتقلات ١٥٣ ألف شخص بينهم ١٥ ألف طفل .

ولكي يعلل الصهاينة ، وخاصة المهندس اتوتسوكر ، صلاحيتهم لمواصلة شغل المناصب القيادية تقدموا برأي مفاده انه يجب على الأدارة الذاتية اليهودية ان تبرهن للقيادة النازية في تيريزين قدرتها ورغبتها في التعاون في جميع المجالات ، وقد حاولوا ان يبرهنوا على تنفيذ الأوامر النازية بلا قيد ولا شرط بخلق جو الثقة المتبادلة ، وبتوسيع اطار الاستقلال الذاتي للادارة الذاتية اليهودية .

ومن ناحية ثانية كانت الأدارة ( اليودنيرات ) ترى من واجبها ان تعمل على تربية الأطفال التربية الصهيونية ونبذ التربية الوطنية التشيكية ، رغم الأحتجاجات التي تأتيها من الأغلبية المتمثلة وقد سجل ايغور ردليخ بمذكراته يوم ١٨ أيار ( مايو ) سنة ١٩٤٢ يقول : « تدور في الجيتو مجادلات كثيرة في مواضيع اخلاقية ، يتهموننا

بالعنف حيال الأطفال ، المشاحنات بين الصهاينة والمتمثلين تحزنني ، وانني أرغب في الضحك عندما ينتقدوننا لأننا نجبر الأطفال على ان يصيروا صهيونيين وانني لأغضب لأن خصومنا سيزعقون بعد الحرب زاعمين اننا نحن الصهاينة كنا اعداء على العموم لأي ثقافة تشيكية ، والواقع ان اغلبية المربين هم يهود متمثلون . وانني اعترف ان عدد المربين والمربيات الصهاينة عندنا لا يكفي » .

عندما ضحى الصهاينة باليهود المتمثلين وجدوا في هذا الموقف « المبرر الأخلاقي » في نظرية « الشعب المختار » ففي ٣ نيسان ( ابريل ) سنة ١٩٤٢ ، يرد ردليخ في يومياته على المتمثلين الذين انتقدوا في تيريزين الصهاينة وعلى تعاونهم مع النازيين ولم يستطيعوا ان يفهموا لماذا يسعى الصهاينة بمثل هذا الحماس الى البقاء ، عاملين على الخلاص بجلودهم بأي ثمن كان . . . فيقول : « في احد البلوكات النسائية ، اوقفتني مربية وسلمتني يوميات صديقتها . وفي هذه اليوميات قرأت مناقشة ممتعة بين صاحبة اليوميات والصهيونية . وهي تستفسر بنفسها من نفسها لماذا يتشبث اليهود بالحياة بمثل هذه القوة . . وأية قيمة لمثل هذه الحياة . . ان هذه المربية لا تفهم قدر شعبنا ومغزى رسالته لأنها . . متمثلة »(٢٣) .

(٢٣) الصهيونية ا : الحقيقة والأختلافات مجموعة مقالات ـ المقالة الأخيرة بقلم يفيسيف ـ دار التقدم موسكو ـ صفحة ٢٥ ـ ٥٢ ـ نقلت عن مجلة تريبونا ـ براغ ٢٣ يناير سنة ١٩٧٤ .



# القسم الثالث

## حفنة من المتواطئين

سنختار مجموعة من الأسماء اللامعة في تاريخ الصهيونية والذين تبوأوا مناصب عليا في الحياة اليهودية سواء في قيادة المجالس اليهودية ام في لجان الأنقاذ اليهودية ، لنتعرف على دور كل منهم في تلك الحقبة من التاريخ .

لقد حاولت الدعاية الصهيونية القاء الظلال على اعمال هؤلاء وتقديم الأعذار والمسوغات لتحويل اعمالهم وتواطآتهم الى بطولات . لأن هذه الحركة تعرف جيداً ان ادانة هؤلاء هي ادانة لكل الحركة ولكل قادتها ، وهي في نفس الوقت تؤمن ايمانا مطلقا بان ما صدر عن هؤلاء انما تم من اجل مصلحة افكار هذه الحركة وفي سبيل تطبيقها ، اذ ان مثل هذه الأعمال كانت ضرورة لأستكمال بناء المشروع الصهيوني . وقد عبر عن هذا الوضع بشكل دقيق ناحوم جولدمان رئيس المجلس اليهودي العالمي السابق عندما قال : « لولا هتلر لما قامت دولة اسرائيل » . اذا فقد كانت الحركة الصهيونية تعي تماما الدور الذي قام به هتلر بالنتائج المترتبة على اضطهاد اليهود ، هذا الوعي جعلها لا تكتفي بموقف المتفرج الصامت عن هذه الأعمال ، وانما جعلها تقوم بدور الشريك الفعال .

سنحاول أن نلقي الأضواء على بعض الأسماء اللامعة في الحياة الصهيونية لنوضح الدور الذي قام به كل منهم مشيرين ضمن سياق البحث الى موقف المصادر الصهيونية الرسمية من هؤلاء وبصورة خاصة الموسوعة اليهودية :

١ - رومكوفسكي في جيتو لودز

١ - ميرين في جيتو سوسنوفيك وسيليسيا العليا .

٣ - جينز في جيتو فيلنا ( فيلنو )

٤ - نوسيغ في جيتو وارسو

٥ - كاستنر في هنغاريا

**اولاً : رومكوفسكي :**

حاييم مردخاي رومكوفسكي ، الملك المتوج على الجيتو اليهودي في لودز في منطقة كافكايسك الواقعة في سيليسيا الشرقية في غرب بولنده والتي الحقت بعد احتلالها بالرايخ(٢٤) .

ولد رومكوفسكي في « الينوبروسيا » سنة ١٨٧٧ واستقر في مطلع هذا القرن في لودزوفي فترة ما بين الحربين نشط في مجالات الخدمات الأجتماعية وكان عضواً بارزاً في حزب الصهيونيين العموميين(٢٥) ، قبل أن يعين من قبل النازيين رئيساً لمجلس اليونديرات في جيتو لودز كان مديراً لميتم ، ثم انتخب في مجلس الـ ( Kehella ) إذ دخل الأنتخابات على قائمة حزبه ، وفي عام ١٩٣٧ وضعت الحكومة البولونية يدها على هذا المجلس فاستقال معظم أعضائه الا رومكوفسكي الذي رفض الأستقالة واستمر في عمله . وعندما احتل الألمان بولونيا عرض خدماته على النازيين فعين رئيسا لليودنيرات(٢٦) . وفي اكتوبر من عام ١٩٣٩ سمي رومكوفسكي كبير اليهود في لودز » .

وعلى أثر ذلك دعا ثلاثين عضواً من كبار اعضاء المنظمات اليهودية لتكوين مجلس استشاري له .

(٢٤) Shonfield , M . Page 119 .

(٢٥) الموسوعة اليهودية ـ المجموعة ١٤ ـ صفحة ٤٢٨ .

(٢٦) The War Against the Jews , 1933 - 1945 , By Lucy Dawidowicz , New York 1979 , Page 305



وبعد ذلك في ٢ ديسمبر عام ١٩٤١ أعلن رومكوفسكي ان على عشرة الآف يهودي مغادرة جيتو وارسو . وقد تم اخبارهم من قبل اجهزته ولم ينج إلا من كان يتمتع بحمايته ورعايته أو بحماية أو رعاية أحد مساعديه(٢٧) .

وفي ٢٥ كانون ثاني ١٩٤٢ كانت صحيفة ( Veker ) السرية الناطقة باسم البوندين قد نبهت في عددها هذا الى موجات الترحيل وتحدثت عن العشرة الآف يهودي المرحلين حيث قالت : « لقد اختارهم الملك رومكوفسكي بنفسه »(٢٨) محاولة بذلك فضح رومكوفسكي بتأكيدها على انه ليس صنيعة الألمان فحسب بل انه صاحب رأي في اختيار اليهود الذين تقرر ان يرحلوا الى معسكرات الأعتقال والموت ، منبهة الجماهير بعدم اطاعة اوامره والتمرد عليها .

ومع ذلك ازدادت طلبات الألمان لترحيل مزيد من اليهود ، فوقع الأختيار على المرضى والأطفال دون سن العاشرة والشيوخ فوق سن الخامسة والستين ، ولذلك اعاد رومكوفسكي تنشيط لجنة « إعادة التوطين » لكي تتولى بنفسها تحضير القوائم محاولا بذلك ان يشارك اناساً آخرين معه ، وحتى لا يكون مثل هذا العمل على عاتقه وحده من اجل ان يورط الآخرين من الزعماء اليهود وابلغ اعضاء اللجنة بان هانز بيبو ( Hans Biebow ) المدير الألماني لجيتو لودز قد هدده بانه اذا لم يتم توفير عشرة آلآف طفل دون سن العاشرة وهو العدد المطلوب ترحيله فسوف يتم ترحيل الجيتو باسره . وحتى يغري اعضاء اللجنة بمشاركته طمأنهم الى ان بيبو قد سمح لهم ببعض الأستثناءات التي يراها مناسبة ويرشحها بنفسه مقابل حسن تعاونه(٢٩)

استمر رومكوفسكي في مركزه خمس سنوات الى ان تمت تصفية الجيتو من قبل الألمان وفي آب سنة ١٩٤٤ نقل هو الآخر الى اوشفتز حيث قتل هناك(٣٠) .

(٢٧) Ibid Page 394 .

(٢٨) Ibid Page 399 .

(٢٩) Ibid Page 397 .

(٣٠) الموسوعة اليهودية ـ مجموعة رقم ١٤ صفحة ٤٢٨ .

**ثانياً : جينز : جاكوب جينز :**

يرى المؤرخون ان الانتفاضة اليهودية في جيتو فيلنو ( وكان يعرف ايضا باسم ويلنو او فيلنا ) اندلعت قبل اي مكان آخر ويعود السبب في ذلك الى اطلاع اليهود على مخططات الأبادة النازية في وقت مبكر ، الا ان هذه الأنتفاضة لم تنتشر لتصبح انتفاضة جماهيرية ، مما ادى الى اخفاقها ، ويعود السبب الرئيسي في ذلك الى الدور الذي لعبه جاكوب جينز الصهيوني واحد ابرز المتعاونين مع النازيين الذين عينوه في مواقع حساسة يستطيع من خلالها ان يسيطر على الحياة اليهودية في الجيتو . وتشير الموسوعة اليهودية الى ان جينز كان رئيسا لجيتو فيلنو ثم عين رئيسا للشرطة اليهودية في عام ١٩٤٢ . ولكن نفس الموسوعة تشير في مكان آخر الى انه كان رئيسا للشرطة اليهودية ثم رئيسا للجيتو [٣١] ، وايا كان تسلسل مسؤولياته التي اطلع بها الا ان المؤرخين يجمعون على انه كان شخصاً فريدا من نوعه ، لأن ما من زعيم آخر من زعماء الجيتوات ذهب الى الحد الذي ذهب اليه جينز في خدمة اهداف النازيين ، وما من زعيم آخر من زعماء الجيتوات استخدم قوة شرطته لتنفيذ القتل الفعلي لليهود . ناهيك عن الدور الفعال الذي لعبه في تخريب واحباط حرب الأنصار .

في احدى المناسبات وقف على منصة في ساحة عامة وبدأ خطابه بالعبارات التالية : « انا جينز اقودكم الى الموت . . وانا جينز اريد ان انقذ اليهود من الموت . . وانا جينز آمر بنسف اماكن الأختباء . . وانا جينز اعطي شهادات العمل واحصل على فوائد للجيتو . . انني ادفع ثمن الدم اليهودي وليس ثمن الشرف اليهودي »[٣٢] .

ومن الجدير بالذكر أن جينز من أنصار جابوتنسكي المتحمسين لأفكاره وكان

---

(٣١) الموسوعة اليهودية ـ مجموعة رقم ١٦ صفحة ١٤٩ و ١٣ صفحة ٧٧٠ .

(٣٢) Uncy Dawidowisz Page 390 .



عضواً في المنظمة العسكرية التابعة للتحريفيين والتي أصبح اسمها فيما بعد منظمة ( الأرغون زفاي ليئومي )[٣٣] .

لقد كان جينز مؤمنا بان لديه رسالة يجب ان يحققها وهو يعرف ما هو صالح « لرعاياه » اليهود . وبناء على هذا الأيمان فقد تولى بنفسه مسؤولية اختيار الضحايا اليهود حسب العدد والمواصفات التي يطلبها النازيون ، وادى هذه المهمة بكفاءة تامة ، الأمر الذي جعل رجال الجستابو ينصبونه في خريف عام ١٩٤٢ ديكتاتورا ليس على جيتو فيلنو فحسب بل على جميع الجيتوات الريفية الباقية في منطقة فيلنو .

وفي الخامس من نيسان سنة ١٩٤٣ ظهر اعلان على جدران الجيتو يحث اليهود الذين لهم اقرباء في منطقة كوفنو على الأنضمام الى عربات النقل ، وصيغ الأعلان بلغة مغرية مصوراً أوضاع المعيشة على أنها أفضل من فيلنو وان تسهيلات سكنية ستوفر للجميع ، وعمل جينز بكل اجتهاد من اجل تنفيذ خطة كوفنو ، وتطوع الكثيرون من الضحايا الأبرياء السذج للانضمام الى قافلة كوفنو فتسلّق القطارات ما يبلغ مجموعه نحو خمسة الآف يهودي ، ولكن سرعان ما اتضح ان القطارات اتجهت الى « بوناري » بدلا من كوفنو وافرغت حمولتها هناك حيث تم قتل الضحايا بالمدافع الرشاشة بينما تمكن البعض من الفرار ورووا قصتهم[٣٤] .

**ثالثاً : موسى ميرين ( مونيك ) : ( Moshe Merin )**

بالرجوع الى الموسوعة اليهودية نجد ان التعريف بهذا الزعيم الصهيوني جاء باسلوب مغلّف بحيث لم يتمكن واضعوا هذه الموسوعة من اخفاء حقيقته لكنهم لم

---

(٣٣) Underyround ( The Story of a People ) By Joseph .

(٣٤) Underyround ( The story of a People ) By Joseph Tenenboum Newyork 1952 , Page 344 , 345 .

يشيروا بشكل واضح الى ادانته وان اعتبروا ان ما قام به من اعمال انما يرجع الى رغبته في انقاذهم . تقول الموسوعة(٣٥) .

« كان ميرين المسؤول الرئيسي لمجلس الكبار في سوسنوفيك وقد مارس ضغطا حازما على الشؤون الداخلية اليهودية وتمتع بصلاحيات واسعة ، وكان الزعيم الدائم لأستراتيجية « انقاذ اليهود » وذلك بان زود النازيين ـ بشكل طوعي ـ بفرق من الضحايا حتى يعطي للآخرين الحظ في النجاة ، وقد طبق سياسته هذه الى آخر مدى ، فكان متعاوناً متحمساً مليئاً بالنشاط ، وبالأضافة الى ذلك شغل منصب قائد الشرطة في الجيتو » .

ان الأشارة الى تطوعية ميرين وقيامه باعماله الخاصة بتسليم الضحايا للألمان ، تفند النظرية الصهيونية القائلة بان امثال هؤلاء كانوا مجبرين على قيامهم باعمالهم . يضاف الى ذلك فان اي حديث عن الأنقاذ ـ انقاذ البقية ـ امر لا يحتاج الى جدل ، لأن الموسوعة نفسها تؤكد ان الجيتو الذي ترأسه ميرين قد تمت تصفيته بشكل نهائي في أيار من عام ١٩٤٣ ، وبعد أن كدّس فيه عدد ضخم من اليهود جيء بهم من المناطق المجاورة(٣٦) . وهذا بمعنى ان موضوع الأنقاذ لم يكن ليخطر بذهن هؤلاء الزعماء . ولذلك فاننا نستطيع الأعتماد على رواية المصادر اللاصهيونية التي تحدثت باسهاب عن ميرين وعن نشاطاته في الجيتو . يقول بهذا الصدد الحاخام شونفيلد(٣٧) أن ميرين نصّب من قبل النازيين امبراطواراً لجميع الكبار في جيتو سوسنوفيك وتولى بنفسه تعيين قادة هذه المجالس في كل مكان ولكل جالية ، واختار هؤلاء القادة من اصدقائه في الفكر من المعسكر الصهيوني . وقد نصت الخطة النازية التي اعتمدت في سوسنوفيك على ان المصير الشخصي لكل يهودي حياة كان او موتا سيترك حصرا لقرارات مجالس الكبار .

(٣٥) الموسوعة اليهودية ـ مجموعة رقم ١٣ صفحة ٧٦٣ .

(٣٦) الموسوعة اليهودية ـ مجموعة رقم ١٣ صفحة ٧٦٣ .

(٣٧) Shonfield , M , Page 119 .



استطاعت احدى لجان الأنقاذ الموجودة في سويسرا الحصول على جوازات سفر مزورة من بعض بلدان امريكا اللاتينية وبصورة خاصة من بنما ، وتشهد هذه الجوازات أن حامليها مواطنون أجانب وأن على السلطات حماية ارواحهم . اكتشف ميرين هذا الأمر وحذر لجنة الأنقاذ بأن تكون اتصالاتها محصورة به فقط . وفي نفس الوقت كشف الألمان زيف المواطنين حاملي الجنسيات من امريكا . فتصرف الألمان بناء على معلوماته وارسلوا جميع حاملي هذه الجوازات الى مصيرهم ، الا ان حكومات امريكا الجنوبية احتجت لدى الحكومة الألمانية وطالبتها بمعرفة مصير مواطنيها المشار اليهم والأفراج عنهم ثم اطلاق سراحهم لعودتهم الى بلادهم ، الأمر الذي سبب للألمان فضيحة دولية لم يتوقعوها ، فحنق الجستابو على ميرين الذي كان السبب في هذه الفضيحة وارسلوه الى معسكرات الأعتقال حتى لاقى مصيره كخائن هناك .

في شباط فبراير سنة ١٩٤٣ طالب النازيون مجلس الكبار بتسليم ستة الآف وثلاثماية يهودي من بياليستوك فامتثل المجلس اليهودي للأمر واعد قوائم باسماء اشخاص كل خطيئتهم انهم من اللاجئين الذين فروا الى بياليستوك من الجيتوات الأقليمية المدمرة . وتم ترتيب الصفقة في سرية مطلقة وبدون اي انذار او تلميح من بازار أو الأعضاء الآخرين في المجلس اليهودي للمكان الذي ينتظرهم . الا ان مجموعات من المقاومة المسماة « الكتلة الموحدة المناهضة للفاشية » علمت بالأمر فمنعت الأشخاص المدرجة اسماؤهم من الذهاب او الأمتثال للأمر . مما جعل الجميع يقفون صفا واحدا ضد النازيين وضد الترحيل .

### رابعاً : الفرد نوسغ ( Alfred Nosseg )

ولد نوسغ عام ١٨٦٤ وقتل في جيتو وارسو عام ١٩٤٣ . كاتب ، نحات ، موسيقي ، صهيوني ، شارك في المؤتمر الصهيوني الأول واختلف مع هرتزل ، أسس عام ١٩٠٨ ما يسمى منظمة الأستعمار اليهودية . بعد احتلال النازيين لبولونيا

واقامة جيتو وارسو ، قام نوسغ برسم خطة للهجرة اليهودية ، وقدم مذكرة بهذا الشأن الى السلطات الألمانية وقد سمي عضوا في اليودنيرات في وارسو ورئيسا لدائرة الفنون[٣٨] . تلك بعض المعلومات التي اشارت إليها الموسوعة اليهودية ، الا ان موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية اضافت الى ذلك قولها ان نوسغ وضع خطة لأبادة اليهود الألمان المسنين والفقراء[٣٩] .

تحت عنوان « شيخ الخونة » كتب المؤلف السوفييتي س. سولودار في كتابه العشب الطفيلي ما يلي : « عندما تتحدث مع المواطنين البولونيين اليهود عن العون المباشر الذي كان يقدم للنازيين لأخماد المقاومة بقسوة ووحشية ، فانهم يذكرون النشاط الخياني للمنظمة الصهيونية « فاكيل » اذ ان اعضاء هذه المنظمة لم يشعلوا نار حرب فدائية ضد المحتلين بل كانوا يشعلون الحرائق في المدن بتدبير من الفاشيين بالإضافة الى انهم نفذوا بحماس مهمات تجسسية وتخريبية لصالحهم وكان ابرز العاملين النشيطين في هذه المنظمة الفرد نوسغ الذي كان يدعو يهود وارسو لاستعمار الأراضي الفلسطينية ثم يكتشفون انه اصبح خادماً أميناً للجستابو ، وليس من قبيل المصادفة ان يحصل نوسغ في أحلك أيام الأحتلال الفاشي على ترخيص بالتجول في كل انحاء محافظة وارسو الكبرى . هذا التجول ساعده على التغلغل في صفوف المقاومة السرية وفصائل الأنصار ، وفي نفس الوقت كان يجمع المواد الأحصائية الخاصة بخطة سرية مع الجستابو وتقضي هذه الخطة بالأساس بابادة اليهود المرضى والمسنين والفقراء في الجيتوات ومعسكرات الاعتقال اذ لا فائدة من النضال من أجل انقاذهم اذا ذهبوا الى فلسطين لأنهم سيصبحون عبئا على الصهيونيين وكلما كانت الأرقام التي يقدمها اكبر استفاد من انقاذ بعض اليهود الذين تعول عليهم الدولة اليهودية المستقبلية . ان الأعمال التجسسية التي قام بها نوسغ وكذلك خطته التي

(٣٨) الموسوعة اليهودية ـ مجموعة رقم ١٢ صفحة ١٢٢٩ .

(٣٩) د . عبدالوهاب المسيري صفحة ٤٠١ .



قدمها للألمان لم تكن خافية على منظمات المقاومة اليهودية ولم تكن خافية على جميع نزلاء جيتو وارسو الذين اصبح غضبهم بلا حدود مما جعل هؤلاء يقبضون عليه بمجرد ظهوره في الجيتو ويسلمونه لمحكمة الثورة[٤٠] .

ان جميع المصادر التاريخية تشير الى محاكمة نوسغ من قبل سكان جيتو وارسو واعدامه شنقا الا الموسوعة اليهودية التي تقول انه اغتيل على يد اعضاء منظمة الدفاع اليهودية محاولة منهم في بذر الشكوك حول تجريم نوسغ بالتهم التي وجهت اليه مهملة الأشارة الى المحاكمة العلنية التي لا يزال يذكرها كل الأحياء الباقيين من يهود وارسو .

## خامساً : رودلف كاستنر ـ اسرائيل ـ ريزو ( Rodolf Kostner )

صحفي محامي ، قائد الحركة الصهيونية في روما وهنغاريا ، ولد في كلوج ترانسلفانيا ( أصبحت فيما بعد قسماً من رومانيا ) سنة ١٩٠٦ درس القانون سنة ١٩٢٥ ، شغل منصب نائب رئيس منظمة الصهيونية الهنغارية في بودابست ثم رئيساً للجنة الأنقاذ . كان على صلة مع المخابرات العسكرية والمخابرات الألمانية التي وصلت هنغاريا قبل الأحتلال النازي لها . وبعد الأحتلال كان على صلة مع ادولف آيخمان . وفي الفترة من ٢١ آب عام ١٩٤٤ حتى نيسان سنة ١٩٤٥ زار المانيا عدة مرات ، وزار سويسرا خمس مرات وأجرى اتصالات مع ممثلي اللجنة الأمريكية اليهودية المشتركة للتوزيع ، ومع ممثلي الوكالة اليهودية .

وبعد الحرب انتقل الى اسرائيل وشغل منصباً حكومياً وأصبح عضواً نشطاً في حزب المباي وقام بتحرير جريدة المباي الأسبوعية الناطقة باللغة الهنغارية ، قدم للمحاكمة في القدس بتهمة التعاون مع النازيين وتهمة اخرى تتعلق بتدخله لدى محكمة نورنبرغ لصالح أحد الضباط النازيين ( بسنجر ) . وقد وجد كاستنر

(٤٠) س . سولردار ، ترجمة مؤقتة صفحة ٥٤ ، ٥٥ .

مذنباً . . . وبتاريخ ١٩٥٧/٣/٣ أقدم شاب يدعى ( زئيف ايكشتاين ) على قتله في الطريق بعد أن مكث تسعة أيام في المستشفى الا ان المحكمة العليا الغت بتاريخ ١٩٥٨/١/١٧ قرار المحكمة البدائية وبرأت ساحة كاستنر من كل التهم التي وجهت اليه واعادوا اليه اعتباره .

تلك هي المعلومات التي وردت في الموسوعة اليهودية ، وهي معلومات مشوبة بكثير من التشويه(٤١) .

يعود الفضل في كشف جانب من تاريخ الحياة اليهودية في اوروبا الشرقية خلال الحرب العالمية الثانية الى قصة رودلف كاستنر . ويعود الفضل في كشف قصة كاستنر الى يهودي هنغاري مسن فقير صاحب فندق صغير في القدس صمم على ان يهب كل ما يملك من جهود وامكانات من اجل فضح رودلف كاستنر وتعرية موقفه المخزي امام الرأي العام الأسرائيلي . انه جرينولد . لقد بدأ هذا مسيرته الطويلة حسب اسلوبه الخاص وذلك باصدار نشرات منظمة متسلسلة يشرح لقرائه تاريخ كاستنر وافعاله في هنغاريا وتواطئه مع النازيين ضد اخوانه اليهود ، الا انه ووجه بلا مبالاة مغرقة من الجميع ، لأن ما يكتبه لا يمكن ان يصدّقه عقل ، فظن الناس ان جرينولد مجنون لأنه يكتب كلاماً أقل ما يقال فيه انه لا يمكن تصديقه . هكذا أعرض عنه الجمهور ، واستمر باصدار نشراته بانتظام وبدون ملل او كلل ، الى ان وصل العدد بنشراته المتسلسلة الى الرقم واحد وخمسين هذا العدد لفت نظر محام شاب ، اثار فيه حب الأستطلاع ، والبحث عن الحقيقة ، كان هذا المحامي شمويل تامير الذي اصبح فيما بعد وزير العدل في حكومة بيغن .

لقد جاء في النشرة ـ رقم ـ ٥١ ـ من نشرات جرينولد ما يلي : « من اجل من ولصالح من توجهت يا دكتور كاستنر متستراً تحت جنح الظلام الى نورنبرغ تشهد مدافعاً عن الكولونيل في الصاعقة النازية « كورت بينجر » قاتل اليهود ، الرجل

(٤١) الموسوعة اليهودية ـ المجموعة رقم ١٠ صفحة ٨١٤ .



الذي ولغ دماء اخوتنا في هنغاريا ؟ لماذا أنقذته من حكم الأعدام الذي استحقه بجدارة تامة ؟ لقد ذهبت الى نورنبرغ لأنقاذ قاتل اليهود بالجملة . . . من حرضك على هذا ؟ ما هي الأتفاقية بين بينجر وهذا الرجل الذي اتهمه بالتعاون مع النازية ؟ هذا الرجل كاستنر الذي رفعه حزب المباي الى موقع الصدارة بين كبار مسؤوليه ، لقد كلفتنا نتيجة اعماله في بودابست ارواح مئات الألوف ، اننا نطالب بتشكيل جهة شعبية نزيهة للتحقيق معه ، لا بد من طرد كاستنر من الحياة الأجتماعية والسياسية في هذا الوطن . سأستمر في الأصرار على رفع هذه المطالب حتى يقضى على الشر(٤٢) .

تمعن تامير في النشرة فلم يجد فيها ما ينفي الأتهام وهدف الأتهام ، ففي القانون الأسرائيلي نص على جريمة واحدة تستحق الأعدام ، انها التعاون مع النازي خلال مرحلة ابادة اليهود في اوروبا .

ولكن التهمة الموجهة الى كاستنر لم تكن التعاون مع النازية اثناء الأحتلال فحسب ، بل امعن في غيه واستمر في خطته ، واستكمل عناصر تعاونه بوضع نفسه تحت تصرف محكمة نورنبرغ لينتشل من براثن الموت أحد مجرمي الحرب وهو كورت بينجر .

في المحكمة التي ترأسها القاضي الأسرائيلي « هاليفي » بدأ كاستنر يتحدث عن هنغاريا ويهودها وآيخمان وبينجر وكرومي ( اصدقائه النازيين ) وعن الصفقة التاريخية التي تسمى صفقة الشاحنات . وعن كلوج قريته الصغيرة القريبة من الحدود الرومانية ، هذه القرية التي اصطفى كاستنر من اهلها ثلاثمائة شخصا هم خلاصة اقربائه واصدقائه واقرانه ليرحلهم الى خارج الحدود الهنغارية ( وهم في الواقع حصيلة ما قام به من عمل سماه انقاذ اليهود ) وذلك بموافقة آيخمان مقابل استمرار المفاوضات حول صفقة الشاحنات(٤٣) . ومن خلال هذه الأفادة برزت في

(٤٢) Ben Hecht , Page 45 .

(٤٣) Ibid Page 61 .

ذهن المحامي تامير جملة اسئلة كان عليه ان يجد لها أجوبة سواء من كاستنر ام من الشهود الآخرين : لماذا فضّل الألمان كاستنر على غيره ؟ ولماذا يقيمون أي اعتبار له وهم قتلة اليهود ؟ ولماذا يسمحون له دون غيره ان لا يضع شارة اليهود ( نجمة داوود ) على منزله في بودابست ؟ ولماذا استثنوه من وضع هذه النجمة على صدر معطفه ؟ ولماذا ابقوا له الهاتف في منزله في الوقت الذي منعوا اي اتصال على اي يهودي ؟ ولماذا ابقيت له سيارته يتنقل فيها بكامل حريته الى فيينا وحتى برلين ؟ لماذا يعاملونه وكأنه ممثل دولة محايدة عظمى ؟ وما هي الفائدة الممكنة التي يقدمها كاستنر مسؤول الوكالة اليهودية الى الألمان ؟

لقد كان جواب هذه الأسئلة جميعا كلمة واحدة وهي ان رودلف كاستنر كان ثمينا عند النازيين لأنه عاونهم على ذبح اليهود(٤٤) . الا ان السؤال الذي بقي فترة طويلة محيرا للأذهان هو اصرار كاستنر على التدخل من اجل حماية بينجر من المقصلة في الوقت الذي لم يكن مجبرا على ذلك ولم يخضع لأي ضغط كان ، اذ انه في ذلك الوقت كان في اسرائيل ، وليس تحت ضغط النازيين ـ اذا افترضنا انه قام باعماله الأخرى تحت الضغط ـ وفي المحكمة استدرج تامير كاستنر ليعرف منه الحقيقة ، وبعد انكار ونفي شديدين ومواجهته بكثير من الأدلة والوثائق اعترف كاستنر بالحقيقة كاملة وسردها على مسامع القضاء والناس .

ونقطة البداية كانت على شكل قنبلة وهي الأفادة المكتوبة التي قدمها كاستنر الى المحكمة والتي تلاها تامير على مسمعه مرة اخرى وهي كما يلي : « انا الموقع ادناه الدكتور رودلف كاستنر اود تقديم البيان التالي واضيفه الى افادتي المقدمة سابقا الى المحكمة الدولية في ( نورنبرغ ) تحت رقم (٢٦٠٥) الخاصة بالجنرال كورت بينجر : ليس هناك ادنى شك ان الكولونيل بينجر هو واحد من القلائل جدا من قادة الصاعقة الألمانية الذين تحلوا بالشجاعة لمعارضة برنامج ابادة اليهود والذين حاولوا انقاذ ارواح

---

(٤٤) Ibid Page 63 .



بشرية ، ونظراً لعلاقتي الشخصية معه خلال الفترة من حزيران سنة ١٩٤٤ حتى نيسان سنة ١٩٤٥ ارجو ان ابين على ضوء ملاحظاتي الشخصية ان بينجر فعل كل ما يستطيعه ضمن حدود امكاناته لأنقاذ ارواح البشر البريئة من الطغيان الأعمى الذي يسيطر على قادة النازية . ولذلك رغم تعارض شكل واساس المفاوضات بيننا ، فانني لم اشك لحظة واحدة بحسن نواياه . وبرأيي فانه يستحق كل تقدير ممكن عندما يقدم للمحاكمة امام السلطات الحليفة أو الألمانية . انني اقدم هذا البيان باسمي الشخصي فقط وليس ايضا نيابة عن الوكالة اليهودية والمؤتمر اليهودي العالمي » . ( التوقيع رودلف كاستنر الرئيس السابق للمنظمة اليهودية في هنغاريا ١٩٤٣ ـ ١٩٤٥ ، ممثل لجنة التوزيع المشتركة في بودابست ) .

لقد اكد كاستنر للمحكمة انه مخول من قبل الوكالة اليهودية والمجلس اليهودي العالمي بالأدلاء بشهادته هذه ، فقد اذن له كل من ( دوبكين وبارلاس ) من الوكالة اليهودية و ( رينجر ) ممثل المجلس اليهودي العالمي في اوروبا . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فقد كان مثول كاستنر امام محكمة نورنبرغ بناء على طلبه وبرغبته الكاملة دون اي ضغط من احد ، وهذا ما اكده ( والتر راب ) الكولونيل في الجيش الأمريكي والمستشار القانوني لوزارة الخارجية ورئيس دائرة الأدلة في محكمة نورنبرغ ونائب الجنرال ( تايلدر ) رئيس القضاة الأمريكيين في نورنبرغ . اذ قدم وثيقة للمحكمة الأسرائيلية تثبت ان كاستنر وصل الى نورنبرغ متطوعا للشهادة لصالح الكولونيل بينجر(٤٥) .

لماذا هذا الأصرار من قبل كاستنر ليتحمل كل هذه المسؤولية الضخمة التي تكلفه حياته ويغار بتقديم الشهادة هذه لصالح بينجر ـ وهو الحر الطليق من كل قيد ـ لا بد ان للنازيين عليه مستمسكات تفرض عليه ذلك ـ ان تعاون كاستنر مع الألمان تتجلى في الأساس في نقطتين اثنتين : ـ

---

(٤٥) Ben Hecht Page 63 .

١ ـ انه تعهد لهم بان يخفي على يهود هنغاريا اخبار معسكرات الأعتقال والترحيل والأبادة وغيرها ، وان يضمن لهم هدوء وسكوت هؤلاء حتى يصلوا الى المصير المرسوم لهم ، وهذا ما اكده آيخمان في محاكمته في القدس اذ قال : « كنت اعرف انني بحاجة الى قوة منظمة ومتماسكة مثل لجنة بودابست اليهودية ، ولم يكن بالأمكان تهجير اليهود بالشكل الذي تم عليه لـولا ان صحيفتهم كانت لا تكف تكرر « من الضروري طاعة الألمان . . وحينذاك لن تكون هناك اية مصاعب . . » كان لدى عدة دزينات من الضباط وضباط الصف واقل من ثلاثماية عنصر من الـ ( SS ) ، ولولا اللجنة اليهـودية لمـا تمكنت من عمل اي شيء ولحلّت الفـوضى التامة »(٤٦) .

٢ ـ انه اكتفى من انقاذ اليهود بـ ( ٣٣٨ ) شخصا هم اقرباؤه واصدقاؤه ومعارفه وقد اختارهم شخصياً . ومعظمهم من أهل بلدته كلوج التي كان يقطنها عشرون الف يهودي . ولو أراد انقاذ جميع هؤلاء لأمكنه ذلك ، اذ يكفي ان يشير اليهم بترك القرية واجتياز الحدود الرومانية التي لا تبعد اكثر من ثلاثة كيلومترات عن هذه القرية ، الا انه آثر الصمت التزاماً بتعهده للنازيين بأن يظل صامتاً .

هاتان النقطتان كانتا سيفاً مسلطاً على رقبة كاستنر لو تباطأ في القدوم الى محكمة نورنبرغ لأنقاذ رقبة بينجر . وحيث ان كاستنر لم يكن يعمل بمفرده وانه كان يتلقى تعليمات زعماء صهيون في فلسطين ، فقد شجعه هؤلاء على المضي في طريقه وخولوه تقديم الشهادة بصفاته الرسمية الكثيرة المشار اليها .

ونقطة ثالثة بقيت ضمن الأسرار التي لم تكشف حتى الآن ، وهي ان كاستنر كان يرغب في أن يقتسم مع بينجر الأموال الطائلة التي اغتصبها من اليهود ، وانه

(٤٦) برودسكي وشوليستر صفحة ١٥٢ .

( * ) اسر الي بهذه المعلومات الصحفي اليهودي ( مكسيم جيلان ) صاحب جريدة وأحد المطلعين على القضية وكان متهماً بقتل كاستنر في عام ١٩٥٧ .



استطاع فعلا بعد اجتماع منفرد عقده معه في نورنبرغ ان يقنعه بتقديم نصف هذه الأموال لحزب المباي مقابل ان يقدم له الشهادة المطلوبة . وبعد ست ساعات خرج كاستنر من غرفة بينجر الى المحكمة ليقدم هذه الشهادة ويحصل لحزب العمل على نصف اموال بينجر . اذا لم تكن القضية التزاما فحسب ، بل هي بالأضافة الى ذلك صفقة طرفها الأول بينجر وطرفها الثاني حزب العمل الأسرائيلي الذي يقود الحكومة الأسرائيلية في ذلك الوقت ممثلا برودلف كاستنر .

فبعد أن قامت جميع السلطات وجميع القادة الأسرائيليين بالتعتيم على الحقيقة لصالح كاستنر تقدم هذا الرجل العجوز ( جرينولد ) لأماطة اللثام عنها . بماذا يمكن ان نفسر تصرفهم هذا ؟ لقد كان من واجبهم حمايته حتى لا يكشف جميع الحقائق التي يعرفها عن تعاون من نوع آخر تعاون الوكالة اليهودية مع البريطانيـة ، هذا التعاون الذي عرقل انقاذ يهود اوروبا وساهم في ابادتهم(٤٧) .

وأخيراً صدر الحكم ببراءة جرينولد من تهمة القذف ضد كاستنر ، وثبت ان جرينولد كان بريئاً من كل التهم التي وجهها اليه باستثناء التهمة الخاصة بقبض أموال من النازيين مقابل مساعدته لهم في خطة الأبادة . وانتهى دور جرينولد كمتهم ليحل محله كاستنر . فبعد أن كان شاهداً في القضية الأولى أصبح متهماً في القضية الثانية .

بعد صدور الحكم قامت ثورة صحفية في «اسرائيل» بعض الصحف أيدت القرار وطالبت بمزيد من كشف الحقيقة ، وطالبت بتقديم كاستنر وغيره للمحاكمة والبعض الآخر ( المؤيد للحكومة ) اعتبر القضية كلها مهزلة بطلها تامير . ولكن كان أبرز التعليقات الصحفية ما ورد في جريدة كوهاعام التي قالت : كل من له قريب ذبحه الألمان لا بد ان يعرف الآن ان اياد يهودية ساعدت على هذا القتل الجماعي .

لم يكتف كاستنر بمحاولة انقاذ بينجر بل عمد الى انقاذ نازي آخر هو ( فون ويسليزني ) الذي اعتقله السلوفاك ليحاكموه عن جميع نشاطاته السابقة ، وكانت

(٤٧) Ben Hecht Page 172 .

الطريقة الوحيدة لأنقاذه هي نقله من ايدي السلوفاك الى ايدي الأمريكان . فكتب كاستنر الى السطلات الأمريكية في نورنبرغ ما يلي : « اعتقد انه من المناسب ان تقوم الولايات المتحدة بمحاكمة امثال هؤلاء الناس لأن الدول التي كانت تابعة لألمانيا تورطت في الأعمال المعادية لليهود ، ولذلك لن تكون قادرة على القيام بهذه المحاكمات ، ولكن السلوفاك الذين كانوا يعرفون تصرفات ويسلزني لم ينتظروا وصول الأمريكان واجهزوا عليه[٤٨] .

كان الرفيق الثالث لكاستنر هو الضابط الألماني ( كرومي ) المعتقل لدى الأمريكان والذي كان ينتظر منه الغوث والنجدة فارسل له رسالة يقول فيها : « عزيزي شديد الأحترام السيد كرومي . . لقد أرسلت تقريراً الى مؤتمر المجلس الصهيوني في بال بينت فيه رسمياً وأوضحت العمل الذي قام به الذين ساعدوا اليهود . . ارجو ان تثمر جهودي المبذولة لصالح تمكينك من استرداد حريتك وان تبدأ حياة جديدة على اسس جديدة ، وسأبذل جهدي لمعونتك في هذا المجال . . مع تحياتي القلبية . . . رودلف كاستنر[٤٩] .

في الثالث من آذار سنة **١٩٥٧** اطلق شاب النار على كاستنر فاصابه اصابة قاتلة[٥٠] ، نقل على اثرها للمستشفى حتى امكن انقاذ حياته ولكنه بعد اسبوع فارق الحياة بعد ان تحسنت صحته وتماثل للشفاء وتجاوز مرحلة الخطر . . الشاب الذي اطلق النار اسمه « زئيف اكشتاين » ، وكان مخبراً سرياً في المخابرات الاسرائيلية حتى عدة أشهر قبل قتله لكاستنر . حكم عليه بالسجن المؤبد . وحفظت القضية . . . قضية كاستنر .

---

(٤٨) Ben Hecht Page 183 .

(٤٩) Ben Hecht Page 197 .

(٥٠) برودسكي وشوليستر صفحة ١٥٠ .



# الأتصالات السرية
# بين قيادة الحركة الصيونية والمانيا النازية

## الفصل الرابع

## الأغيار

## « غوييمي »

**Gentiles**

غوييم كلمة عبرية تعني الأغيار للدلالة على الآخرين من غير اليهود سواء أكانوا دولاً ام افراداً . ولا نقول شعوباً . بالرغم من أن الحركة الصهيونية تستعمل كلمة « الشعب اليهودي » لأعتقادها ان اتباع الدين اليهودي يشكلون شعبا متكامل الصفات والخصائص متميزاً عنصرياً عن غيره من الشعوب الأخرى . وغوييم كلمة تعبر عن الوضع النفسي الذي عانى منه اليهود والعزلة التي فرضت عليهم والتي كرستها الجيتوات ذات الأسوار والأبواب الضيقة . وقد تمكنت الحركة الصهيونية من استغلال هذا الوضع لأقناع اليهود باستحالة الحياة مع الآخرين « غوييم » ، الأغيار ، ( Gentiles ) وانه لابد من البحث عن وطن مستقل باليهود ولليهود .

ولما كانت كلمة « الشعب اليهودي » ذي الأصل السامي لا تعبّر علمياً عن وجود مثل هذا الشعب بالمعنى المصطلح عليه لهذه الكلمة ، فان اليهود يعتبرون جزءا من الشعوب التي عاشوا بينها ولا يختلفون عنها سوى بالمعتقد والدين مثلهم في ذلك

مثل سائر الشعوب المختلفة في الدين والمعتقد . ولقد نقض الكاتب الصهيوني آرثر كوستلر فكرة الأصل السامي الموحد لليهود وذلك في كتابه ( The Thirteenth Tribes )[1] . مشيراً الى ان اصل معظم يهود اوروبا الشرقية والغربية هم من بقايا دولة الخزر التي تهودت مع مليكها في القرون الوسطى ، وان هؤلاء اليهود يشكلون النسبة العظمى من يهود العالم في الوقت الحاضر .

ومع ذلك يصرّ زعماء الحركة الصهيونية على تمييز اليهود من غيرهم . ويعتبرون كل من ليس يهوديا هو من الأغيار « غوييم » اياً كان الشعب الذي ينتمي اليه او الدين والمعتقد الذي يمارسه ، حتى يستمر الشعور لدى اليهودي بالعزلة التامة عن الآخرين ، ويؤمن بالدعوة الصهيونية التي ترفض فكرة الأندماج وتدعو اليهود للهجرة .

لذلك ونحن نعالج المشكلة اليهودية ابان الحرب العالمية الثانية ، ونحلل الموقف النازي والصهيوني من اليهود ، نجد لزاما علينا ان نتعرف الى موقف الآخرين من هذه المشكلة خصوصاً وان اليهود ، طيلة ايام الحرب ، كانوا بحاجة ماسة لمن يساعدهم ويخفف من آلامهم . ومن هنا فاننا سنبحث في هذا الفصل موقف الدول الأخرى ، تلك التي كانت او لم تكن طرفاً في النزاع ، الدول التي لعبت دوراً ايجابياً او سلبياً تجاه هذه المشكلة . على ان نستثني كل الدول التي كانت تدور بفلك المانيا او تلك التي تبنت افكارها النازية الفاشية بطريقة او بأخرى ، لأن الحديث عن هذه الدول لن يضيف شيئاً الى ما ذكرناه في الفصول السابقة ، الا ان هذا الأستثناء لا يمنع من الأشارة الى موقف الأمبراطورية اليابانية المثير للدهشة من اليهود ، هذا الموقف المعبّر عن نظرة استعمارية في استغلال اليهود كعنصر بشري فعال لتحقيق اهداف الأمبراطورية اليابانية باقامة دولة او ما يشبه الدولة في منطقة منشوريا لتشكل حاجزاً يحمي اليابان من الصين ، ويساعدها في استغلال ثروات هذه المنطقة الطبيعية ونهب خيراتها وسلب مواردها .

( ١ ) امبراطورية الخزر وميراثها ـ تأليف آرثر كوستلر ، اصدار فلسطين المحتلة ١٩٧٩ .



ان الأعلام الغربي والأمريكي بصورة خاصة صور المشكلة اليهودية ابان الحرب العالمية الثانية على انها نموذج وحيد وفريد للهجمة النازية ، وقد قصر ابعاد هذه الهجمة على مأساة اليهود فقط واعطاها حجما مضخما ، وقدم صورة مشوهة عن جزء من الحقيقة بعد ان اهمل الأجزاء الأخرى التي تكمل خارطة الوضع الدقيق في تلك الحقبة من الزمن . واذا افترضنا ـ جدلاً ـ ان ما حصل على ايدي النازيين هو حقيقة لا تشوبها اية شائبة ، وان ملايين اليهود قد قتلوا او شردوا فان السؤال الذي يطرح نفسه بشكل ملح ، هو موقف الغرب الحقيقي من هذه « المأساة » . كيف تصرف وما هي المساعدات الفعلية التي قدمها لليهود من اجل حمايتهم . وفي نفس الوقت لا بد ان نعرف موقف الشرق . وموقف الآخرين القادرين على التأثير سلباً او ايجاباً . وأخيراً ما هي الدوافع التي جعلت هؤلاء يتصرفون بهذا الشكل او بذاك .

وبذلك فان اقسام هذا الفصل ستكون على النحو التالي : ـ

- القسم الأول : جوهر الأمبريالية واحد وان اختلفت المظاهر .
- القسم الثاني : نظرة امريكية ونقيضها الى المسألة اليهودية .
- القسم الثالث : اللاسامية . . في وطن الساميين ؟
- القسم الرابع : الأممية تنفي العنصرية .

# القســـم الأول

## جوهر الأمبريالية واحد وان اختلفت المظاهر

لا يمكن ان تكون الامبريالية مؤسسة انسانية ولا تستطيع ان تكون كذلك ، لأن الغاية عندها تبرر الواسطة ، وفي سبيل تحقيق اهدافها فهي على اتم الأستعداد ان تدوس كل الشعوب الصغيرة والعاجزة .

مع تكوّن الدول القومية في اوروبا ، ونمو علاقات الأنتاج الرأسمالية في بلدان مختلفة من القارة ، برزت الحاجة الى المواد الخام الأولية والى الأسواق الخارجية . وصار للبلدان الرأسمالية مصالح حيوية ومجال حيوي فيما وراء البحار . وفي تلك المرحلة عرف العالم ظاهرة الأستعمار ، ومع نهايات القرن الماضي تطورت الرأسمالية نحو مرحلتها الأمبريالية التي طورت اشكال واساليب الأستعمار القديم ، وتولت مهمة امتصاص دم الشعوب وسلب خيراتها ونهب اموالها .

ولما كان الشرق الأوسط المعبر الوحيد الى الشرق الأقصى ـ المجال الحيوي لدول اوروبا الأستعمارية ـ فقد اصبحت هذه المنطقة ـ الشرق الأوسط ـ محط انظار كل الدول الأستعمارية لتضمن بوساطتها توفير اتصالات قوافلها ، وبات توفيرها كعقدة مواصلات الشغل الشاغل لصانعي السياسة في تلك الدول . وبعد فشل الحروب الصليبية وعدم جدوى الأسلوب الأستعماري القديم الذي يعتمد الأحتلال العسكري والسيطرة والقمع . تفتق العقل الأستعماري عن اسلوب جديد يضمن بواسطته توفير هذه السياسة . وهذا الأسلوب مبني على الأستفادة من موجات



الأضطهاد الموجهة ضد اليهود مع اغرائهم بالعودة الى ارض الميعاد وبناء دولة اسرائيل في فلسطين ، وتوفير الحماية اللازمة لهذه الدولة من قبل الدول الأستعمارية الأوروبية . اي انهم اتبعوا سياسة الترهيب والترغيب حتى يضمنوا تدفق سيول المهاجرين اليهود الى تلك المنطقة وبالذات الى فلسطين .

سيطرت هذه الفكرة على بعض دول الأستعمار منذ اواخر القرن الثامن عشر . واول من نادى بها هو نابليون بونابرت الذي فشل اثناء احتلاله لمصر ومحاولته احتلال فلسطين ، اصدر منشورا عام ١٧٩٨ يدعو فيه اليهود الى اقامة دولة يهودية في فلسطين وفي عام ١٧٩٩ اصدر منشوراً آخر يدعو فيه يهود افريقيا الى الألتفاف حوله لأعادة بناء القدس القديمة . وفي عام ١٨٦٠ اصدر ( ارنست لهران السكرتير الخاص لنابليون الثالث امبراطور فرنسا نشرة عنوانها ( المسألة الشرقية ) يدعو فيها اليهود الى العمل لبعث وطنهم تحت الحماية المقدسة لفرنسا المحررة . وبعد ذلك بفترة قصيرة رعت الأمبراطورة « اوجيني » لجنة شكلت في باريس لتشجيع الهجرة اليهودية الى فلسطين(٢) .

ثم انتقلت المبادرة الى بريطانيا عقب احساسها بخطر محمد علي باشا فاحدثت في القدس سنة ١٨٣٩ قنصلية بريطانية ، وهي اول قنصلية لدولة غربية في المدينة المقدسة وقد وضع اليهود تحت حمايتها ، وفي عام ١٨٤٠ دعا اللورد شافتسيري في تقرير له الى اقامة حاجز بين الجزء العربي في افريقيا والجزء الآسيوي عن طريق اقامة دولة تحت حماية انكلترا . وفي ٢٥ ايلول سنة ١٨٤٠ قدمت مذكرة الى بالمرستون وزير الخارجية البريطانية تتضمن خطة لأستعمار فلسطين ، وفي آب عام ١٨٤٠ وجه بالمرستون تعليمات الى سفيره في استنبول لتشجيع اقامة اليهود في فلسطين وذلك لمنع اية محاولة يقوم بها محمد علي باشا لتوحيد مصر وسورية .

---

( ٢ ) تطور الحركة العمالية الفلسطينية منذ عهد الأحتلال وحتى سنة ١٩٨٠ ـ لجنة الدراسات الفلسطينية ـ دمشق ١٩٨٠ صفحة ١٦ .

لم يكن لقاء بريطانيا بافكار الحركة الصهيونية ناجما عن نشاطات قادة هذه الحركة ، اذ ان دعوة بريطانيا لأقامة وطن قومي يهودي سبقت كثيرا المؤتمر الصهيوني الأول ، بل سبقت ميلاد تيودور هيرتزل نفسه ، ولم يكن ناجما عن عطف انساني على اليهود المضطهدين في اوروبا الشرقية ، ان هذا التطابق في التفكير بين بريطانيا من جهة والحركة الصهيونية ـ التي جاءت متأخرة كثيرا على التفكير البريطاني ـ من جهة ثانية ، يدفعنا الى القول ان ساسة بريطانيا سعوا من جانبهم الى خلق الصهيونية السياسية بعد ان اعيتهم السبل في حث اليهود على الرحيل الى فلسطين بدون دافع ايدولوجي يثير حماستهم ويلهب عواطفهم وخيالاتهم . والذي يؤكد هذا الأتجاه ان قادة الحركة الصهيونية اعلنوا فيما بعد وبكل وضوح انهم راغبون في خدمة المدنية الأوروبية وانهم قادرون على ذلك عندما يطلب عونهم . وعودة الى هيرتزل الذي قال : « فيما يتعلق باوروبا فاننا سنكون هناك ( في فلسطين ) حاجزاً ضد آسيا ، وديد بانا متقدما يحمي المدنية ضد البربرية . وسنبقى على علاقاتنا الثابتة مع اوروبا ، ولكن عليها ان تضمن وجودنا »[٣] .

وفي عام ١٨٧٧ نشر الدبلوماسي البريطاني جيمس نيل كتاباً بعنوان « النزوح الى فلسطين او جمع شمل اسرائيل المشتته » قال فيه ان احتمال امكانية استيطان ارض فلسطين من قبل الأنكليز بنفس النجاح الذي استوطنوا به امريكا الشمالية بعيد جداً بسبب حرارة الجو والصعوبات التي يقيمها العرب والأفتقار الى حماية فعالة ، لذلك ، فهو يقترح ان يستخدم اليهود لتحقيق ذلك[٤] .

ليست المصادفة هي التي وحدت بين افكار المستعمرين البريطانيين وزعماء الحركة الصهيونية في العمل على استعمار فلسطين بزرع اليهود فيها . واذا كان

---

(٣) Theodor Herzl Page 139 .

(٤) العرب واليهود في التاريخ ـ د . احمد سوسه ـ دمشق سنة ١٩٧٥ صفحة ٥٨٣ ـ ٥٨٤ ايضاً ايفانوف يوري صفحة ٤٥ ، ٤٤ .



هيرتزل يتحدث عن قيام اليهود بحراسة المصالح « الحضارية » الغربية . فان « نيل » يرى ان التضحية باليهود من اجل القيام بهذه المهمة اقل تكاليفاً من التضحية بغيرهم وارخص ثمناً ، لأنه يعرف سلفاً الثمن الباهض الذي سيدفعه المستعمرون بسبب حرارة الجو والصعوبات التي سيقيمها العرب وانعدام الحماية الفعالة . ان هذا الثمن لا يستطيع ان يدفعه من حساب الأوروبيين المسيحيين ، فلماذا لا يدفع من حساب اليهود ؟ ان هذه الأفكار تذكرنا برسالة مونتاجو الوزير اليهودي في الوزارة البريطانية عندما اعلنت وعد بلفور ، اذ قال ان الحكومة البريطانية ، حكومة معادية لليهودية ، عندما تطلب منهم الرحيل الى فلسطين لأقامة وطن قومي لهم .

في بداية القرن العشرين كانت بريطانيا تمثل اكبر امبراطورية استعمارية بين الدول الأوروبية وهي فرنسا والمانيا واسبانيا وبلجيكا وهولنده والبرتغال ، وكانت هذه الدول لا تزال تتطلع الى منافستها وتهديدها ، الأمر الذي دفعها لتبحث عن جبهة استعمارية موحدة تقطع الطريق على التنافس مثلما تقطعها على اية حركة وطنية يمكن ان تفيد من هذا التنافس . فوضعت لهذا الغرض مشروعا وافقت عليه فرنسا سمي هذا الأتفاق « الأتحاد الودي » ، للتوسع في افريقيا مما جمّد بشكل غير مباشر اندفاع المانيا نحو القارة الأفريقية ، وضرب من جهة اخرى نفوذ تركيا في شمال افريقيا .

وفي عام ١٩٠٧ سقطت وزارة المحافظين في بريطانيا وجاءت وزارة الأحرار برئاسة ( كامبل بيرمان ) رئيس الحزب الذي وافق على تشكيل جبهة استعمارية موحدة من الدول ذات الأملاك والمصالح المتوافقة في العالم القديم ، وقامت هذه الجبهة بين كل من بريطانيا وبلجيكا وهولنده والبرتغال وايطاليا واسبانيا ـ باستثناء المانيا ـ على اعتبار ان صداقة هذه الدول وتعاونها يعتبر ضرورة للمصلحة البريطانية في وقف المد الأستعماري الألماني الجديد . لهذا الغرض شكلت لجنة من خبراء هذه الدول تتولى دراسة الأتفاق الودي كحلف جديد باسبابه واسسه وتكوينه واهدافه ووسائله . وكان من بين اعضاء اللجنة مؤرخون وعلماء اجتماعيون وجغرافيون

واقتصاديون ونفطيون وزراعيون وخبراء في شؤون الأستعمار . وكان هدف اللجنة كما حدده بنزمان هو ايجاد الأسباب والوسائل لمنع سقوط الأمبراطوريات القديمة . وبعد الدراسة وضع التقرير المطلوب .

يقول تقرير كامبل بنرمان : « ان الخطر يكمن في هذه المنطقة بالذات ، وبصورة خاصة في تحررها وتثقيف شعوبها وتطويرها وتوحيد اتجاهاتها لذلك فعلى الدول ذات المصلحة ان تعمل على استمرار تأخرها وتجزئتها وابقاء شعوبها مفككة جاهلة متناحرة . وعلينا محاربة اتحاد هذه الشعوب ، وارتباطها باي نوع من انواع الأرتباط الفكري والروحي او التاريخي ، وايجاد الوسائل العملية القوية لفصلها بعضا عن بعض . وكوسيلة اساسية مستعجلة ولدرء الخطر اوصى التقرير بضرورة العمل على فصل الجزء الأفريقي من هذه المنطقة عن جزئها الآسيوي . واقترح لذلك اقامة حاجز بشري قوي وغريب بحيث يشكل في هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس قوة صديقة للأستعمار عدوة لسكان المنطقة » .

وفي نوفمبر سنة ١٩١٤ وجه حاييم وايزمان رسالة الى رئيس تحرير صحيفة المانشستر جارديان يقول فيها: «انه اذا وقعت فلسطين ضمن منطقة النفوذ البريطاني ، ثم شجعت بريطانيا استيطان اليهود في فلسطين واقامة مجتمع يهودي يعتمد على بريطانيا وامكن ادخال مليون يهودي هناك في فترة تمتد من عشرين الى ثلاثين عاماً ، فان هؤلاء اليهود سيطورون هذا القطر ويكونون حرسا فعالا يحمي قناة السويس »(٥) .

وجاء في مذكرات تشرشل : « اذا اتيح لنا في حياتنا ، وهو ما سيقع حتماً ان نشهد مولد دولة يهودية ليس في فلسطين وحدها ، بل على ضفتي نهر الاردن معاً ، تقوم تحت حماية التاج البريطاني وتضم نحو ثلاثة أو أربعة ملايين يهودي . فاننا سنشهد وقوع حادث يتفق تمام الاتفاق مع المصالح الحيوية للامبراطورية البريطانية »(٦) .

(٥) تطور الحركة العمالية الفلسطينية صفحة ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ وايضاً احمد سوسه صفحة ٥٨٥ ، ٥٨٦ .
(٦) د. احمد سوسه صفحة ٥٨٤ .



لم يكن دافع الدول الأستعمارية تجاه اليهود دافعاً انسانياً بل لتأمين مصالح لتلك الدول وعلى حساب اليهود انفسهم ، فالدعوة لأقامة دولة يهودية في فلسطين هي اولاً وآخراً دعوة استعمارية ، واسلوب استعماري محدث .

لذلك نرى هيرتزل يكمل النظرية الأستعمارية ذات المضمون الأقتصادي ، عندما يتحدث ـ في دولته اليهودية ـ عن الهجرة الجماعية ، ويرفض رفضاً قاطعاً فكرة الهجرة الفردية او تلك التي تحت جنح الظلام . ان الهجرة الجماعية تعني امرين اثنين : اولهما ان هذا النوع من الهجرة لا يتم الا اذا حصل اضطهاد بموجات عامة وقاسية ، وثانيهما لا بد من توفير نوع من الحماية للمهاجرين في المكان الذي سيصلون اليه ، وهذه الحماية كما يراها هيرتزل تتم من قبل الغرب من خلال بسط سيطرته على المنطقة .

ان كتاب دولة اليهود ـ الذي يقال ان هيرتزل الفه ـ لم يتطرق بالحديث بشكل اساسي الا عن انشاء شركة تجارية وجمعية تردف هذه الشركة بالافراد وتقدم لها العمال والفلاحين الصالحين للخدمة والاستيطان . وهذا ما يفسر توجيه وعد بلفور في الثاني من تشرين الثاني سنة ١٩١٧ الى البارون روتشلد التاجر والمقاول وصاحب البنوك والمؤسسات المصرفية والشركات التجارية الضخمة وصاحب مشروع المستوطنات الزراعية الأقتصادية في شمال فلسطين . بينما لم يوجه هذا الوعد الى حاييم وايزمان والى المؤتمر الصهيوني العالمي والى اية جهة ذات طابع عقائدي .

وفي الحرب العالمية الثانية لم تحرك بريطانيا ساكنا تجاه المحنة اليهودية ، ولم تحاول ان تقدم اي عون ممكن لأنقاذهم ، بل كانت تخفي المعلومات الأساسية التي وردت اليها عن هذه المحنة يضاف الى ذلك ان ابوابها وابواب معظم مستعمراتها كانت مقفلة بوجههم باستثناء ابواب فلسطين . ان كل ما فعلته بريطانيا بهذا الصدد هو موقف كلامي جاء على لسان رئيس وزرائها تشرشل في رسالة وجهها الى ايدن قال فيها : « لا ريب ان هذه الجريمة تشكل على الأرجح اكبر الجرائم التي ارتكبت عبر

تاريخ العالم كله واشدها فظاعة ، وقد اقترفته الآلية العلمية على ايدي اشخاص متحضرين شكلياً باسم دولة عظيمة وباسم احدى السلاسل العرقية القائدة في اوروبا . ومن الواضح تماما ان كل المتورطين في هذه الجريمة الذين قد يقعون في ايدينا بمن فيهم اولئك الذين اطاعوا الأوامر فقط ونفذوا اعمال سفك الدماء والقتل الجماعي ، يجب ان يحكم عليهم بالموت بعد ثبوت اشتراكهم مع القتلة ، ولهذا يتوجب في رأيي عدم اجراء مفاوضات من اي نوع بشأن هذا الموضوع . ويجب ان يكون هذا التصريح علنيا وهكذا يتوجب ملاحقة كل شخص له علاقة بالجريمة واعدامه »[٧] .

ويعلق الكاتب راوول هيلبرغ على هذه الرسالة بقوله : « انها تكشف قدرا كبيرا من افكار رئيس الوزراء البريطاني تشرشل الذي لم يكن معنيا بسلامة اليهود بشكل خاص بل كان قلقا على سمعة الشعب الألماني ، لأن المجرمين ( النازيين جلبوا الخزي على عرقهم )[٨] .

ومن هذا المنظور وضمن هذا المفهوم حاولت اليابان ايضا ان تلعب الدور نفسه بمصير اليهود وان تستفيد من ظروفهم الدولية ، ومن اجل ان تبني منهم وبهم حاجزاً تسميه « دولة اسرائيل الأسيوية » تقوم في منطقة منشوريا الواسعة والغنية بالمواد الأولية والثروات .

ان ما نقوله ليس من صنع الخيال والوهم وانما هو خطة درست بعناية واتقان وسرية على اعلى المستويات في طوكيو وحيكت خيوطها بمهارة واتقان ووضعت كل مخططاتها موضع التنفيذ ، لكن نشوب الحرب واشتراك اليابان فيها ضيع الفرصة النادرة التي لو نجحت لتغير وجه العالم .

---

(٧) The Destruction of the Europian By Raul Hilberg, London , 1979 , Page 727 .

(٨) Ibid Page 727 .



صدر في كل من لندن ونيويورك في عام ١٩٧٩ كتاب جديد الفه حاخام يهودي اسمه فارمرتوكاير وزوجته ماري سوارتز اسم الكتاب ( Fugu Plan ) ( فوجو بلان ) يروي قصة لم تعلن من قبل عن اليهود واليابانيين اثناء الحرب العالمية الثانية . وقد ترجم الكتاب الى الفرنسية من قبل بريجيت شابرول ونشرت مجلة « لونوفل اوبزفاتور » بتاريخ ٢٨ كانون الثاني سنة ١٩٨٠ وعلى صفحاتها ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، بحثا مستفيضا عن هذا الكتاب الذي يتحدث عن مفاجأة تكاد تكون مفاجأة القرن الحالي . . « اليابان تتبنى اليهود لأقامة دولة يهودية في منشوريا » .

تمكن الحاخام مارفن بفضل وزارة الخارجية اليابانية وشهادات الباقين على قيد الحياة ، من الأطلاع على تفاصيل خطة فوجو التي كانت تهدف الى اقامة دولة عبرية في منشوريا ، ولو نجح هذا المشروع لكان وصل مئات الألوف من اليهود الى شرقي آسيا ولما كانت وجدت بالتالي المشكلة الفلسطينية[٩] .

---

(٩) The Fugu Plan , By Marvin Tokyar and Mary Suartz , Newyork and London 1979 , Page 94 , 95 .

## القســـم الثـــاني

## نظرة امريكية ونقيضها للمسألة اليهودية

لم نشر في القسم السابق الى الموقف الأمريكي من المسألة اليهودية لأننا اردنا ان نفرد له قسماً خاصاً به ، لخصوصية هذا الموقف وصفاته المتعددة والمتميزة . وحتى نزيل كثيرا من الأوهام العالقة حول طبيعة الصلة بين الصهيونية والولايات المتحدة الأمريكية التي يرى الكثيرون انها بدأت بالفعل منذ الحرب العالمية الثانيةويعزون ذلك الى الوقت الذي زاد فيه النفوذ الصهيوني في امريكا الى حد جعل ما يسمى بـ (اللوبي) قادرا على التأثير المباشر في السياسة الأمريكية وتوجيهها حسبما تمليه مصلحة الصهاينة هناك . لذا فان امريكا بريئة كل البراءة من كل مسعى سابق على هذا التاريخ لأقامة دولة يهودية في فلسطين في نفس الوقت الذي تبدو فيه المحامي البارع عن قضايا اليهودية في العالم ، وبصورة خاصة يهود الأتحاد السوفيتي الذين لم تترك فرصة الا وحاولت تشويه سمعة السوفييت تحت شعار حقوق الأنسان وحق الأختيار لليهود ، لهذا رأينا ان نعطي الموقف الأمبريالي الأمريكي من القضية اليهودية حظا اوفر في البحث لنكشف كل جوانبه التي لا زالت اجزاء منها خافية او غامضة حتى الآن .

ليس دقيقاً ما يقال من ان امريكا اقحمت نفسها على قضية فلسطين في الحرب العالمية الثانية فقط وانها علمت متأخرة بمعاهدة سايكس بيكو ووعد بلفور ، وانها لم تكن معنية بالشرق الأوسط وليس لها اية مصالح فيه ، وانها اعلنت موافقتها على وعد بلفور مجاملة لبريطانيا التي كانت في ذلك الوقت صاحبة اليد الطولى في كل قضايا المنطقة ، وكانت صاحبة الكلمة الأولى .



مع مرور العقود الأولى للقرن التاسع عشر اخذت الولايات المتحدة تتحول الى دولة تجارية كبرى تنافس الدول الأوروبية العريقة ، وكان من الطبيعي ان تقتفي اثر هذه الدول التي سبقتها وعلى وجه الخصوص بريطانيا . فنشأ في اواسط القرن التاسع عشر نوع من علاقة المشاركة بين الولايات المتحدة وبريطانيا . وتمثل احد اوجه هذه المشاركة بين الدولتين في السعي المشترك لأقامة الدولة اليهودية في فلسطين ، اهم مفارق طرق التجارة في العالم[١٠] . ولم تتوان امريكا عن تحريض الحركات الدينية المسيحية لأعادة بعث العهد القديم من الكتاب المقدس واحياء فكرة اقامة دولة اسرائيل في فلسطين . وهذا ما اكده الحاخام اليهودي الأمريكي (يسرائيل غولدشتاين) في صحيفة جيروسالم بوست بتاريخ ١٩٧٦/٧/٨ حين قال : « لقد بعث مؤسس الكنيسة المورمونية جوزيف سميث تلميذه اورسون هايد الى القدس من اجل تسهيل تحقيق نبوءة ( بعث اسرائيل ) وذلك في عام ١٨٤٠ ، ومن بين كتب التوصية التي حملها معه هايد كتاب من وزير خارجية الولايات المتحدة وآخر من حاكم ولاية الينوي ، وفي عام ١٨٥٠ قام ( وارد كريسون ) وهو قنصل الولايات المتحدة بالقدس بتأسيس مستوطنة زراعية في منطقة القدس ، خصص لها ثروته الخاصة ، وخطط لتأسيس مستوطنات اخرى ، وحاول الحصول على دعم زعماء اليهود ، ولكنهم لم يستجيبوا له ، رغم انه تحول عن ديانته المسيحية الى الديانة اليهودية »[١١] .

وبتاريخ ٩ تموز سنة ١٨٦٧ وجه مجموع المستوطنين الأمريكيين المقيمين في او قرب مدينة يافا ( سورية ) رسالة الى السيدين هـ. ب فسندون ولوط . م . موريل عضوي الكنغرس الأمريكي يشرحون فيها وضعهم ، ويطالبون التدخل لدى السلطات الأمريكية لتخليصهم من الوضع الرهيب الذي وجدوا أنفسهم فيه

(١٠) مجلة الأرض عدد ٥ السة الرابعة ١٩٧٦/١١/٣١ ـ مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية ـ دمشق صفحة ٤ .

(١١) المصدر السابق صفحة ٤ .

والمنطوى على الحاجة المرة والعجز الكامل والوضع الأقتصادي والأجتماعي المتدهور الذي يصل الى حد الفاقة حيث باتوا يعيشون على الصدقات ، وقد عملوا المستحيل من اجل توفير نفقات عودتهم الى بلادهم ولكنهم فشلوا . لذلك فهم يستغيثون ويسترحمون الحكومة لترسل لهم مركبا او اية واسطة نقل تعيدهم الى وطنهم وتنقذهم من الجحيم الذي يعيشون فيه وتخلصهم من الموت المحقق جوعاً .

ويذكر موقعوا الرسالة[١٢] ـ وعددهم سبعون شخصا ـ انهم استشاروا السفير الأمريكي في القسطنطينية السيد آي . جوي . موريس قبل ارسالها . وبتاريخ ٢٢ ايلول سنة ١٨٦٧ جاء الرد من وزارة الخارجية[١٣] الى عضوي الكونغرس ، ليقول انه متشكك في صحة نوايا موقعي الرسالة وان جزءا هاما من المستوطنين لا زال متمسكا باستمرارية المشروع ، مشيرا الى ان مجموعة من المستوطنين الجدد تتأهب للأنطلاق من ولاية ماين الى يافا ، وان جمعيات لليهود تقترح تعزيز المستوطنات من يهود اوروبا ولذلك فان من غير المناسب لحكومة الولايات المتحدة ان تتورط في اعادة المستوطنين الخائبين في الوقت نفسه الذي تتجه فيه سفينة من ولاية ماين تحمل مغامرين جدد ليحلوا محل المهاجرين العائدين .

حتى نيسان ( ابريل ) سنة ١٩١٧ التزمت امريكا الحياد في الحرب العالمية الأولى . واستمرت أعمال سفارتها في القسطنطينية وقنصليتها في القدس . وقد اخذت الحكومة الأمريكية على عاتقها التزام تقديم مختلف انواع المساعدة والدعم للمستعمرين اليهود في فلسطين ، فكانت تنقل اليهم الأغذية في سنوات الحرب على متن سفن الأسطول البحري العربي الأمريكي[١٤] .

في هذا الوقت اجرى اللورد بلفور مباحثات مستفيضة مع الولايات المتحدة

(١٢) مجلة شؤون فلسطينية ـ مركز الأبحاث الفلسطينية ـ بيروت عدد ١٠١ سنة ١٩٨٠ صفحة ١٢٩ .

(١٣) المصدر السابق ـ نفس الصفحة .

(١٤) بوندا ريفسكي صفحة ٢٢٧ .



وقد اتضح له ان تأييد بريطانيا لمطامع الصهيونية في فلسطين سيزيد المساعدة التي تقدمها الأوساط المتنفذة في الولايات المتحدة للحلفاء ، وسيضعف في الوقت ذاته مقاومة الجشع الأستعماري لدى الأوساط الحاكمة البريطانية ، وهكذا أرسى أساس اعلان بلفور بنتيجة المباحثات التي استغرقت ساعات عديدة بينه وبين براندیس ( القاضي اليهودي والمستشار الشخصي للرئيس الأمريكي ولسون ) من جهة اخرى[١٥] .

وبعد مراسلات عديدة بين بلفور والرئيس الأمريكي ولسون تم الأتفاق على الصيغة النهائية لمشروع بلفور ، وقد كان الرسول بين الطرفين وليام وايزمان مدير المخابرات البريطانية الذي أبرق لحكومته يخطرها بموافقة الرئيس المذكور على الصياغة المقترحة ، ويبلغها اشتراط الرئيس ان لا يدرج في التصريح الذي ستصدره الحكومة البريطانية ما يشير الى موافقته عليه لأنه لن يرغب أن يذيع هذه الموافقة بنفسه على يهود امريكا[١٦] .

الا ان سبب رفض الرئيس الأمريكي الأشارة الى موافقته لم يكن رغبته في ان يذيع الأمر بنفسه على اليهود ، وانما استمرار علاقته الديبلوماسية مع تركيا رغم دخوله الحرب ضدها . وان مثل هذاالمشروع يعني موافقة امريكا الصريحة على تقسيم املاك الأمبراطورية العثمانية التي تعتبر فلسطين جزءا لا يتجزأ منها . وبقي الأمر سرا الى ان نشرت جريدة التايمز اللندنية تفاصيل المشروع مما حدا بالخارجية الأمريكية ان تطلب الى سفيرها في لندن الأستفسار لمعرفة مزيد من التفاصيل عن هذه الوثيقة والأسباب التي حدت بالحكومة البريطانية الى كتمان امرها عن الولايات المتحدة الأمريكية . ويعزو بعض المؤرخين هذا الطلب الى جهل وزارة الخارجية

(١٥) المصدر السابق صفحة ٢٢٨ .

(١٦) سياسة الأستعمار والصهيونية تجاه فلسطين ـ د . حسن صبري الخولي ـ دار المعارف مصر سنة ١٩٧٣ ـ المجلد الأول صفحة ٢٠٠ .

الأمريكية بموافقة الرئيس ولسون ، الا ان الأمر لا يعدو كونه نوعا من النفاق السياسي الأمريكي الذي كان مضطرا الى هذا الموقف خصوصا وان امريكا كانت في عهد ولسون تتبجح بانها الدولة الداعية الى الغاء المعاهدات السرية والى منح الأمم المضطهدة حق تقرير المصير(١٧) .

لم يدم كتمان الأمر طويلا فقد اعلن الرئيس ولسون في آب ( اغسطس ) سنة ١٩١٨ قائلا : « اعتقد ان الأمم الحليفة قد قررت وضع حجر الأساس للدولة اليهودية في فلسطين بتأييد تام من حكومتنا وشعبنا» . وهكذا استكمل ولسون بيان بلفور الذي اشار الى وطن يهودي ، بينما اعلن ولسون عن تأسيس دولة يهودية(١٨) . وفي الوقت ذاته ارسل رسالة الى الحاخام ستيفن وايز يرحب فيها بالتقدم الذي احرزته الحركة الصهيونية في الولايات المتحدة وفي البلدان الحليفة بعد تصريح بلفور بشأن موافقة بريطانيا العظمى على انشاء وطن قومي لليهود ، وفي ١٩٢٢/٩/٢١ صادقت الحكومة الأمريكية بصورة نهائية على مشروع بلفور واقرار الكونغرس بتوقيع رئيس الجمهورية(١٩) .

ولكن الولايات المتحدة لم توافق على قرارات انتداب بريطانيا على فلسطين الذي اقرته عصبة الأمم بعد ان اعترفت لها بريطانيا بحقوق وامتيازات خاصة للمواطنين الأمريكيين في فلسطين . وكانت المفاوضات الأنكلو ـ امريكية ـ بهذا الخصوص معقدة للغاية وطويلة الأمد ، ولم تنته الا في ٢٣ كانون اول ( ديسمبر ) سنة ١٩٢٤ حيث وقعت معاهدة انكلو ـ امريكية خاصة حول فلسطين . تمتع المواطنون الأمريكيون فيها بحقوق افتتاح مختلف المؤسسات والجمعيات التعليمية والخيرية والدينية في فلسطين . وهكذا فتح باب فلسطين على مصراعيه امام المنظمات الصهيونية الأمريكية(٢٠) .

(١٧) بونداريفسكي صفحة ٢٢٩ .

(١٨) د . حسن صبري الخولي صفحة ٢١٣

(٢٠) بونداريفسكي صفحة ٢٤٣ .



في هذه الحقبة من التاريخ ـ اي في العقد الثاني من هذا القرن ـ بدأ نجم هتلر في المانيا بالصعود كمنقذ لها من الذل الذي لحق بها . متزعما الحزب القومي الاشتراكي « النازي » معلنا صراحة سياسته المبنية على اساس العداء للسامية ( اليهود ) والعداء للشيوعية ، والتفوق العرقي للألمان . وقد بدأت جميع الأوساط الرأسمالية والصناعية الألمانية وغير الألمانية تغدق عليه الأموال وتقدم له الهبات وتعقد المؤتمرات والأجتماعات وتقيم الحفلات والتبرعات لصالح هتلر منقذ المانيا عدو الشيوعية والسامية .

لقد خصص جيمس وسوزان بول كتابهما « من موّل هتلر »(٢١) للكشف عن الجهات والدول والمؤسسات التي ساهمت في تمويل هتلر توطئه لوصوله الى مستشاريه الرايخ الثالث . وكان واضحا ان الذين ساعدوه ـ وهم يعرفون افكاره التي يتبنى والعقيدة التي يؤمن بها ـ كانوا يريدون من وراء مساعدتهم هذه الحصول على مقابل ، ولما كان هتلر ينادي بأمور ثلاثة أساسية وهي التفوق العرقي للآريين ، والعداء للشيوعية ، والعداء للسامية ، فان من قدم له المساعدة ، يؤمن معه باحد هذه المبادىء والأرجح ان يؤمن بها جميعا ، او انه لن يتضرر من تطبيقها .

وتأتي مرحلة اخرى ، هي مرحلة الهستيريا الهتلرية التي بدأت عام ١٩٣٣ وبلغت اوجها مع بداية الحرب العالمية الثانية ، حيث بدأت ماكينة الموت تحصد اليهود كما تحصد مختلف شعوب اوروبا وآسيا ، وبدأت موجات اللاجئين تبحث عن مأوى آمن في أي مكان في العالم بعيدا عن الموت والدمار والخراب . وكانت امريكا مطمح هؤلاء اللاجئين واملهم . فهل تحقق لهم ذلك ؟ .

ففي كتابه ـ تاريخ الصهيونية ـ علق وولترلوكير على الشعار المكتوب على تمثال الحرية في ميناء « نيويورك » « ليأت المتعبون . . ليأت الفقراء . . لأستنشاق نسمات

(٢١) Who Financed Hitler , James and Suzan Pool , Londom 1979 , Page 41 , 43 , 48 , 85 , 87 ,90 ,100 ,111 ,113 ,116, 129 ,292 ,310 , 317 ,319 ,334 .

الحرية » علّق بقوله : « لم تقبل الولايات المتحدة الا اعدادا هزيلة من المهاجرين اليهود الهاربين من جحيم الحرب والنازية في اوروبا ، وعندما ازداد ضغط المهاجرين دعا رورفلت الى مؤتمر ايفيان الذي فشل ، لرفض جميع الدول المشاركة فيه بما في ذلك الولايات المتحدة استقبال اعداد من المهاجرين اليهود »[٢٢] .

اما الفرد ليلنتال فقد قال ان الحكومة الأمريكية منذ كانون اول سنة ١٩٤٢ تعرضت لضغط جماعي من قبل اعضاء مجلس الشيوخ والكونغرس الأمريكيين الذين طالبوا بارغام بريطانيا على الغاء قانون الحد من الهجرة الى فلسطين ، ولكنهم لم يطلبوا اطلاقا فتح ابواب الولايات المتحدة التي كانت تتجه اليها مئات السفن الفارغة بعد ان تنزل حمولتها في اوروبا . لقد كانوا يسدون بهذا الموقف باب امريكا ـ الطريق الوحيد للنجاة ـ في وجه الألوف الكثيرة من اليهود[٢٣] . في الوقت الذي اعترف هنري مونتاغو وزير المالية في الحكومة الأمريكية ، انه منذ شهر آب سنة ١٩٤٢ كانت حكومة واشنطن تعرف ان النازيين يخططون لأبادة اليهود في اوروبا ابادة تامة . وخلال فترة عام ونصف وبعد ان انكشفت تلك الخطة الوحشية فان الجهاز الحاكم في الولايات المتحدة لم يحرك ساكنا[٢٤] .

ورغم هذه الأدلة فقد حاول ابا ايبان ـ وزير خارجية اسرائيل الأسبق ـ ان يسوغ الموقف الأمريكي وان يقدم له الذرائع لرفضه ادخال اليهود وحمايتهم بقوله ان الناجين من الخطر اعربوا عن رغبتهم الجامحة في الهروب من اوروبا لتلك القارة الملعونة الدامية ، الا ان الولايات المتحدة لم تكن على استعداد لأن تضع في الخطر مصير السلم الداخلي في البلاد[٢٥] .

---

(٢٢) Walter Laqueur , Page 504 , 507 .

(٢٣) ايفانوف ١٦٠ .

(٢٤) نفس المصدر والصفحة .

(٢٥) Abba Eban , Page 321 .



لقد كانت السياسة الأمريكية المتعلقة باليهود تسير ضمن خطين متوازيين لمنعهم من الوصول الى الولايات المتحدة ، والضغط على انكلترا للسماح بمزيد من التأشيرات لدخول فلسطين . وهي بهذا غير مستعدة أبدا ان تقوم من جانبها باجراء آخر من شأنه ان يحمي اليهود وينقذهم . وفي نفس الوقت كان الضغط الصهيوني يتجه ايضا في خطين ، على ادارة روزفلت لتضغط من جانبها على بريطانيا لفتح ابواب فلسطين ، والسكوت بشكل نهائي على اقفال ابواب الولايات المتحدة امام اليهود اللاجئين . لكن هذا السكوت لم يمنع الجماهير اليهودية الأمريكية ان تطلع على الحقيقة وان تطالب بالسماح لأعداد اكبر بدخول الولايات المتحدة الأمر الذي دعا الرئيس روزفلت الى اصدار تعليمات بشأن المهاجرين ، مثل التسريع في اجراءات منح سمات الدخول ، وتمديد مهلة الأقامة المسموح بها لجماعات معينة ، ومع ان الفائدة من هذه التعليمات هي نظرية محض الا انها جوبهت من قبل وزير الخارجية هال ( Hall ) بتعقيدات كثيرة وبتفسيرات قانونية . لقد مثلت هذه ( المساعدة ) تدخلا في شؤون المانيا الداخلية لأن القضية اليهودية ـ حسب رأي هال ـ هي قضية المانية داخلية لا يجوز التدخل فيها بصورة مشروعة ، فما كان من الرئيس روزفلت الا ان وضّح بانه لم يقدّم اية مقترحات من شأنها تخفيف القيود على نظام سمات الدخول . مما شجع موظفي السفارات والقنصليات الأمريكية التي كانت محاصرة بالآف طلبات الدخول الى الولايات المتحدة على وضع التعقيدات التي لا تنتهي امام اصحاب الطلبات لدرجة انهم لم يسمحوا الا لسبعة وعشرين الفا بالحصول على السمات في الوقت الذي كان لديهم مئة وثلاثة وخمسون الف سمة مسموح بها . وهذا يعني ان التعليمات التي ارسلتها الخارجية الأمريكية قلّصت العدد المسموح به رسميا من السمات الى ما يعادل السدس[٢٦] .

لعل الأمر الأكثر اثارة ودهشة هو القضية التي اثيرت مؤخرا* في الكونغرس

---

(٢٦) Urofs M . I . Page 389 .

( * ) اثيرت بتاريخ ٨ آذار ( مارس ) سنة ١٩٧٩ .

الأمريكي حول احجام قيادة الطيران الأمريكي عن قصف معسكرات الأعتقال في اوشفتز وبيركناو والسكك الحديدية المؤدية الى هذين المعسكرين بالرغم من ان القاذفات الأمريكية قصفت ( أ . ج . فاربين ) الجمعيات الصناعية القريبة منهما والتي لا تبعد عنهما اكثر من خمسة كيلو مترات .

اعدت وكالة الأستخبارات الأمريكية ( C . I . A ) تقريرا بتاريخ شباط سنة ١٩٧٩ تحت رقم س ت - ٧٩ - ١٠٠٠١ . وبعنوان « المحرقة نظرة تحليلية جديدة لمجمع الأبادة في اوشفتز وبيركناو » . هذا التقرير قدّم لكبار موظفي الحكومة الأمريكية . ويتضمن دراسة لمعسكرات الأعتقال وصورا كانت الطائرات الأمريكية قد التقطتها اثناء قصفها للمجمع الصناعي آ . ج . فاربين بتاريخ ١٩٤٢/٤/٤[٢٧] .

وبتاريخ لاحق ظهر في مجلة الواشنطن بوست مقال بقلم توماس اوتول ، تساءل فيه عن عدم قصف الحلفاء المعسكرين وخطوط سكة الحديد الموصلة اليهما والتي كانت تنقل الضحايا الى هذا المعسكر . ثم تابع اوتو قوله : « كان المطالبون بهذه الغارات يعلمون انها ستقتل الكثير من اخوانهم ، ولكن الألمان كانوا سيقتلونهم على اية حال ، وربما ادى تدمير المنشآت الى انقاذ الكثير منهم لأن تدمير خط سكة الحديد سيعرقل عمليات نقل مليون يهودي هنغاري الى اوشفتز » . ويؤمن اوتول ان اثنين من الناجين من اوشفتز اوصلا المعلومات الخاصة الى زعماء اليهود في سويسرا الذين قاموا بدورهم باعلام الدبلوماسيين الأمريكيين ، حيث تم ابلاغ واشنطن في حزيران سنة ١٩٤٤ ويختتم اوتول مقاله فيقول : « يقع اوشفتز بمكان جنوب منطقة وارسو وقد افتتح اساسا لأعتقال اسرى الحرب السوفييت سنة ١٩٤٠، ثم تحوّل الى معسكر للموت ليهود اوروبا »[٢٨] .

ومن منبر الصحافة الى منبر الكونغرس حيث اثار ثلاثة من اعضاء مجلس

(٢٧) The Holocaust Rivisted , A Retrospetive analysis of the austehwitz Bir Kenaw Extermination Complex , C . I . A . feb . 1979 st 79 Pages 2 - 5 .

(٢٨) واشنطن بوست ١١٩٧٩/٢/٢٣ .



الشيوخ هذه القضية وهم : السيناتور كارل ليفين ( ديمقراطي من ولاية ميتشيجان ) والسيناتور رودي بوشوتيز ( جمهوري من ولاية مينوسوتا ) والسيناتور بروكسماير ( ديمقراطي من ولاية ديسكاوسن ) . لقد طالب الشيوخ الثلاثة باجراء تحقيق عن أسباب عدم قيام قوات الحلفاء بأي عمل عسكري ضد المعسكرات وخطوط السكك الحديدية الموصلة اليها[٢٩] . وبالرغم من ذلك فإنه لم يتم تدميرها أو تدمير الخطوط الحديدية الموصلة اليها . لماذا لم يحصل هذا ؟

**التقيــض :**

ان الموقف الأمريكي من المسألة اليهودية والمتطابق مع الموقف الأوروبي والذي تعامل مع هذه المسألة ضمن حدود المصالح الأمبريالية لهذه الدول ، لا يعني انه ينسحب على كل دول اوروبا الغربية ، بحيث نستطيع ان نميّز بين موقفين واضحين لنقول ان اوروبا ذات المطامع الأستعمارية في العالم تعاملت مع اليهود كوسيلة لتحقيق اهدافهم ، دون النظر الى المصير الذي ينتظرهم ، اما اوروبا الأخرى التي تتمثل في الدول الأسكندنافية وسويسرا فقد قامت بدوافع انسانية محضة بمحاولات انقاذ تتناسب مع امكاناتها ونجحت في محاولاتها هذه الى حد بعيد لولا تدخل المنظمات الصهيونية التي عملت على عرقلة تلك المساعي ووضع الصعوبات في طريقها .

كذلك فان هيئة لاجئي الحرب ( War Refugee Beard ) التي عملت في اوروبا لأنقاذ المنكوبين كانت ترى في السياسة الأمريكية الرافضة منح اللاجئين مأوى ، ذريعة مكنّت هتلر من استمرار خطته بعد ان تأكد لها ان امريكا وحلفاءها على غير استعداد لأستقبال المنكوبين لو اطلق هتلر سراحهم . وترى الهيئة ايضا ان الموقف الأمريكي هذا أعفى كثيرا من الدول وخاصة دول امريكا اللاتينية ( نيكاراغوا مثلا ) من التزاماتها الأخلاقية والادبية تجاه اللاجئين ، وجعلها تحذو حذو هذا الموقف بحذافيره[٣٠] .

(٢٩) نقلاً عن وقائع الكونغرس الأمريكي رقم ٢٠٤٨/٦ بتاريخ ١٩٧٩/٣/٥ .

(٣٠) Quand Six Millison Juifs meuraient Par : Arthur Morse -Laffant - Paris Pages 324 , 327 .

## القسم الثالث

## اللاسامية . . . في وطن الساميين ؟

اساء احتدام الصراع العربي الصهيوني الى حقيقة نظرة العرب تجاه اليهود ، بحيث انحرف الكثيرون سواء في الوطن العربي او خارجه عن الفهم الحقيقي لطبيعة هذا الصراع ، عندما صور على انه صراع ديني بين اليهود الذين حلموا بالعودة الى « أرض الميعاد » من المنفى بعد شتات دام عشرين قرنا ، وبين المسلمين الذين عاشوا فيها من قبل هذا التاريخ . ويتبارى المؤرخون وعلماء الدين والأجتماع في تقديم الحجج ، والأدلة ، وكل يعود الى مصادره وأسانيده في التوراة والتلمود والقرآن والعهد الجديد يلتمس فيها برهانه ليبدأ هجومه ، فستستمر المعركة طويلا . . . ولكن بعيداً عن أسبابها وأهدافها وساحتها .

لقد عاش اليهود في مختلف البلدان العربية ولا زالوا ، من اليمن حتى المغرب ، ومن سورية حتى السودان . ورغم ان تواجدهم بات ضئيلا في هذه البلاد ، الا ان سبب رحيلهم لم يكن سببا عربيا ، ولم يكن اضطهاداً او تنكيلاً او طرداً ، رغم ان مشكلة فلسطين كانت ولا زالت قائمة ، ورغم أن أسباب الصراع لا زالت تستند الى الجذور الخاطئة وتنهل من الأصول المنحرفة .

ان الشرخ الوطني الذي حصل بين اليهود ومواطنيهم الآخرين في البلاد العربية يعود تاريخه الى النصف الأول من القرن الماضي ـ القرن التاسع عشر ـ مقروناً بتفاقم المسألة الشرقية ، وتكالب الدول الأستعمارية على اقتسام ارث الأمبراطورية



العثمانية قبل انهيارها ، وصراع هذه الدول على كسب مناطق نفوذ من خلال ادعاء الحماية للأقليات الطائفية التي تعيش في هذه المنطقة ، تسويغا لتدخلها المباشر في شؤونها ، وتمهيدا للسيطرة عليها والحاقها بأملاكها . ولما كان اليهود أقلية لها أهميتها واعتبارها في المنطقة العربية ، فقد كانت هدفا تصارع عليه الكبار ليكون ورقة يلعبونها في الوقت المناسب ، واحتياطيا يؤدي دورا اساسيا في بناء مشاريع الأستعمار للسيطرة على المنطقة . ففي الوقت الذي عمدت فيه فرنسا الى تجنيس يهود شمال افريقيا بجنسيتها ليرتفع رصيدها من المستوطنين المرتبطين بها مصيريا ، سعت انكلترا الى تعميق فكرة طلب الحماية من قبل اليهود في المشرق العربي ، الا ان تحقيق التجنس والحماية يتطلبان تمهيدات ضرورية تبدأ باثارة المشاكل بين اليهود وباقي المواطنين من الطوائف الأخرى مما يتطلب افتعال موجات الأضطراب والأضطهاد برعاية هذه الدول وبتدبيرها حتى تصل الى الهدف . لذلك سنأخذ مجموعة من الوقائع والاحداث في مختلف المناطق العربية وفي مختلف الأوقات بدءا من مطلع القرن وانتهاء بمطلع الخمسينات من هذا القرن ، لنرى نماذج من الممارسات التي قد تتغير من حيث الأسلوب والأشخاص والدول ، الا انها تبقى واحدة من حيث المضمون والنتيجة والهدف .

١ ـ حادث دمشق عام ١٨٤٠ .

٢ ـ تجنيس اليهود وتنصيرهم في شمال افريقيا سنة ١٨٦٧ .

حادثان في مكانيين مختلفين ، وفي وقتين متباعدين ، سنتحدث عنهما حسب تسلسلهما الزمني . مع ضرورة الأشارة مسبقا الى ان تاريخ الحدث الأول يتوافق مع تاريخ التحرك الأنكليزي والأمريكي * في المنطقة من أجل الاعداد لاقامة وطن لليهود من خلال دعوتهم للتحرك نحو هذا الهدف .

---

( * ) يمكن الرجوع الى القسم الأول والثاني من هذا الفصل .

**اولاً : حادث دمشق سنة ١٨٤٠ :**

في الخامس من شباط سنة ١٨٤٠ اختفى في دمشق توماسو الكبوسي ، راهب طائفة اللاتين وخادمه ، وبما ان طائفة اللاتين كانت متمتعة بموجب نظام الأمتيازات العثماني بحماية فرنسا ، فقد تولى التحقيق بالحادث القنصل الفرنسي بدمشق . وتبين للقنصل ان آخر مكان شوهد فيه الراهب مع خادمه هو الحي اليهودي قرب دكان حلاق يهودي . فامر القنصل الحلاق الذي تعرض الى تعذيب طويل اعترف بعده ان عددا من وجهاء اليهود في المدينة قاموا باختطاف الراهب وخادمه حيث قتلوهما وجمعوا دمهما وحفظوه من اجل استعماله لأغراض الشعائر الدينية اليهودية التي تقضي باستعمال دم شخص مسيحي في عجن فطير عيد الفصح . فاصدر والي دمشق المعين من قبل محمد علي باشا امرا باعتقال اربعة عشر شخصا من ابرز وجهاء اليهود واكثرهم ثراء للتحقيق معهم .

اثناء سجن وجهاء اليهود في دمشق عقد في العواصم الأوروبية وخاصة في لندن عدد كبير من الأجتماعات ، بالأضافة الى اجتماعات عقدت في المدن الأمريكية . وقد ارسل المشاركون في كل هذه الأجتماعات عرائض الى حكوماتهم يحثونها فيها على التدخل لدفع الظلم عن يهود دمشق[٣١] .

فاذا تفحصنا مضمون القرارات التي صدرت في العواصم الغربية المختلفة ، ومذكرات الأحتجاج والحملات الصحفية فسنجد شبه اجماع على تحميل مسؤولية ما جرى في دمشق ( للشرق المسلم المتعصب الغارق في الخرافات ) ، الأمر الذي يعطي انطباعا بان محمد علي باشا ووالية على دمشق شريف باشا هما المسؤولان عن حادث دمشق . الا ان احدى رسائل القنصل البريطاني في القدس ( ن . ويري ) الى وزارة خارجيته توضح حقيقة الموقف البريطاني الذي كان يرمي بشتى الوسائل لألصاق التهمة باليهود متعاونا في هذا مع القنصل الفرنسي . ولم يكتف بالأعترافات التي

(٣١) شؤون فلسطينية عدد ٩١ سنة ١٩٧٩ صفحة ٤٤ ـ ٥٢ .



انتزعت من اليهود تحت التعذيب ، وانما عمل على البحث عن ادلة واعترافات اخرى بطريقته الخاصة ، هذا وقد طالب بانزال اقصى العقوبة ليس بمرتكبي الجريمة ، وانما بكل « الشعب اليهودي » على حد تعبيره[٣٢] .

من الواضح ان القنصل البريطاني كان يسعى بكل ما لديه من امكانات ونفوذ الى الصاق التهمة باليهود ، في الوقت الذي كانت مدن بريطانيا تعج بالأجتماعات والخطابات التي تندد بالشرق المسلم المتعصب الذي يريد ان يقضي على اليهود ، رغم ان الزعماء المسلمين في هذه المنطقة والمسؤولين عن الحكم فيها كان لهم رأي مختلف كليا . اذ ارسل محمد علي باشا رسالة الى شريف باشا بتاريخ ١٨٤٠/٥/٢ يقول فيها : « لقد وصل الى علمنا ان بعض الرجال الأقوياء من المسحيين يهاجمون رعايا اليهود في دمشق وان شكاوي قد رفعت اليك دون نتيجة ، ان مثل هذه الأعتداءات تزعجنا وهي تتناقض مع رغباتنا لذلك آمرك بان تمنع تكرارها »[٣٣] .

وبعد فترة وبتاريخ ٦ نوفمبر ( تشرين ثاني ) سنة ١٨٤٠ صدر فرمان عن السلطان عبدالحميد جاء فيه : « لقد جرى فحص الكتب الدينية اليهودية من قبل العلماء ذوي المعرفة بالكتابات اليهودية الدينية ، وبنتيجة هذا الفحص تبين ان الدم محرم عليهم ، ليس فقط استخدام الدم البشري . ولكن استعمال دم الحيوان محرم عليهم ايضا . وعلى هذا فان التهم الموجهة ضدهم وضد ديانتهم ليست سوى مزاعم باطلة » .

« ولهذا السبب ، وللمحبة التي نكنها لرعايانا ، فاننا لا نستطيع السماح بمضايقة واضطهاد الملة اليهودية ( التي تثبت برائتها من التهمة التي وجهت اليها ) بناء على اتهامات لا اساس لها من الصحة . ولذلك فانه سيكون للملة اليهودية نفس

(٣٢) المصدر السابق صفحة ٥١ .

(٣٣) المصدر السابق صفحة ٥٠ .

المزايا ، وتتمتع بنفس الأمتيازات الممنوحة للملل العديدة الخاضعة سلطنتنا ، ويتوجب حماية الملة اليهودية والدفاع عنها » .

« ولأجل هذا الغرض فقد اعطينا الأوامر الواضحة بان الملة اليهودية القاطنة في جميع ارجاء سلطنتناسوف تتمتع بنفس الحماية التي يتمتع بها جميع رعايا الباب العالي . وسوف لا يمسهم احد باية طريقة كانت ، الا بالعدل ، لا فيما يتعلق بممارسة ديانتهم ولا فيما يتعلق بسلامتهم وامنهم . وبناء على ما تقدم صدر هذا الفرمان الممهور بخاتمنا الهمايوني عن قصرنا السلطاني الى الملة اليهودية »[٣٤] .

اذاً اصبح واضحا ان الفرنسيين ـ حماة اللاتين ـ هم الذين اثاروا المشكلة ، ولكن السؤال المطروح هو ما هي الفائدة التي سيجنيها الانكليز من وراء ذلك ؟ يجيب على هذا التساؤل « ناحوم سوكولوف » المؤرخ والزعيم الصهيوني اذ يقول : « ان حادثة دمشق مثل جميع الأحداث التي جرت قبلها والتي ستجري بعدها ، قد حركت الطموحات الصهيونية . ذلك ان الأضطهاد يكشف لليهودي حقيقة وضعه ، وهو الذي لا يستطيع هذا اليهودي فهمه خلال فترات السلام . ان عددا من اليهود في بلدان مختلفة خاصة في انكلترا بدأوا يسألون انفسهم كيف ستكون نهاية هذه المعاناة ؟ وكان الجواب : هناك امران ضروريان . . حماية بريطانيا العظمى لليهود في الشرق واستعمار فلسطين »[٣٥] .

ان حادثة دمشق سنة ١٨٤٠ تطرح أمامنا سؤالا آخر : هل يهود الشرق هم الذين تعوزهم حماية بريطانيا ام بريطانيا هي التي يعوزها ان تحمي يهود الشرق ؟

لم يشغل سوكولوف باله بالتهمة الموجهة الى اليهود واليهودية ، بل ان الذي شغله كيفية الأستفادة من نتائج هذه التهمة ، ونتائج الأضطهاد الذي يمكن ان يترتب عليها بطلب الحماية البريطانية واستعمار فلسطين .

---

(٣٤) المصدر السابق صفحة ٤٨ .

(٣٥) المصدر السابق صفحة ٥٢ .



**ثانياً : تجنيس اليهود وتنصيرهم في شمال افريقيا :**

تمثل الأقليمية اليهودية المغربية ظاهرة ذات قيمة من الناحيتين التاريخية والأجتماعية وهي من اقدم الجماعات اليهودية ، اذ وجدوا في المغرب في القرن الثالث قبل الميلاد . وبعضهم جاء اليها عام ١٤٩٢ من اسبانيا هروبا من محاكم التفتيش[٣٦] .

ان اول وسيلة اتبعها الأستعمار الفرنسي والأنكليزي ـ لأيجاد شرخ بين اليهود والمسلمين في المغرب ـ كانت بدء عمل البعثات التبشيرية من كلا البلدين بحجة حماية اليهود من المسلمين[٣٧] ، وكانت الوسيلة الثانية صدور قرارات من قبل الحكومة الفرنسية تقضي بمنح الجنسية الفرنسية لهم[٣٨] . ان مثل هذه الأجراءات تعطي الأنطباع القائل بان اليهود يعانون اضطهادا من قبل المسلمين وان الحكومتين الفرنسية والبريطانية حريصتان على حمايتهم ، وباستعراض مجموعة من الوثائق التاريخية[٣٩] ، نلاحظ ان اليهود رفضوا تلك الأجراءات الخاصة بتجنيسهم وتنصيرهم وانهم التجأوا الى سلطان المغرب اكثر من مرة يطلبون الحماية من الضغوط التي تمارس عليهم من قبل البعثات التبشيرية ، وقد وجدوا لدى السلطان تجاوبا ملحوظا على الرغم من ضغطه وتسلط قنصليات فرنسا وبريطانيا عليه نتيجة الأمتيازات التي كانت تتمتع بها الدولتان في المغرب[٤٠] . وكان السلطان لا يترك فرصة تفوت الا ويؤكد فيها ـ من خلال المراسم التي كان يصدرها ـ على ضرورة

---

(٣٦) تاريخ المغرب في القرن العشرين ـ روم لاندو ـ دار الكتاب ـ الدار البيضاء ـ المغرب صفحة ٢٩ .

(٣٨) بحث قدمه الأستاذ حسني الأدريسي في ندوة ( حوار وهوية ) باريس ١٧ ـ ٢٢ /١٢/ ١٩٧٨

(٣٨) يهود المغرب العربي ـ د . محمد الحبيب بن خوجة ـ جامعة الدول العربية ـ القاهرة سنة ١٩٧٣ صفحة ٨٨ .

(٣٩) الوثائق الدورية ـ مديرية الوثائق الملكية ـ الرباط ـ سنة ١٩٧٧ مجموعة رقم ٤ .

(٤٠) الوثائق الدورية ـ وثيقة رقم ٦٠٣ صفحة ٤٥٦ ـ ٤٥٧ ووثيقة رقم ٦٠٩ صفحة ٤٦٦ ـ ٤٦٧ .

مساواة اليهود مع باقي المواطنين من حيث الحقوق والواجبات [٤١] . هذا بالأضافة الى انه اصر في اكثر من مناسبة على رفض التجنيس ورفض الأمتيازات والأعفاءات التي كانت تطالب بها الدول لليهود الذين ضمتهم تحت حمايتها [٤٢] . بما في ذلك نشاط قنصلية الولايات المتحدة التي كانت تبيع صكوك الحماية ( الجنسية ) لليهود المغاربة [٤٣] .

**الملك محمد الخامس وقوانين نورنبرغ :**

عندما قبل بيتان بتطبيق قوانين نورنبرغ ضد اليهود ، ارسلها الى المغرب مصدرا اوامره الى الجنرال « نوغيس » لتطبيقها ، الا انه ـ نوغيس ـ لم يتمكن من اقناع السلطان ( محمد الخامس ) بوضعها موضع التنفيذ في بلاده . ويقول روم لاندو[٤٤] : « ان السلطان ذهب الى ابعد من ذلك فاذاع تصريحا قال فيه ان اليهود المغاربة رعاياي ويتوجب ان احميهم من اي اعتداء ولما انتهت الحرب ارسل « رينيه كاسان » رئيس الأليانس اليهودي الفرنسي كتابا الى السلطان يشكره فيه باسم جميع اليهود الفرنسيين لأنه انقذ حياة هذا العدد من ابناء دينهم » . ويتابع لاندوا : « والواقع ان حياة الآف عديدة من اليهود واملاكهم انما سلمت بسبب ما ابداه السلطان من شجاعة وبسبب ما ناله من تأييد الجماعة الأسلامية بكاملها في المغرب. وعلى الرغم من ذلك فقد كان ثمة عدد من الحالات فشلت فيها محاولات السلطان ، فسار رجال الأدارة الفرنسيون على خطة الفاشيين وصادروا مصالح اقتصادية يهودية وفرضوا على اصحابها غرامات كبيرة وارسلوا عددا من اليهود الى معسكرات الأعتقال .

---

(٤١) الوثائق الدورية ـ وثيقة رقم ٣٤٠ صفحة ٢٩٠ ـ ٢٩١ .

(٤٢) الوثيقة رقم ٣٤٨ صفحة ٣١٠ ـ ٣١١ .

(٤٣) الوثائق الدورية ـ وثيقة رقم ٣٦٢ ـصفحة ٣٤٥ ـ ٣٤٦ .

(٤٤) روم لاندو صفحة ٢٦٣ .



ظلت السلطات الفرنسية سنتين كاملتين خاضعة للأوامر الصادرة من حكومة فيشي وكانت تعمل بتعاون وثيق مع أعضاء اللجنة الألمانية المقيمة في المغرب . اما سلطان المغرب فقد رفض ان يقابل الجميع ، مذكرا بان المغرب كان قد اعلن الحرب ضد المانيا وانه لم يوقع هدنة قط »[٤٥] .

ويعترف ناحوم جولد مان بان الملك الحسن الثاني وقبله والده الملك محمد الخامس ، كان لهما دائما موقف مثالي تجاه اليهود ، مشيرا بهذا الصدد الى موقف محمد الخامس اثناء الحرب العالمية الثانية عندما رفض ان يسمح لحكومة فيشي بان تؤذي رعاياه اليهود على الرغم من ضغوط بيتان ، انه لم يتخل عنهم قط[٤٦] .

وفي الثالث والعشرين من مايو ( ايار ) سنة ١٩٤٨ القى الملك محمد الخامس خطابا في طنجه ، دعا فيه الطوائف اليهودية المغربية ورجاها بحرارة عدم المشاركة في الحركة الصهيونية وقال : « ان الهجرة اليهودية ستضر باستقرار الأمبراطورية الشريفة ( المغرب ) ولا يمكن لها ان تحقق الآمال اليهودية . وانها ستؤدي فقط الى تحرك يضر بالملاحات ( الغيتوات )[٤٧] .

وفي الثالث عشر من سبتمر ( ايلول ) سنتة ١٩٥٦ ، وجه الملك محمد الخامس كلمة الى الطائفة اليهودية بالدار البيضاء قال فيها : « كل المغاربة مسلمين ويهود ، هم أبناء هذا الوطن لهم نفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات والالتزامات عليهم أن يعملوا معا على الصعيد الوطني علينا ان نضع جهودنا وامكاناتنا سويا لنساعد كل اولئك الذين هم بحاجة للمساعدة مهما كان دينهم ، لأن الفقر في المجال الأجتماعي لا دين له »[٤٨] .

---

(٤٥) المصدر السابق صفحة ٣٦٤ .

(٤٦) ناحوم جولدمان صفحة ٤٠ .

(٤٨) صدياسبورا في ارض السلام ـ بييرفلامند ـ الدار البيضاء .

(٤٨) صحيفة ماروك سوار ـ عن الفرنسية ١٩٧٨/٨/١٥ .

كانت هذه الكلمة ردا على حملة التخويف الجماعية التي قادها عملاء الحركة الصهيونية في المغرب والصحافة الأجنبية التي كانت تتنبأ لليهود المغاربة « بكابوس هتلري » بعد حصول المغرب على استقلالها عام ١٩٥٥(٤٩) .

ان موقف حكومة المغرب الأيجابي هو الذي جعل مبعوثي « اسرائيل » يلقون بالقنابل في اماكن تجمع يهودية وان هؤلاء المبعوثين هم الذين وزعوا في عام ١٩٥١ منشورات على بيوت اليهود بالمغرب تدعو السكان لأرسال اطفالهم الى اسرائيل كي يتجنبوا حوادث مفتعلة(٥٠) .

(٤٩) ندوة حوار وهوية ـ باريس ـ ١٧ ـ ١٩٧٨/١٢/٢٢ .

(٥٠) جون افريك ـ مقال بقلم شالوم كوهين ـ عدد ٨٩٤ تاريخ ١٩٧٨/١٢/٢٢ باريس .



# القسم الرابع

## الاممية تنفي العنصرية

اتخذ « عداء اليهودية » مع روسيا القيصرية طابعاً عنصرياً عرقياً ، لم يغضب اليهودية العالمية ، ولم تزعجها نتائجه التي تمخضت عن الاضطهاد والقهر والمذابح والافتراءات التي كان يهود روسيا هدفها . ولم يكن هذا الطابع الا غطاء للصراع الاقتصادي والاجتماعي الذي جاء نتيجة الانهيار التدريجي للنظام الاقطاعي السائد ، وحلول الرأسمالية مكانه ، والذي افرز جملة من القضايا والمسائل أبرزها « المسألة اليهودية » و « عداء السامية » . وقبل ان نخوض في تحليل اسباب الحرب « العرقية » التي شنت ضد اليهود ، لا بد من الاشارة الى ان يهود روسيا وأوروبا الشرقية بالتحديد لا يمتون الى السامية بصلة ، هذا اذا افترضنا جدلا ان اليهود الساميين الاصليين قد حافظوا خلال القرون الطويلة على ما يسمى بنقاء العنصر والعرق .

يعود اصل اليهود في هذه البلاد الى مملكة الخزر التي تهود ملكها عام ٧٤٠ م واصبحت اليهودية فيما بعد دين الدولة الرسمي ، بعد ان اعتنق الشعب الخزري الوثني هذه الديانة ، وقد تم هذا التحول دونما اعتبار للدعوة المسيحية في امبراطورية بيزنطة ، وللنفوذ الاسلامي في الشرق على الرغم من وجود الضغط السياسي لهاتين القوتين(٥١) . وقد عاشت مملكة الخزر المتهودة حتى القرن الثاني عشر الميلادي ،

(٥١ ) كوستلر ، آرثر ـ اصدار فلسطين المحتلة سنة ١٩٧٩ صفحة ٢٠ .

وبانهيارها هاجر سكانها الى روسيا وبولنده واوكرانيا وليتوانيا والمجر ، وهذا ما حدا بالمؤرخين كي يجزموا بأن نسبة كبيرة ـ وربما غالبية ـ اليهود الشرقيين ( يهود شرق أوروبا ) قد يكونون من الخزر ذوي الاصل القوقازي التتري وليسوا من أصل سامي(٥٢) . وخلافاً لما هو معروف فان التيار الرئيسي للهجرات اليهودية لم يأت من حوض المتوسط عبر فرنسا والمانيا متجها نحو الشرق ثم عاد ادراجه ثانية ، ولكنه تحرك ثابت ودائم نحو الغرب ، بادءاً من القوقاز عابراً اوكرانيا الى بولندا ، ومنها الى وسط اوروبا ، وعندما قام في بولنده استيطان يهودي ضخم لم يسبق له نظير ، لم يكن بالمقابل في غرب أوروبا سوى عدد من اليهود غير كاف لأن يعتد به(٥٣) .

أما المسألة العنصرية ـ العرقية ـ التي اجتاحت أوروبا الشرقية ضد اليهود والتي اصطلح على تسميتها (باللاسامية) ، فهي لا تمت الى السامية بصلة ، **ولا علاقة لها بالعنصرية** ، اذ هي في الواقع ـ كما أشرنا ـ لا تخرج عن كونها مسألة اقتصادية اجتماعية نتجت عن التحولات التي اصابت تلك البلدان في القرن التاسع عشر . وظهرت بشكل واضح في عصر الرأسمالية ، لأن التناقض القائم بين الانتاج والاستهلاك يدفع البرجوازية الكبيرة الى ضرورة الصراع من أجل اكتساب الأسواق الخارجية ، وهي بالتالي تجبر البرجوازية الصغيرة على النضال من أجل توسيع السوق الداخلية . وترافق النقص في المنافذ الخارجية لدى الرأسماليين الكبار مع النقص في المنافذ الداخلية لدى الرأسماليين الصغار . وبينما تتصارع البرجوازية الكبيرة ، بعنف ، مع منافسيها على الاسواق الخارجية ، تقاتل البرجوازية الصغيرة ، بعنف لا يقل عن ذلك مع منافسيها على الأسواق الداخلية ، الا ان هذا التنافس ذا الطابع البرجوازي الرأسمالي يعطي غطاء عرقياً ليسوغه ويعطيه ابعاداً عنصرية . ولما كان الطابع التجاري والحرفي هو ما ورثه اليهود من خلال ماض تاريخي طويل ، فان هذا

(٥٢) المصدر السابق صفحة ٢١ .

(٥٣) كرسلر ، نفس الصفحة ٢٢٩ .



الطابع جعلهم ـ اليهود ـ العدو الاول للبرجوازية الصغيرة في الاسواق الداخلية ، في الوقت الذي كانت فيه فكرة العرق المناضل من اجل مجاله الحيوي ـ الاسواق الخارجية ـ انعكاسا لضرورة التوسع التي تميز الرأسمالية المالية ورأسمالية الاحتكارات . ومن هنا نرى أن العنصرية او العرقية ما هي الا تعبيراً عن الارادة التوسعية للرأسمال الكبير ، وتعكس في نفس الوقت حقد البرجوازية الصغيرة ضد العناصر « الغربية » في الأسواق الداخلية ، أي ضد اليهود المنافسين في السوق الداخلية(٥٤) .

اذا عرفنا ان مجموع اليهود في روسيا القيصرية في عام ١٩٠٩ كان حوالي خمسة ملايين وربع المليون من اصل احد عشر مليونا ونصف ـ هم مجموع اليهود في العالم ـ عرفنا حجم المشكلة التي خلفتها القيصرية قيصرية روسيا وبرجوازيتها ، التي مارست الاضطهاد ضد اليهود وجعلتهم عرضة للمذابح المستمرة والتي كان ابرزها مذبحة عام ١٨٨٢م . وعلى الرغم من ان اليهود كانوا بشكل عام عرضة للاضطهاد والمذابح الا انها لم تصب في الحقيقة الا البروليتاريا ، الأمر الذي جعلها لا تزعج اليهودية العالمية ، ولا قيادة الحركة الصهيونية التي وجدت فيها مادة جيدة تسهل ترحيل اليهود باقناعهم بأن الاندماج فكرة قابلة للتطبيق . ويأتي هذا الموقف متطابقاً مع نص احدى الوثائق المحفوظة في الارشيف المركزي للاتحاد السوفييتي ، والتي جاءت على لسان قادة الحركة الصهيونية ، اذ تقول : « ان معاداة السامية تفيد في بث الرعب في صفوف الدهماء الذين سيطيعوننا بشكل افضل بعد ان يقرصهم الغوييم « الأغيار » ونحن ندافع عنهم ، ويكون الغوييم في هذه الحالة قد قاموا بدور الكلاب التي تسوق قطيعنا . يجب ان تنتبهوا الى ان معاداة السامية لم تسىء الينا أبدا ولم تحط من قدر أية مؤسسة من مؤسساتنا ، بل كانت توجه دائماً الى بروليتاريا أي ضد الغوغاء »(٥٥) .

(٥٤) ابراهام ليون صفحة ١١٦ ، ١١٧ .

(٥٥) يفسييف ، غوستوكوف صفحة ٢٩ .

وبهذا فان الحكومة القيصرية لم تكن بعيدة في ممارساتها عن اهداف الحركة الصهيونية بحيث بدت تلك الممارسات منسجمة مع هذه الاهداف ، وهذا ما هيأ الجمعيات والمنظمات الصهيونية للعمل على الارض الروسية بحرية تامة . وقد كانت مؤتمراتها واجتماعاتها تعقد هناك دون اية عراقيل ، وكذلك يتم جمع التبرعات وتحويل الرساميل دون حرج ، اما الصحافة الصهيونية فقد كانت تعمل بشكل علني (٥٦) .

لم تكن هذه الحملة على الاشتراكية من جانب الحركة الصهيونية لمجرد الكراهية فحسب ، وانما للرد على الموجة العارمة التي اجتاحت الشبيبة والبروليتاريا اليهودية للمشاركة في الحركة الثورية الروسية التي رأت فيها وعلى يديها الخلاص من حملات الكراهية التي تغذيها الطغمة القيصرية والبرجوازية الروسية .

في محاضرة ألقاها لينين سنة ١٩١٧ عن ثورة سنة ١٩٠٥ قال فيها : « ان حقد القيصرية كان موجهاً ضد اليهود بصورة خاصة ، فمن جهة كان اليهود يؤلفون نسبة عالية جداً من قادة الحركة الثورية ( بالقياس الى مجموع السكان اليهود ) ، وبالمناسبة يجب ان يقال ـ وتلك مأثرة لهم ـ أن اليهود يؤلفون اليوم نسبة عالية من ممثلي التيار الأممي بالقياس الى « الشعوب الاخرى » . ومن جهة ثانية . كانت القيصرية تعرف جيداً كيف تستغل أحط الأوهام ضد اليهود عند أشد فئات الناس جهلا وتنظيم مذابح اليهود ، وان لم تقدها بنفسها ، وفي تلك الفترة بلغ عدد القتلى في مئة مدينة أكثر من أربعة الاف ، وعدد المشوهين أكثر من عشرة الاف(٥٧) .

ان مشاركة اليهودية في الحركات الثورية ، لم تكن عبثا ، فقد كانوا يعرفون تماما ان نجاح الأممية يعني نهاية المذابح والاضطهاد . ومن ثم المساواة في الحقوق والمساواة في الواجبات ، وهذا ما كان يدعو اليه لينين ، الذي كان يرى ـ في الوقت

(٥٦) المصدر السابق صفحة ٣٦ .

(٥٧) لينين ـ المختارات ـ دار التقدم ـ موسكو ـ مجلد رقم ١ جزء ٢ صفحة ٤٨٤ .



نفسه ـ ان الفكرة المركزية للصهيونية حول وجود امة من نوع خاص ، هي فكرة كاذبة ورجعية في جوهرها ولا تجلب للكادحين سوى الضرر . وقد كتب يقول (٥٨) : « ان فكرة الشعب اليهودي الخاص رجعية من حيث مغزاها السياسي . فالمشكلة اليهودية هي كالتالي : الانصهار او العزلة ؟ وفكرة القومية اليهودية ذات طابع رجعي واضح ، ليس فقط عند انصارها الدائمين ( الصهاينة ) بل وحتى عند اولئك الذين يحاولون اقرانها بأفكار الاشتراكية الديمقراطية ( البوندين ) . ان فكرة اليهودية تتناقض ومصالح الكادحين اليهود ، وذلك بقيامها بتغطية الافكار المعادية للانصهار وتشجيع امزجة الجيتو » . لقد اشار لينين في كتاباته الى ان يهود روسيا سيمرون بنفس عملية الاندماج والانصهار التي كان يهود اوروبا يمرون بها في ذلك الوقت(٥٩) .

فالثورة الاشتراكية حاربت كل اشكال اضطهاد اليهود ، مهما كانت الاقنعة التي تقنّع بها النظام القيصري ، والذي حاول ان يرد هذا الصراع الى اصول عرقية . ولكنها حاربت في الوقت نفسه الحركة الصهيونية باعتبارها حركة عنصرية ايضا . ترد الرابطة اليهودية الى العرقية لا الى الدين . ولقد أسعد هذا الموقف جماهير اليهود الكادحة ، تلك الجماهير التي رغبت في الانصهار والاندماج والخروج من قوقعة الجيتو التي فرضت عليها اجيالا طويلة .

. وتابع اليهود مسيرة جمهوريات الاتحاد السوفيتي الاشتراكية . متساويين مندمجين في المجتمع السوفيتي الذي لا يعرف التمييز القومي والذي ينبذ التمييز العرقي والعنصري . ولما اجتاحت الحملة النازية الشرقية والغربية ، حملت معها بذور الدعوة العرقية الى هذه الشعوب .

(٥٨) برودسكي ، شولستر صفحة ٨٧ .

(٥٩) بيروبيجان ، التجربة السوفيتية لأنشاء وطن قومي يهودي الفلسطينية ـ بغداد سنة ١٩٧٣ صفحة ٢٧ .

ايضا العداء المتميز لليهود ، طامعة ان تتبنى شعوب ودول هذه البلاد شعاراتها وممارساتها . وهي ان نجحت في بعض الأمكنة ولدى بعض عملائها في استثارة مثل هذه الدعاوى ، فانها فشلت في معظم البلدان التي وصلت اليها ، ولم تستطع احياء الفكر القيصري البرجوازي في الاتحاد السوفييتي ، ولم تتمكن من اعادة القرون الوسطى وما حملته من الاطماع والتوسع والاستغلال والذي غلفته بالدعوة العنصرية العرقية . وخلافا لما يشاع باستمرار من أن النازية كانت تستهدف اليهود وحدهم ، فانها استهدفت كل الشعوب التي وقفت في طريقها بصرف النظر عن الدين الذي تعتنقه فقد شنت عملية ابادة شبه كاملة في بولونيا واوكرانيا وبيلوروسيا راح ضحيتها ملايين من شعوب هذه البلدان . وهي لم تكتف بذلك بل انها قتلت ـ بالدم البارد ـ اكثر من ثلاثة ملايين جندي من أسرى الحرب السوفييت . وقد كشفت مجلة نيوزويك الأمريكية الاسبوعية النقاب عن المجزرة التي تعرض لها الجنود السوفييت فقالت(٦٠) : « قتل اكثر من ثلاثة ملايين من اسرى الحرب السوفييت على يد النازيين منهم ٥٨٠ الف اسير حرب سوفييتي ما بين عام ١٩٤١ ـ ١٩٤٥ ، معظمهم قتل رميا بالرصاص ، ومات اكثر من ٢ر٧ مليون اسير حرب سوفييتي بسبب سوء التغذية والامراض في معسكرات الاعتقال ، وكل انسان يعرف المعاملة السيئة التي كان يلقاها هؤلاء الأسرى في تلك المعسكرات » .

وا[illegible] ان عدد ضحايا الحرب العالمية من السوفييت بلغ عشرين مليون [illegible]صف ما خسره العالم اجمع ، فاننا نعرف ان النازية لم تستثن احدا من [illegible]فييتي ، وانها لم تكن تميز بين ضحاياها حسب الدين او العرق او [illegible]من ذلك فقد وجدت القيادة الـ[illegible]فييتية انه من مصلحة رعاياها المناطق الساخنة والذين يتعرض[illegible] للأذى النازي ، وحرصا على [illegible]ن اماكن اكثر امنا واطمئنانا . وقد كتب بهذا الصدد اسحاق

---

صفحة (صفحات) مفقودة page(s) missing